الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقاومة والأدب في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي

أطروحة من متطلبات الحصول على شهادة الدكتوراه الطور الثالث

ميدان: اللغة والأدب العربي – تخصص: النقد الأدبي والدراسات الثقافية

الطالب :

- ناجي صالحي

المشرف :

- أ.د عبد الحميد هيمة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. أحمد بقار	أستاذ محاضر(أ)	جامعة ورقلة	رئيسا
د. عبد الحميد هيمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
د . حسين دحو	أستاذ محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مناقشا
د . علي بخوش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا
د . عبد القادر رحيم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

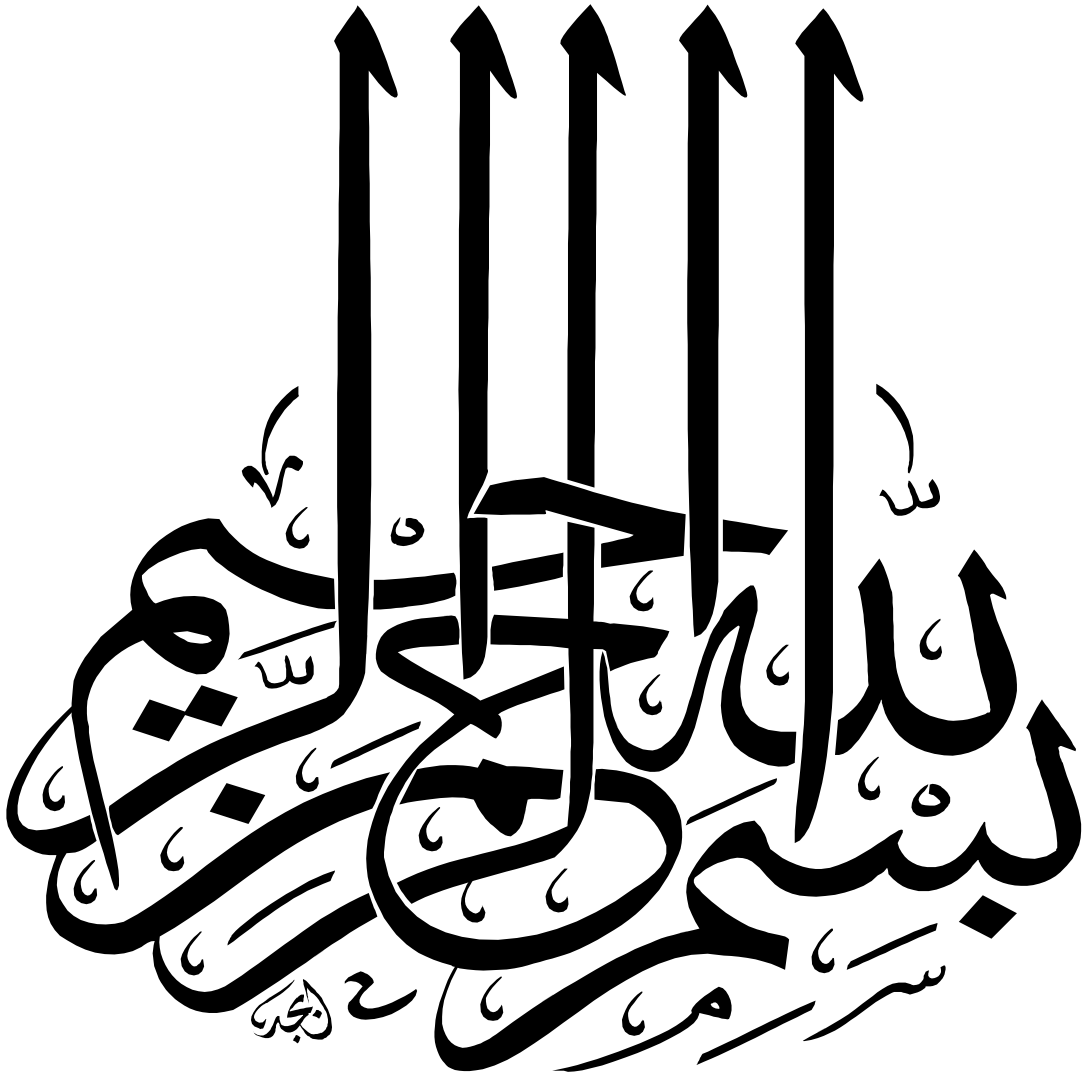
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى حبيبتي الجزائر

وإلى الوالدين رضوان الله عليهم

أهدي عملي هذا.

ناجي صالحي

بسكرة في

19مارس2017

شكر وعرفان

اعترافاً مني بالجميل ، وإكباراً لخدمة العلم والمعرفة ، وتقديراً للجهود التي بذلها ويبذلها كل العاملين في حقل البحوث العلمية، أقدم كل شكري وامتناني لأساتذتي الكرام أعضاء لجنة التكوين على مرافقتهم لنا علمياً، بالتوجيه والنصح والإرشاد، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور

هيمة عبد الحميد

الذي أشرف على هذه الأطروحة، فكان خير ناصح ومرشد، وخير مثال في الاجتهاد والصبر .

مقدمـــــــة

مقدمة:

للأدب دور مهم في تصوير الحياة، واقعها وخيالها، ونقل انشغالات الإنسان ومتطلباته وأحلامه، وهو ذلك الصوت الذي يعلي الكلمة بإيصالها صراحة أو رمزاً، إبداعاً أو نقداً، ولأن للنقد الأدبي العلاقة الوثيقة بالأدب فهو باعث الحياة من جديد في ما كان طي النسيان بين الدفات والرفوف، ليغدو رسالة تحمل كل معاني الإنسانية، داعية إلى أنبل القيم واسماها، رافعة راية التحرير والانعتاق والمقاومة بكل أشكالها.

ولأن للإبداع علاقة مهمة بالنقد، فإننا لا نكاد نجد أدباً دون عملية نقدية تبحث في خباياه وتقوم هناته وتبرز محاسنه، كما لا يمكن أن نجد عملية نقدية تنطلق من فراغ، لذا فإن لكل مبدع نظرة نقدية بداخله على الأقل، فإن لم يمارس النقد على إبداعات غيره فإنه يمارسه على أدبه تصحيحاً وصقلاً، ومن خلال هذه العلاقة تنبثق عملية جديدة تتبع هذه الأعمال النقدية لتعلق عليها وتناقش أفكارها وتعالج ما فيها من رسائل وقضايا .

وكما يرى أصحاب نظرية آداب ما بعد الاستعمار أو ما يعرف بالادب ما بعد الكولونيالي ، فإن الخطاب النقدي لا يتوقف عند المهمة الجمالية والتاريخية فحسب بل يتعداها إلى مهمة ثقافية وسياسية، حيث وجهت هذه الدراسات الفعل الثقافي إلى وجهة ترسم للمجتمع مساره باتجاه حقه في إعادة تحديد مكانته وتحقيق انعتاقه المعنوي والمادي، عبر استراتيجيات وآليات تنمي وتطور الوعي الفردي والجماعي.

ومن هنا وكما يرى إدوارد سعيد فإنه جدير بالذكر أنّ الناقد في عملية كشفه عن أساليب الهيمنة، لابد له أن يمتلك حساً ودربة خاصتين تمكنانه من الابتعاد عن الانقياد

لأية سلطة تمنعه من تحقيق رغبته في تغيير العالم، ومقاومة كل ما يشوه وجه التاريخ من أفكار ومظالم وسياسات لا إنسانية.

لذا فإن الناقد قد يسهم بخبرته في تزكية السلطة المركزية في المجتمع، لإضفاء المسحة الشرعية على مسلكها، لذا عليه أن يكون ذلك الناقد الملتزم، صاحب المواقف، الذي لا يجري وراء بريق المناصب، ويصب اهتمامه على الوقائع المتعلقة بضروب المقاومة لسيطرة الأجهزة القمعية بجميع أشكالها، كما يكشف أساليب توظيف النصوص والثقافة لتفعيل هيمنة خاصة تقنع التابع بدونيته، وعدم قدرته على المقاومة.

وهاهو واحد من النقاد الذين أسهموا في وضع اللبنات الأولى لعدد من الإنجازات الثقافية والفكرية في الجزائر، واحد من القامات الفكرية التي عاشت بامتياز محن الوطن على تعددها. عاش مع هذا الوطن ظلم ذلك الاستعمار الاستيطاني الشرس ، الذي كان دائم السعي إلى مسخ فكر الأمة ولغتها وقطع أوصال امتدادها العربي الإسلامي، وشارك الوطن في مسيرة إعادة بناء الذات والنهوض من جديد بعد طول ليل استعماري ظالم.

إنه الأديب والناقد الجزائري عبد الله ركيبي، الذي عاش كل هذه المحن والفواجع كتابة وتأليفاً ونشراً وحضوراً فعّالاً، واضعاً اللبنات الأولى للدراسات الأدبية والنقدية في الجزائر، داعياً من خلال تحليلاته لمضامين كثير من الأعمال الأدبية، المبدع إلى الإسهام في بلورة القيم الوطنية الايجابية، مركزاً على وظيفة المبدع العظيمة والفعّالة، التي تدفعه دوما إلى الإسهام في عملية التغيير التي يسعى إليها الإنسان.

وبهذا فهو يحدد وظيفة الأدب الذي لا يجب أن ينفصل فيه المضمون عن الواقع، وفي هذا دعوة صريحة للأدباء حتى لا يحيدوا عن رسالتهم تجاه أمتهم، وهو بهذا يلح

على رسالة الأدب الثورية، ليخلص إلى التأكيد على أن كل أدب يتمتع بصفة المقاومة، سواء كانت ذات صبغة فردية أو اجتماعية.

وفي هذا البحث سنسعى إلى فهم هذا الخطاب النقدي، والكشف عن رسالة الناقد إلى المبدع، كما سنسعى كذلك إلى البحث في رؤيته إلى هذا النتاج الثقافي والفكري، هذه الممارسة النقدية التي يوجه من خلالها عبد الله ركيبي الأديب إلى وجهة محددة تخدم الإنسان والوطن والمجتمع، هذا البحث الذي سنتناول فيه المقاومة في كل تمثلاتها من خلال علاقتها بالأدب في كل مظاهره، ومنه اخترنا أن يكون هذا البحث بعنوان:

(المقاومة والأدب في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي).

- أسباب اختيار الموضوع:

من خلال ما قدمه عبد الله ركيبي في مساره النقدي، بتناوله عدة أعمال أدبية، وتقديم مجموعة من الدراسات النقدية المميزة في القصة والشعر، اخترنا البحث في هذا الموضوع لأسباب عديدة منها:

1- اهتمام عبد الله ركيبي الواضح بموضوع المقاومة في الأدب.

2- قلة الدراسات في مجال الخطاب النقدي عند عبد الله ركيبي.

3- قلة اهتمام النقاد الجزائريين بموضوع الدراسات الثقافية.

4- سمة المقاومة البارزة في الأدب الجزائري.

- أهداف البحث:

1- إبراز إسهامات واحد من رواد النقد الأدبي في الجزائر في الدرس النقدي من خلال دراساته في الشعر والنثر.

2- الكشف عن ظاهرة اتسمت بها دراسات ركيبي في أغلبها، وهي البحث في علاقة المقاومة بالأدب.

3- محاولة الإسهام في موضوع المقاومة والأدب الذي ندر البحث عنه في الأدب الجزائري.

4- الكشف عن ميزات وخصائص الأدب الجزائري في أهم مراحل تطوره.

وبالنظر إلى هذا الموضوع، والسعي إلى تحليل هذا الخطاب النقدي، نجد أمامنا مجموعة من الأسئلة سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث.

- طرح الإشكال:

1- ما طبيعة العلاقة بين المقاومة والأدب بعامة، وبين المقاومة والأدب الجزائري بخاصة من خلال منظور النقد الثقافي؟.

2- كيف كان تأثير فكر وثقافة المقاومة في الخطاب النقدي من جهة، وكيف كان النقد من أهم مقومات المقاومة والمساعد في تطورها من جهة أحرى؟.

3- كيف كانت رؤية الناقد عبد الله ركيبي لوظيفة الأدب والأديب في تشكيل الوعي الوطني والقومي في ارتباطه بالمقاومة؟.

4- ما أهم الأسس التي اعتمدها عبد الله ركيبي في رؤيته للمقاومة من خلال الأدب؟.

5- ما أهم الأدوات الإجرائية التي استعملها عبد الله ركيبي لاستنطاق النصوص في عملية الكشف عن أشكال المقاومة؟.

- خطة البحث:

وبهذا اعتمدنا خطة بحث تتكون من مدخل وأربعة فصول تليها خاتمة للبحث، وجاءت الخطة كما يلي:

مدخل نظري عام عنوناه بتطور النقد الأدبي في الجزائر، تناولنا فيه البواكير الأولى لتأسيسه في العصر الحديث، مروراً بمراحل تطوره، والظروف والملابسات التي أسهمت في انتقاله من صوره التقليدية إلى صوره الجديدة، ومدى تأثره بالنهضة العربية، وتأثره بالمدارس الغربية، إضافة إلى وظيفته المقاوِمة على حسب رأي مجموعة من النقاد، وما آل إليه اليوم في شكله واتجاهه الجديد.

أما الفصل الأول فعنوناه بالمقاومة والأدب، حيث تطرقنا فيه إلى موضوع المقاومة عبر العصور، وعلاقتها بالوجود الإنساني في مراحله المتقدمة، ثم حاولنا رصد أشكال فعل المقاومة من المادية إلى المعنوية، السياسية والفكرية والأدبية، ثم تناولت قضية ثقافة المقاومة، أما في علاقة المقاومة بالأدب، فقد ركزنا على وظيفة الأدب الفكرية والثقافية من حيث علاقتها بالمقاومة في جانبها الأدبي، وأدب المقاومة، ومقاومة الأدب، وهذا من خلال ما تناوله الناقد عبد الله ركيبي في مجمل أعماله النقدية، وفي هذا المجال نتناول أهم مظاهر فكر المقاومة ومقاومة الفكر، والتي تناولها ركيبي في عدة مواضع.

ومن هنا ننتقل إلى الفصل الثاني الذي أفردناه لرؤية عبد الله ركيبي للأدب، ومفهومه للأدب والأديب والدور المنوط به، إضافة إلى مفهومه للنقد وعلاقته بالأديب وشروط العملية النقدية التي لا يجب أن تحيد عن دورها الإنساني الرامي إلى التحرر والانعتاق، وبهذا نجده يقدم تعريفه للشعر والنثر والنقد، بداية من المراحل الأولى للشعر الجزائري الحديث التي أرخ لها من مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، بتحديد مميزاتها وتطوراتها من شعر الانطواء إلى الشعر الجديد، ثم النثر الجزائري والذي تتبع مراحل تطوره كذلك بداية من المقال القصصي ليصل إلى مرحلة النضج التي عرفت القصة الفنية والرواية الحديثة، وفي هذا فهو دائم التأكيد على ارتباط هذه الأشكال الأدبية بقضايا الإنسان ورغبته في المقاومة والتحرر.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: حضور المقاومة في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي، وللكشف عن مظاهر المقاومة بتعدد أشكالها في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي، بدأنا بالبحث في طريقة ومنهج ركيبي في رصد هذه الظواهر، وعلى خلاف أغلب الدارسين من معاصريه، الذين لم يهتموا كثيراً بقضية المنهج في ما قدموه من دراسات نقدية، فإن الناقد عبد الله ركيبي يقدم صورة جلية للمنهج الذي حاول أن يجمع فيه بين المنهج النقدي والمنهج التاريخي في أغلب دراساته.

وبعد البحث في منهجه حاولنا تتبع دراساته في الشعر الجزائري وتطوره وعلاقته بقضايا المقاومة والتحرر، بداية من انتكاسة الشعر في الجزائر بانتكاسة الوطن أيام الاستعمار الأولى، إلى ظهور الشعر الإصلاحي ثم الشعر الرومانسي، والشعر الثوري المقاوم الذي يصور ويحفظ تاريخ المقاومات والثورات ويشيد بها وبأبطالها، ثم القصة الجزائرية القصيرة وفي هذا الباب من الأدب الجزائري نبحث في دراسات ركيبي للقصة القصيرة الجزائرية بتتبع أسباب تأخر ظهورها ومراحل

تطورها، بداية من المقال القصصي ثم الصورة القصصية وفي الأخير القصة القصيرة والرواية، مبرزاً في ذلك أهم اتجاهاتها المرتبطة بمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة بداية الوعي بالفكر النضالي، إضافة إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وأسباب ظهورها باللسان الفرنسي، وما مدى ارتباطها بالمقاومة والثورة.

وفي الفصل الرابع الذي عنوناه بـــقضايا الأدب الجزائري عند عبد الله ركيبي، تناولنا فيه أهم القضايا الاجتماعية والإنسانية والفكرية، التي ظهرت في الأدب الجزائري قبل وبعد الاستقلال، والتي كان ركيبي دائم الاهتمام بها، ودائم الدعوة إليها، بوصفها من أشكال المقاومة التي عرفها الأدب الجزائري، مثل قضية الوحدة والعروبة التي شكلت المحور الذي تدور حوله أغلب دراسات ركيبي، ومنه القضية الفلسطينية التي تبقى قضية الأمة الأولى، ثم قضية اللغة العربية والتعريب في الجزائر، إضافة إلى قضية الشعراء الجدد والشعر الجديد من منظور عبد الله ركيبي، وكثير من القضايا السياسية والإنسانية التي شكلت مادة النقد الأدبي الجزائري بما فيه أعمال ركيبي.

ولأن أي بحث يعتمد على منهج أو أكثر لتحديد طريقة البحث وضبط مساره، فقد اخترنا مجموعة من المناهج التي من شأنها أن تساعد في الإجابة عن الأسئلة والكشف عن الحقائق وتتبع المراحل، وفي هذا البحث اعتمدنا على الدراسات الثقافية لتفسير هذا الخطاب النقدي في ضوء الثقافة التي أنتجته، وهي قراءة تكشف عن منطق الفكر داخل هذا النص، مستعيناً بالمنهج التاريخي وآليتي الوصف والتحليل.

الدراسات الثقافية للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في هذه النصوص التي تناولها ركيبي في دراساته، إذ حاول الكشف عن نسق المقاومة والنضال في كثير من الإبداعات الأدبية، أما المنهج التاريخي، فقد حاولنا من خلاله تتبع أهم محطات ومراحل تطور الأدب إبداعاً ونقداً في الخطاب النقدي عند ركيبي، وتتبع دراساته التي

امتدت عبر سنوات عدة، أما الوصف والتحليل فهما لمحاولة الكشف عن محمولات هذا الخطاب النقدي ومدى ارتباطها بالمقاومة، والكشف عن الأشكال والصفات المتضمَنة في الفنون الأدبية ومفهوم الناقد لها.

أهم الدراسات السابقة:

وكأي بحث، يعتمد بحثنا على مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت بعض جوانب هذا الموضوع، ومن أهمها:

1- التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي، لرابح طبجون (مخطوط رسالة).

2- أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة لعزت قرني.

3- أدب المقاومة لغالي شكري.

4- المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر لعبد العزيز شرف.

5- المسار النقدي لدى عبد الله ركيبي لأنيسة أحمد الحاج.

6- دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبي القاسم سعد الله.

7- في الأدب الجزائري الحديث لأحمد دوغان.

صعوبات البحث:

أما ما يواجه أي باحث من صعوبات وعقبات، فكان عامل الوقت أكثرها تأثيراً، فالبحث الأكاديمي الناجح والدقيق، والمستوفي لكل الجوانب يجب أن يأخذ كل وقته اللازم ليسير بخطوات ثابتة، مروراً بمراحل وخطوات مرسومة مسبقاً، كما أن أي بحث يسعى إلى تقديم الجديد في مجال معين لابد أن يجد نفسه أمام قلة المراجع،

وخاصة في الدراسات التي تهتم بالأدب الجزائري بعامة وفي موضوع المقاومة في الأدب الجزائري بخاصة، ورغم هذه الصعوبات فقد بذلنا كل الجهد من أجل تجاوزها وانجاز هذا البحث.

وفي هذا أقدم الشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاز هذه الأطروحة، وأخص بالشكر الأول الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور **عبد الحميد هيمة**، الذي كان الموجه الدقيق والمرشد النصوح، والمرافق الدائم في كل الخطوات، كما أتقدم بالشكر للجنة البيداغوجية التي تشرف على تخصص النقد الأدبي والدراسات الثقافية بكلية الآداب واللغات جامعة ورقلة، وفي مقدمتهم رئيس المشروع الأستاذ الدكتور **بلقاسم مالكية**.

ناجي صالحي

بسكرة في: 19 مارس 2017

مـــــدخل:

تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر

1- مراحل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر

أ- المرحلة الأولى: التقليد ورفض التجديد.

ب- المرحلة الثانية: النقد الإصلاحي.

ت- المرحلة الثالثة: الإرهاص النقدي.

ث- المرحلة الرابعة: المزاوجة.

2- مرجعيات النقد الأدبي الحديث في الجزائري

أ- المرجعية الغربية

ب- المرجعية المشرقية

ت- المرجعية الوطنية

3- عوامل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر

أ- الصحافة

ب- الدراسات الأدبية

4- من رواد النقد الأدبي في الجزائر

أ- البشير الإبراهيمي

ب- أبو القاسم سعد الله

ت- محمد مصايف

ث- عبد الله ركيبي

1- مراحل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر:

ظهر النقد الأدبي بظهور الأدب منذ القدم، وما تطور النقد إلا بتطور الأدب، وفي مسار متلازم يتفاعل كل منهما مع الأخر وينمو بنموه، « فتحديث الأدب أو تطويره، هو الهدف الأول والأخير لجملة الجهود النقدية المتواصلة التي قام بها الأقدمون على بساطتها، وسار في إثرهم الآخرون، ولذلك كان يجد الباحث في هذه المسائل كيف يكون الناقد بعامة توأم الأديب، فإذا انصرف هذا العمل الإبداعي كان ينشق عنه الناقد من أجل التصويب والتصحيح والتطوير والتحديث، حتى بتنا نرى في ملازمة الناقد للشاعر ملازمة الرجل لظله، فكلاهما يعيش الحركة نفسها من أجل إبداع المعادلة الفنية الجميلة»[1]، وهذا ما عرفه تطور النقد الأدبي لدى كل الشعوب، والنقد الأدبي الجزائري نقد متطور ومساير للحركة الأدبية داخل الوطن وخارجه، مقومٌ ومرشدٌ لكل الإبداعات وعبر كل المراحل والتطورات التي عرفتها الحركة الأدبية في الجزائر.

وللبحث في النقد الأدبي في الجزائر، نحاول تتبع مراحل تطوره، وخصائصه الفنية واتجاهاته ومدارسه، فهذا النقد الذي أسهمت في مسيرته مجموعة من العوامل والظروف، وناضل من أجله مجموعة من النقاد والدارسين بدراسته وتقويم مساره العام، واستشراف مستقبله، والبحث في دوره في الحركة الأدبية والنقدية الجزائرية والعربية عامة، حيث إن الحركة النقدية في المغرب العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، قد أثرت الدرس النقدي العربي بما قدمه مجموعة من النقاد والباحثين المغاربة في الشعر والقصة أو الرواية، وما كان ينشر في اليوميات والمجلات المغاربية والعربية.

1- قصي الحسين: النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، 2010، ص 5.

ورغم قسوة المرحلة التي بدأ فيها النقد الأدبي في الجزائر في الظهور، حيث كانت « البيئة الثقافية الجزائرية تتميز بوضع شاذ بين البيئات الثقافية العربية الأخرى، لما عرفته من سيطرة استعمارية قاسية، قضت إلى حدٍ ما، على الإمكانيات وخنقت الحريات، وحاولت جاهدة أن تقطع كل جسور التواصل بين الجزائر العربية المسلمة، وشقيقاتها في الوطن العربي، ولا سيما في المشرق»[1]، حيث عرف الأشقاء المشارقة خطوات سابقة على المغاربة في الدرس النقدي، فكان النقد العربي في المشرق قد بدأ في شكله الجديد بظهور عدة مدارس ونقاد في الساحة النقدية العربية.

وبهذا فإن المتتبع لتطور النقد الأدبي في الجزائر في مراحله المتقدمة، يلحظ بأنه قد مرَّ بعدة مراحل كانت قواعد بيته ولبناته الأساسية، وكما يرى أبو القاسم سعد الله فإننا « مادمنا نعترف بوجود محاولات في الأدب، فمن الحق أن نعترف كذلك بوجود محاولات أخرى في النقد. إنها مجرد محاولات تتلاءم مع المستوى الفني لإنتاجنا الأدبي، ولو أننا استعرضنا هذه المحاولات، لوجدنا أنها قد مرت بعدة مراحل رئيسة»[2]، وعن هذه المحاولات يقول يوسف وغليسي: « وقد جاءت هذه المحاولات في شكل مقالات مقتضبة، يعوزها التصور النظري والإطار المنهجي، تقوم على النظر الوظيفي(الرسالي) إلى النص الأدبي، برؤية تجزيئية تقوم على تصحيح الأخطاء(اللغوية والعروضية) التي تعتري النصوص، إضافة إلى بعض التعاليق السطحية العامة (البلاغية خصوصاً) التي تفتقر إلى الشواهد الكافية، فضلاً عن نزعة توجيهية صارمة»[3]، ومن الملاحظ في رأي وغليسي أنه لا يعد هذه المحاولات نقداً بالمفهوم الأكاديمي، لأنها تفتقر إلى النظرة النقدية الممنهجة، حيث لم ترق إلى مستوى المؤلفات

1- عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت، ص08.

2- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط05، 2007، ص80.

3- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللاّنسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، دط، 2002، ص09.

النقدية التي من شأنها أن تغدو مراجع أكاديمية، غير أننا نرى بأنها خطوات مهمة في مسيرة النقد الجزائري من منظور التأسيس، إذ نجد سعد الله قد لخص هذه المراحل وفق ترتيب زمني منطقي، مراعٍ في ذلك الكم والكيف في النتاج الأدبي، إبداعاً ونقداً.

أ- المرحلة الأولى: التقليد ورفض التجديد.

هذه المرحلة التي أرخ لها أبو القاسم سعد الله من بداية القرن الماضي، حيث تناول فيها تلك الحملات على حد تعبيره التي كانت موجهة ضد كل جديد في الأدب والنقد، حيث تزعّم هذه الحملات المضادة شيوخ الجزائر في أوائل القرن الماضي، بدعواتهم الجادة إلى نبذ كل ما هو جديد والتشكيك في قيمته الفنية والموضوعية، وإلى العودة إلى القديم، إلى التراث القومي، والدعوة إلى التمسك به، والعودة إليه مهما كانت قيمته الجمالية، وقد أسهم في نشر هذه الدعوة مجموعة من النوادي التي نشّطت عدة محاضرات وندوات بزعامة مجموعة من المشايخ مثل (أبي القاسم الحفناوي*، وعبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب** ومحمد بن أبي شنب ومحمود كحول) فكانت مدرسة الثعالبية ونادي صالح باي ومدرسة الجزائر قلاعاً حصينة ضد ذلك الجديد الغازي[1]، ومما زاد انتشار أفكارهم هو إقتناع تلاميذهم بها، وربط التراث الأدبي والثقافي بالدين والأخلاق، حيث جعلوا من كل فكر جديد خطراً على الدين الإسلامي

---

*- أبو القاسم الحفناوي (1852-1943) بوسعادة، تولى الكتابة بجريدة المبشر، تولى التدريس بالجامع الكبير بالعاصمة سنة 1897، عين للفتوى سنة1927، وهو صاحب كتاب (تعريف الخلف برجال السلف).

**- المولود بن الموهوب (أوت 1866- 16 ابريل 1927)، اشتغل بمنصب أستاذ الفقه والعلوم العربية بمدرسة سيدي الكتاني سنة 1895، ومدرساً بمدرسة الجزائر العليا سنة 1898، من مؤلفاته: (إرشاد المتعلمين)، (نصيحة المريدين)، (الدرر النحوية)، (نزهة الطريق)، (شرح الجمل النحوية)، ينظر: محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط02، 2007، ص 51-52.

1- ينظر أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص80.

والثقافة العربية الأصيلة المستهدفة حقاً من قبل آلة الاستعمار الفرنسي الكاسحة، والتي كانت تهدف فعلاً إلى القضاء أو تشويه الثقافة المحلية، وهذا ما سيؤدي حسبهم إلى القضاء على الدين والثقافة الإسلامية في أوساط الجزائريين.

وبعد العزلة التي عرفتها الجزائر في شتى الميادين قبل الحرب العالمية الأولى، وسيطرة الفكر المحافظ الذي انغلق على نفسه بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية بوصفها دخيلاً خطيراً على الثقافة المحلية، وبعد الانتكاسة الحضارية التي ولّدتها السياسة الاستعمارية التي سعت إلى طمس معالم الفكر والثقافة والأدب في الجزائر بكل الوسائل، ومع ظهور بعض التيارات الفكرية المجددة في المشرق العربي وارتباطها بالنهضة العربية تأتي مرحلة ثانية بدأت فيها بوادر أخرى للنقد الأدبي في الجزائر في الظهور.

ب- المرحلة الثانية: النقد الإصلاحي.

وفي هذه المرحلة التي بدأت من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من مايو سنة 1931، إذ يرى سعد الله أن ما قدمه الشيخ عبد الحميد بن باديس من دروس في الأدب والثقافة والدين، جعل الأدب يزدهر والنقد يتقدم خطوة إلى الأمام من خلال دعواته إلى التمسك بالقديم والتطلع إلى الجديد معاً، القديم في محاسنه ورزانته وارتباطه بحضارة الشعب الجزائري وثقافته الأصيلة، والجديد في طلاقته وتطوره، ولم يكن ابن باديس وحده في هذه الفكرة بل كانت البادية عند مشايخ الإصلاح عامة، وهذا بنبذ الأفكار البالية والمعتقدات الضالة، وتجاوز الأساليب القديمة، وبهذا ظهر نوع من التجديد خاصة في النثر الذي بدأ يوظف بعض الأساليب الجديدة[1]، فكانت الفترة فترة تسابق وصراع بين حملة دينية فكرية أرادها المستعمر لهذا الوطن،

1- ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص80

وبين نهضة نابعة من أعماق الشعب ومن حاجته إلى صحوة جديدة،(...) تجلت في حلقات العلم التي التفت حول (عبد الحميد بن باديس) في (الجامع الأخضر) و(جامع سيدي قموش) قبيل الحرب العالمية الأولى[1]، وقد تنوعت هذه الحلقات بين الدينية والفكرية والأدبية والعلمية.

إلا أن هذه المرحلة قد تميزت بارتباطها بالاتجاه التقليدي الذي يقوم على المفاهيم النقدية القديمة أكثر من محاولات التطلع إلى الجديد، حيث يرتبط هذا الاتجاه التقليدي الذي ظهر في المشرق العربي بظهور النهضة الحديثة، فتداخلت التخصصات، و« كذلك تداخلت المؤثرات الأدبية والنقدية، لأن نقاد هذا الاتجاه كانوا نقاداً وأدباء في آن واحد، بل ربما كانوا أدباء أكثر منهم نقاداً، حتى أن مواقفهم النقدية لا تُعد شيئاً إذا قيست بإنتاجهم في الشعر وفي غير الشعر»[2]، كما أن هذه المحاولات النقدية تأثرت بالثقافة الدينية التي كانت سائدة في تلك الفترة بين رجال الدين، و« شيوع روح النقد لدى كل من تثقف بالثقافة العربية، وبعبارة أخرى، فإن النقد لم تكن تحترفه فئة متخصصة، بل كان يقال على لسان كل مثقف بالعربية يمتلك أو لا يمتلك التقويم والحكم على الشعر»[3]، فكانت الأحكام النقدية تنطلق من منطلقات إسلامية إصلاحية، وبهذا كان الحكم النقدي يرجح كفة الأعمال الأدبية التي تخدم العقيدة الإسلامية وتقاليد المجتمع الجزائري المحافظ، فكل ما وافق تعاليم الدين الإسلامي والاتجاه الإصلاحي مقبول مهما كان مستواه، وكل ما خالف ذلك فهو دخيل منبوذ لا مكان له في الأدب.

1- ينظر: صالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983، ص55.

2- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1979 ص18.

3- علي خذري: نقد الشعر مقاربة لأوليات النقد الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998،ص194.

وكما يرى أغلب النقاد الجزائريين، وبخاصة الواقعيين منهم أن النقد الجزائري في بدايات القرن الماضي لم يكن نقداً ناضجاً، ولم يتجه الاتجاه المطلوب في معالجة الأعمال الأدبية، « فاهتم النقاد – أو قل الأدباء لأنه لم يظهر فيها نقاد بالمعنى المعروف– بالوزن والقافية، بالقواعد والتقاليد والبلاغة المعروفة في الأدب العربي، واهتم الأدباء بالمعاني الجزئية في القصيدة، لا بالقصيدة بوصفها كلاً واحداً، أو بوصفها وحدة متكاملة »[1]، كما لم يكن متابعاً لأهم الإنتاجات الأدبية في تلك المرحلة، وفي هذا يرى ركيبي أن نظرة هؤلاء النقاد لهذا الواقع النقدي دليل « على إحساس عميق بانعدام النقد»[2]، لكن ركيبي لم يكن منكراً لوجود نقد أدبي في تلك الفترة، ولكن يرى بأنه نقد « لا يزيد على التجاوب العاطفي المحض دون أن يتكلف ناقد أو أديب مشقة البحث والكشف عن ضعف الشعر طوال ثلث قرن، وما وجد من نقد لا يزيد عن كلمة عامة تنصب على الجزئيات مثل اللفظ والمعنى، أو أن الشاعر أحسن في هذا البيت ولم يحسن في الأخر»[3]، وبهذا ضل النقد الأدبي في هذه المرحلة حبيس الضعف والجزئية والذاتية، رغم بعض المحاولات الجادة التي أسست إلى مرحلة أخرى عرفت فيها الساحة النقدية في الجزائر بعض التقدم والتطور الملحوظ.

ت– المرحلة الثالثة: الإرهاص النقدي.

أما هذه المرحلة فإن سعد الله يرى بأنها تميزت باتجاه جديد يمثله الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي اعتمد على الكتابة النقدية والانجاز النقدي خلافاً للشيخ ابن باديس الذي اعتمد على الدروس المباشرة والمحاضرات، فكان الإبراهيمي ميالاً للنقد المكتوب والمنشور في الصحافة ولا سيما جريدة البصائر منبر القيادة للجيل الجديد في الأدب والنقد، وقد تنوعت أعماله النقدية بين الدراسات النقدية والأفكار والنصائح

1– عبد الله ركيبي: النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، الجزائر، ط2، 1978، ص241.

2–عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، دار نافع للطباعة، القاهرة، مصر، دط، 1986ص552.

3–عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ص552.

والتوجيهات، وبين الشروط التي كان يضعها للنقاد والأدباء الذين يرغبون في النشر، فكان الإبراهيمي محج الطلبة والباحثين وخاصة الذين كانوا قد تخرجوا على يد ابن باديس، فكانوا ينشدون الشعر والأدب بين يديه، وكان أشد انتقاداً لهم وأدق توجيها إلى الشعر والنثر من القديم والمعاصر، فكانت هذه المرحلة أكثر تقدماً في النقد الأدبي لما كان يسمح به الإبراهيمي لطلبته من الاغتراف من القديم والجديد[1]. وبهذا فإن اتجاه الإبراهيمي كان أكثر أدبية من اتجاه ابن باديس الذي كان علمياً دينياً.

ث- المرحلة الرابعة: المزاوجة.

يرى سعد الله أن هذه المرحلة كانت مرحلة تمازج بين الفكرين، العلمي الذي عُرف عند ابن باديس والفكر النقدي عند الإبراهيمي، فكانت الحركة النقدية أكثر تحرراً في أسلوبها وموضوعها من القديم رغم بقاء الاتصال والتمسك به، كما أخذت تطبق بعض المذاهب النقدية التي اكتسبتها من ثقافتها المعاصرة، فظهر المذهب الواقعي في أعمال أحمد رضا حوحو، والمذهب السلوكي في إنتاج أحمد بن ذياب، كما احتفظ الشعر ببعض الخصائص الرومانتيكية كالشكوى والثورة[2]، ومن رواد هذه المدرسة كما يرى سعد الله نجد (حمزة بوكوشة*، وأحمد رضا حوحو، وأحمد ذياب وعبد الوهاب بن منصور، ومولود الطيّاب الذي كان على حسب رأي سعد الله أكثرهم

1- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص81.

2- ينظر أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص81.

*- حمزة بوكوشة: وُلد بوادي سوف سنة (1907)، تعلم بمسقط رأسه ثم سافر إلى تونس حيث تخرج بجامع الزيتونة، ثم عاد إلى الجزائر ليكون من ابرز الناشطين ضمن جمعية العلماء الجزائريين، وقد أُوفد إلى فرنسا للوعظ والإرشاد حوالي 1938، عمل في الصحافة والتعليم والوعظ، يعد من أبرز دعاة التجديد في الشعر، وله مواقف نقدية جريئة، كتب الشعر لكنه مقل، انقطع بعد الاستقلال لدراسة القانون (توفي سنة 1994)، ينظر: محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 2006، ص671 .

نقداً وأقربهم إلى الموضوعية الهادئة، رغم أنه لم يكن من تلامذة الإبراهيمي، حيث كان ينشر أعماله النقدية في مجلة (هنا الجزائر) الصادرة عن هيئة الإذاعة المحلية[1].

ومع بداية اتصال النقاد التأثريين بالتيارات الفكرية الغربية والنقد العربي الحديث، بدأت ملامح النقد الأدبي الجزائري الحديث في الظهور مع نخبة من النقاد الذين عايشوا تطورات العالم بالعموم وتطورات الشعب الجزائري بالخصوص، فالحركات السياسية والثقافية التي بدأت تنتشر في أوساط الجزائريين استطاعت أن تنفتح على العالم الغربي وحضارته من جهة، والفكر المشرقي المجدد من جهة أخرى.

2- مرجعيات النقد الأدبي الحديث في الجزائر:

أ- المرجعية الغربية:

لقد كان تطور النقد الأدبي الجزائري نتيجة عدة مؤثرات عرفتها الجزائر بعد تلك العزلة والركود، وتنوع هذه المؤثرات بين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كان مرده في الأصل إلى ثلاثة مؤثرات أساسية، وهي المؤثر الغربي والمؤثر العربي والمؤثر الوطني، « ولعل أول هذه المؤثرات هو المؤثر الغربي- فقد اتصلت الجزائر بفرنسا سياسياً واقتصادياً، وارتبطت بها ثقافياً وحضارياً منذ عام 1830 ولم يبق على الباحث إلا أن ينتظر النتائج، فماذا كانت؟ الحق أن الاحتلال قد استطاع أن يسيطر على مقاليد النواحي المادية في الشعب و يوجهها لخدمته، ولكنه لم ينجح في الاستيلاء على التقاليد الفكرية والثقافية إلا بعد زمن طويل»[2]، ومثال على تلك المحاولات الاستعمارية التي مثلتها مجموعة من مثقفي الجزائر أو ما يُعرف (بالنخبة)، والذين تثقفوا بالثقافة الفرنسية وآمنوا بتفوقها وقدرتها على تخليصهم من التخلف والجهل، حيث « كانت

1- ينظر أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص82.

2- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص23.

الإدارة الفرنسية لا تبخل برعايتها المادية والأدبية على نشاط النخبة ومشاريعها، فجمعية (الرشيدية) كانت تتلقى سنوياً من الولاية العامة مساعدة مادية»[1]، إلا أن هذه الجهود والمحاولات الرامية إلى تغريب الثقافة الجزائرية، وتوجيهها إلى وجهة تخدم مصالح المستعمِر لم تلق الترحيب الكامل بين مثقفي الجزائر الذين مازالوا يؤمنون باختلاف ثقافتهم عن ثقافة الغازي الغربي، وهذا ما جعل الساحة الفكرية والثقافية في الجزائر تحتفظ بشيء من خصوصيتها، حيث حال المؤثر الشرقي العربي دون طغيان الثقافة الغربية التي لم تجد الصدى الكافي لانتشارها في الأوساط الجزائرية، « واستمر هذا التأثر بالحضارة والثقافة الغربية بطيئاً متثاقلاً فلا يجد من الآذان الصاغية والقلوب المتفتحة والعقول المستهلكة إلا أرقاماً قليلة بين قائمة الشعب الضخمة»[2]، وبهذا كان للمؤثر الشرقي دوره في تكوين الفكر النقدي الجزائري، حيث حملت التجارب العقلية والثقافية، والثورية من المشرق العربي للشعب الجزائري روح المقاومة والثورة إلى تفكيرها النقدي.

ب- المرجعية الشرقية:

وقد ظهرت هذه الأفكار الثورية في المشرق العربي منذ زمن، وخاصة أيام الحكم التركي للعالم العربي، ومن المعروف أن نظرة المشارقة للدولة العثمانية كانت تختلف عنها عند المغاربة، وخاصة في الجزائر، وهذا ما أدى بالثقافة العربية في المشرق إلى بروز فكر جديد ينزع إلى الثورة على الحكم الخارجي، هذا الذي جعل من العربي في المشرق يتشبع بالفكر النقدي القومي والعربي، وقد « تجلت هذا التجارب في علاقته مع الأتراك ومحاولته التخلص من حكم العصور الوسطى الذي سنوه وحافظوا عليه لاسيما منذ بدأوا محاربة القوميات الناشئة في الوقت الذي أعلنوا فيه

1- صالح خرفي: المرجع السابق، ص 61.

2- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص24.

شعاراتهم القومية »[1]، وهذا الارتباط والتأثر غذاه الفكر الإسلامي الذي يجمع بين المشرق العربي ومغربه، فالثقافة العربية الإسلامية كانت حلقة الوصل بين هذه الشعوب وحصنها المانع لأي دخيل.

وبهذا بقي النقد الأدبي في الجزائر شديد الارتباط بالمشرق العربي وفكره، و« ظهرت التجارب التأسيسية في الجزائر مع التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الفترة التي تُعرف بالنهضة في المشرق العربي إذ وجد الجزائريون أنفسهم أمام المعرفة الشرقية التي قد كانت خطت خطوات إلى الأمام في مجالات مختلفة، وكان على المثقف الجزائري أن يتفاعل مع هذه المعرفة، وأن ينخرط في هذه الحركة الجديدة، وأن يبتعد عن النقد القديم الذي خيم على الأذهان فترة طويلة»[2]، فكان التأثر واضحاً من خلال ما كان يصل الجزائر من النهضة العربية والقومية، لتغذيه الحركة الإصلاحية وتدعمه في ثورتها ضد الماضي المريض والحاضر المؤلم، فكانت القطيعة الفكرية والثقافية والسياسية مع المستعمر الفرنسي.

ومن أهم عناصر المرجعية الثقافية للنهضة الأدبية والنقدية في الجزائر، « هو ما كان يتمثل أساساً في عطاءات الحركة الإصلاحية ابتداء من أفكار محمد بن عبد الوهاب (1779/1707) مروراً بأفكار (الافغاني1898/1839) ومحمد عبده(1905/1849) وعبد الرحمان الكواكبي(1902/1848)، وإذا كانت الصلة بين هؤلاء المصلحين، وبين المصلحين الجزائريين لم تكن مباشرة لعدم المعاصرة بينهم، فإن الصلة بين أعلام الإصلاح في الجزائر وبين محمد رشيد رضا(1935/1865) وشكيب أرسلان(1946/1886) بخاصة وبغيرهما من المعاصرين لهما، كانت مباشرة

1- أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه ، ص 24.

2- علي خذري:تحديث النقد الجزائري،حوليات الآداب واللغات، حوليات الآداب واللغات(عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري 22/21ماي2006)، جامعة المسيلة، الجزائر، ع:02، ديسمبر2013، ص108.

عن طريق بعض المراسلات والاتصالات»[1]، فكان التأثر واضحاً والتواصل مستمراً مما أغنى المؤثرات الأخرى، وفي التلاقح بين التراث العربي القديم وما حملته الثقافة الغربية « نبادر بالقول إنه إذا كان أعلام النهضة الأدبية في المشرق قد أقاموا أسس هذه النهضة على ركيزتين: (التراث والثقافة الغربية)، فإن أعلام هذه النهضة في الجزائر قد بنوا أسس مرجعيتهم الثقافية في هذا المجال على دعائم ثلاثة هي: مصادر الثقافة الإسلامية، الأدب العربي القديم، الأدب العربي الحديث»[2]، فالثقافة الإسلامية تمثلت في علوم القرآن والفقه الذي استلهم منه فقه اللغة وعلوم البلاغة، وعلوم الحديث والسير الدينية التي وضعت اللبنات الأولى للفنون النثرية، أما الأدب العربي القديم فقد كان مصدر الأدب واللغة العربية ذخيرة الأدباء والنقاد وتراثهم الذي لا ينضب، يعودون إليه يغترفون منه، ثم الاستفادة من روافد الأدب الحديث الذي أثرته الحركة الأدبية في المشرق العربي بعد النهضة العربية.

ت- المرجعية الوطنية:

أما المؤثر الوطني فقد بدأ بحالة الوعي التي وصل إليها الشعب الجزائري عامة ورجال الدين والثقافة خاصة، نتيجة لما وصل إليه الوضع في الجزائر، فكانت الحركات السياسية والنضالية بكل تياراتها المحرك الفعّال في تغذية هذا الفكر، « ومن ثم يمكن القول بأن الحركة الوطنية قد أثرت في الأدب في جميع مراحلها، غير أن هذا التأثر اتخذ شكل التأييد المطلق وأغنى الأدب بتجارب سياسية في بعض الأحيان، واتخذ مرة أخرى شكل المعارضة والدعوة إلى مفاهيم جديدة تحقق للشعب حياة أكمل وأوفر كرامة من حياته في ظل الاستعمار»[3]، ومن خلال هذا الوعي الجديد والمتأثر بالشرق

1- محمد بن سمينة : في الأدب الجزائري الحديث(النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر- مؤثراتها – بدايتها – مراحلها)، مطبعة الكاهنة، الجزائر، دط، 2003، ص 65.

2- محمد بن سمينة: المرجع نفسه، ص 65.

3- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ص 26.

والغرب ظهرت فكرة المناداة بالتجديد في النقد والتلاقح بين الثقافة العربية والغربية، والاتصال بالفكر الخارجي والخروج من دائرة التقليدية إلى آفاق أرحب وأكثر ثراء، و« لقد اشتد هذا الاتصال بالغرب في هذا الاتجاه، وأصبح يقوم على وعي أكبر بضرورة تلاقح الآداب المختلفة، وعلى إدراك عميق لسنة التطور في الكون، وكان لهذا الاتصال أثر كبير في تطور النقد في المغرب العربي، وأصبح هذا الأثر بصفة خاصة في اتجاه النقد إلى مضمون العمل الأدبي وروحه بالإضافة إلى شكله، وفي ظهور بعض الفنون الأدبية الجديدة مثل القصة القصيرة والمسرحية »[1]، وظهور مجموعة من النقاد الذين دعوا إلى الاتصال أكثر بالفكر الغربي الجديد، رغم التحفظ الذي ساد في الساحة الأدبية خوفاً من الضياع في ثقافة المستعمِر والانفصال عن الثقافة العربية الإسلامية التي تمثل هوية الأمة، فكانت الدعوات محتشمة مترددة، « غير أن الدعوة الجريئة والصريحة إلى الاتصال بالغرب إنما أتت من رمضان حمود الذي جهر بدعوته في وقت كان النقد والأدب في المغرب العربي عبارة عن اجترار للقديم»[2]، وما لبث أن أيده بعض النقاد الذين انتهجوا نهجه في التجديد والانفتاح على العالم الخارجي.

وبعد أن بدأت الحركة النقدية تتطور في المشرق العربي ويتطور الأدب معها متأثراً بالتيارات الفكرية الغربية، ظهرت محاولات النقاد المغاربة لبعث أدب جديد تسري فيه روح الثورة على كل ما هو قديم، واللحاق بركب الأدب العالمي، وفي هذه المرحلة برز عند النقاد التأثريين فكر جديد يدعو إلى النهوض والتطور، وهذا ما نلحظه في الحركة الفكرية في تلك المرحلة، والتطورات الثقافية التي شهدتها الساحة العربية، وما أسهم في هذا التطور « أن النقاد التأثريين في المغرب العربي يرون أن من حق الأدب العربي أن يتطور، وأن يجدد من روحه وأدواته، وأن هذا التجديد لا يمكن أن يحصل إلا إذا تحرر الأدباء من التقليد الذي طبع الأدب العربي طوال

1- محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص82.

2- محمد مصايف: المرجع نفسه ، ص 82.

العصور الأخيرة وبداية النهضة، ونزعوا إلى التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، كما يرون أن كثيراً من الأغراض الأدبية، مثل المديح، والرثاء، وأدب المناسبات، ينبغي لها أن تتطور، وأن تعود تعبيراً عن وجهة نظر الأديب بصفة خاصة»[1]، وهذا ما نجده في كثير من التجارب التي وضعت اللبنات الأولى في بناء النقد الجديد في الجزائر عند أولئك الذين تشبعوا بالثقافة المحلية وانفتحوا على ثقافات الشرق والغرب على السواء.

ومن الملاحظ أن النقد الأدبي الجزائري عرف بدايات متعثرة تحتكم إلى الذاتية والمعيارية، وكانت كل المحاولات مجرد آراء متناثرة هنا وهناك في الصحف والمجلات والدوريات التي عرفتها الجزائر قبل الاستقلال، والتي « كان يدبجها بعض الكتاب، أمثال رمضان حمود، ومحمد سعيد الزاهري، ومحمد البشير الإبراهيمي وابن باديس، وحمزة بوكوشة، وأحمد بن ذياب، وعبد الوهاب بن منصور، وأحمد رضا حوحو، وغيرهم من الأدباء والمشايخ الذين لم نعرف واحداً منهم جعل النقد شغله الشاغل»[2]، وفي هذا يرى يوسف وغليسي أن بداية النقد الأدبي الحقيقية في الجزائر كانت مع أبي القاسم سعد الله في كتابه النقدي "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث".

ومع اندلاع الثورة التحريرية اتخذ النقد الأدبي الجزائري منحى جديداً في مساره، فكانت الثورة الملهم الأول للأدباء والنقاد، وبالانتقال من الفكر الإصلاحي الذي طبع مرحلة ما قبل الثورة، إلى الفكر الثوري الذي سخر له كل الأدباء والنقاد نشاطهم « وتشبع هذا الجيل بقيم الوطنية مثلما تجلت في مواثيق جبهة التحرير الوطني، وكانوا يقدمون نشاطات أدبية وثقافية وحتى سياسية لصالح الثورة التحريرية »[3]، ولكن انخراطهم في صفوف الثوار قد حدّ من نشاطاتهم الأدبية بسبب الحصار الذي ضربه

1- محمد مصايف: المرجع نفسه ، ص 102.

2- يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص09.

3- محمد ساري : في النقد الأدبي الحديث، مقامات للنشر والتوزيع،الجزائر، 2013، ص39-40.

الاستعمار الفرنسي على أي نشاط مناهض للاستعمار وداعم للثورة، فسجن من سجن منهم ونفي بعضهم وهاجر الآخر للدراسة في الخارج خاصة تونس والمغرب الأقصى والمشرق العربي، إلا أن أغلبية هؤلاء الكتاب بعد نفيهم أو فرارهم من الاستعمار وسجونه، قد زاولوا دراستهم في الخارج، مثل تونس، أمثال محمد الأخضر السائحي، عبد الله ركيبي، عبد الله شريط، عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطّار، ومحمد مصايف(...) وقد نشروا كتابات متعددة في المجلات التونسية(...)، وبعد فترة الذهول والفرح دامت سنوات قليلة، شارك هؤلاء بتنشيط الحياة الثقافية والأدبية في الجزائر، بكتاباتهم عبر الصحف القليلة المتواجدة آنذاك مثل جريدة الشعب والمجاهد الأسبوعي والملاحق الأدبية التي بدأت في الظهور وعبر المحاضرات والندوات الفكرية والأدبية[1]، مسهمين في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في مرحلة البناء المادي والمعنوي، بتناول أهم القضايا الوطنية والعالمية.

ومما أسهم في تطور النقد الأدبي في الجزائر، وعبر كل المراحل مجموعة من العوامل انتقلت به من النقد غير الواضح والبعيد عن الواقع المعيش، إلى النقد الذي يخدم الساحة الأدبية في الجزائر ويقوم الإبداعات، ويشارك في بناء المواطن والوطن، فكرياً وثقافياً وأدبيا، ومما يلاحظ على هذا التطور النقدي هو سيره المتعثر والبطيء كسير الأدب وتطوره، وبالتالي ليس هناك أدب متكامل يعيش مع مشاكلنا الذهنية والعاطفية، فكيف بعد هذا يحاول الحديث عن النقد الأدبي بينما النقد والأدب صنوان يسند ويكمل أحدهما الآخر»[2]، إضافة إلى إسهامات مجموعة من النقاد الجزائريين الذين زاولوا دراساتهم في بعض الأقطار العربية قبل الاستقلال، وعادوا إلى ارض الوطن للمشاركة في الثورة الجزائرية، والمشاركة في بناء الوطن بعد الاستقلال، « والذين يمارسون النقد الأدبي أو لهم علاقة ما به أمثال (محمد مصايف وعبد الله ركيبي

1- ينظر: محمد ساري : المرجع السابق ، ص39-40.

2 - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص80.

وأبو القاسم سعد الله) إنما يمثلون فئة من مثقفينا الذين استطاعوا أن يجمعوا بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة إلى حد ما، إنهم يمتلكون رصيداً محترماً من المعلومات في مجال التراث ولهم طرقهم في فهم التراث وتناوله»[1]، فكان الوضع العام في الجزائر في تلك الفترة أكبر محرض لهم للإسهام في الحركة الأدبية ومقاومة الظروف بكل الطرق والوسائل، حيث « أنتج لدى هؤلاء الأدباء الجزائريين رد فعل عنيف أدى بهم إلى الالتفاف حول الثقافة الوطنية والاحتماء بالمرجعية التراثية والقومية، لمقاومة كل أشكال الغزو برؤية واقعية تاريخية تجعل من الأدب رسالة ثورية ذات غاية إيديولوجية أساساً»[2] تضافرت مجموعة من الوسائل والعوامل في إنجاحها، وفي توفير الإمكانات المادية والمعنوية لتحقيق هذه المقاومة بنشر هذا الأدب وهذه الثقافة في الأوساط المثقفة وبين عامة الناس لإيقاظ الوعي العام.

3-عوامل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر:

عرف النقد الأدبي في الجزائر، تطوراً ملحوظاً تضافرت في انتقاله من مراحله التقليدية، وابتعاده عن سمته والانطوائية وارتباطه بالقديم، إلى مراحل الانفتاح على الآخر ومحاولات التجديد مجموعة من الوسائل، استطاع استغلالها مجموعة من رواد النقد الأدبي في الجزائر، أدت به إلى تلك القفزة النوعية التي ارتقت به إلى مصاف النقد العربي والعالمي، فكانت هذه الوسائل ممارسة فعلية أسهمت في بناء نقد جزائري جديد، وليس تقليداً فقط لما كان في المشرق العربي أو العالم الغربي، بل نتيجة التراكم الأدبي والنقدي المحلي من جهة، والاستفادة من الانجازات النقدية العالمية، ومن الوسائل التي جعلت النقد الأدبي الجزائري يخطو هذه الخطوات:

1- مخلوف عامر: متابعات في الثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط01، 2002، ص213.

2- رابح طبجون: التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي(مخطوط رسالة) قسم الآداب، جامعة قسنطينة، الجزائر،1999، ص43.

ا- الصحافة:

وبالعودة إلى أهم الوسائل التي عملت على نشر أفكار مثقفي وأدباء ونقاد الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي، نجد الصحافة، التي مثل ما عملت على نشر الدعاية الفرنسية بكل أفكارها الترويجية لثقافة المستعمر، حيث « كانت الجزائر قد شهدت بعد فترة وجيزة من وقوع نكبة الاحتلال ظهور بعض الصحف الاستدمارية»[1]، عملت الصحافة المحلية على نشر أعمال رجال الثقافة والأدب والدين لخدمة القضية الجزائرية، ورغم ما واجهته كل الجرائد والمجلات من حصار ومطاردة ومصادرة إلا أنها أدت خدمة جليلة للنهضة الفكرية والثقافية والأدبية، ودفاعاً عن الحقوق المشروعة لكل طبقات الشعب، كما أسهمت في نشر العديد من الأعمال الأدبية والنقدية، وتطوير الذوق العام وتوجيه العملية النقدية إلى الجديد في الإنتاج وفي الأسلوب، فكان لظهور عديد من الصحف الإصلاحية الدور الكبير في مواجهة الصحافة الاستدمارية، ومنها:[2]

- جريدة (الجزائر) لعمر راسم وقد أصدرها بالجزائر العاصمة سنة 1908.
- جريدة (الفاروق) لعمر بن قدور وقد أصدرها بالعاصمة أيضا سنة 1913.
- جريدة (النجاح) أصدرها عبد الحفيظ الهاشمي بقسنطينة سنة 1919، واستمرت في الصدور إلى غاية 1956، وتعد بذلك أطول الصحف عمراً أيام الاستعمار.
- جريدة (الإقدام) للأمير خالد سنة 1920.
- جريدة (صدى الصحراء) لأحمد بن العابد العقبي أصدرها ببسكرة سنة 1925.
- جريدة (المنتقد) لابن باديس أصدرها بقسنطينة سنة 1925.
- جريدة (الشهاب) التي ظهرت بعد مصادرة المنتقد، صدرت سنة 1925 واستمرت في الصدور إلى غاية 1939.

1- محمد بن سمينة: المرجع السابق، ص40.

2 - محمد بن سمينة: المرجع السابق ، ص41-42.

- جريدة (الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي أصدرها ببسكرة سنة 1927.
- جريدة (البرق) للشيخ السعيد الزاهري سنة 1927.
- كما أصدر الشيخ (أبي اليقظان) مجموعة من الجرائد (وادي ميزاب، المغرب، النور، الأمة).

ولم تستمر هذه الجرائد والمنشورات طويلاً، لأن الاستعمار وكما هو معروف لا يلبث أن يصادرها، أو يعتقل أصحابها ويمنعهم من النشاط الصحفي، « وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سارعت إلى اقتحام أسوار الميدان الإعلامي فأصدرت تباعاً (1933) ثلاث جرائد هي: (السنة، الشريعة، [السراط])، إلا أن الاحتلال كان من وراء هذه الصحف فأوقفها الواحدة تلو الأخرى»[1]، كما لم تعرف الساحة الإعلامية في تلك الفترة سوى هذه الجرائد التي تميزت بتوجهها الأدبي والإصلاحي، بل ظهرت عدة جرائد سياسية كذلك، لكنها « أقل عدداً واضعف أثراً على الناحية الأدبية من الصحف السابقة ومن أهمها:

-(الأمة) لسان حال حزب النجم ظهرت في فرنسا 1930.

-(المغرب العربي) أصدرها محمد السعيد الزاهري بالعاصمة 1947.

- (الشباب المسلم) أصدرتها جمعية العلماء باللسان الفرنسي 1952. »[2]

كان لهذا الكم من الجرائد والمنشورات، بكل توجهاتها السياسية والإصلاحية الدور الفعال في النهضة الأدبية والفكرية والسياسية، فقد أشرك كل الجزائريين في هذه الحركة الوطنية التي شاركت فيها كل التيارات والأفكار، الدينية والسياسية والثقافية والأدبية.

1- محمد بن سمينة: المرجع السابق ، ص42.

2- محمد بن سمينة: المرجع نفسه ، ص 43.

وليست الصحافة المحلية وحدها التي كانت منبر الأدباء والنقاد الجزائريين، بل كانت الصحف العربية تشق طريقها وسط الحصار المضروب عليها لمنعها من الوصول إلى المثقف الجزائري، ولم تدخر فرنسا جهداً في منعها من دخول الجزائر ومحاصرتها، « فلم تزل الحكومة الفرنسية في الجزائر تطارد الصحف العربية، وتتحاشى وقوعها تحت أعين الجزائريين، فما بشرت الأيام بجريدة عربية جديدة، إلا وتلقتها بقرار منع دخولها الجزائر»[1]، في محاولة إلى عزل المثقف الجزائري عن العالم أجمع وعن ارتباطه بالعالم العربي والإسلامي، « وبالرغم من هذه الرقابة الصارمة، والعين اليقظة فإن هذه المطبوعات لم تعدم طريقها إلى الجزائر، بل إن الصحافة الجزائرية زخرت بالمقالات المنقولة من كبريات الصحف العربية»[2]، فكان عرضها على الأدباء والنقاد في الجزائر استزادة في رصيدهم وتنويراً لمسارهم بما يرتبط بالحركة الأدبية والنقدية، « فكانت الصحف والمجلات تأتيهم مباشرة من مصر، أو تصل إليهم عن طرق غير مباشر، أو بين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة، وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وثقة وإيماناً بمستقبلهم العربي الإسلامي »[3]، وهذا ما أحدث في الجزائر حركة علمية أدبية تنتمي إلى النهضة الشرقية من ناحية، وتقتدي بها، ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث الأدبي[4] التي تأثر بها النقاد في المشرق العربي.

أما ما قدمته الصحافة الوطنية بعد الاستقلال، فقد كان مواصلة لمسيرة النضال والبناء والتحرير، ولأنها كانت أكثر تحرراً وأكثر نشاطاً ظهرت عدة جرائد ومجلات

1- صالح خرفي : المرجع السابق، ص 69.
2- صالح خرفي : المرجع السابق، ص 70.
3- صالح خرفي : المرجع السابق، ص71.
4- صالح خرفي : المرجع نفسه، ص 71.

وتطورت أخرى كانت سابقة في التأسيس، كجريدة الشعب وجريدة النصر ومجلة الجيش، وغيرها من المنشورات الصحفية والتي لم تكن متخصصة، بل كانت إخبارية ثقافية إعلامية، إلى أن ظهرت بعض الصحف والمجلات المتخصصة في الأدب كمجلة (أمال) سنة 1969م، حيث خصصت صفحاتها للإبداعات الأدبية معتمدة في عملية النشر على معايير الجودة والفائدة في محاولة لممارسة العمل النقدي، وإن لم يكن متخصصاً.

إلا أن ما تميزت به هذه الصحافة في الأدب هو عدم قدرتها على التمييز بين الغث والسمين، بل قد أساءت هذه الصحافة على حسب رأي ركيبي إلى النقد الأدبي، بالنشر لملء الفراغ، ولسد حاجاتنا إلى أعمال أدبية ونقدية، وهذا ما أدى إلى نشر الإنتاج الأدبي والنقدي دون مراعاة لمستويات هذا الإنتاج[1]، هذه الصحافة ورغم بساطتها في بدايتها، ورغم ما قيل عنها إلا أنها كانت أرضاً خصبة لنمو وتطور النقد الأدبي من خلال ما كان ينشره مجموعة من المبدعين الشباب من أمثال مرزاق بقطاش، وعبد العالي عرعار، وجيلالي خلاص، وبهذا كانت الصحافة من أهم الوسائل قبل وبعد الاستقلال التي قدمت كثيراً للعمل الأدبي، وشاركت في تطوره ونشره، وبظهور هذا الجيل الجديد في الساحة النقدية الجزائرية، ظهر ذلك التنوع الثقافي المتأثر بكل التيارات النقدية والفكرية، « وأشرعت فيها كل منافذ المعرفة النقدية الأجنبية والعربية»[2]، وبهذا بدأ هذا الجيل الجديد توظيف ما جدّ وما اطلع عليه من خلال الصحافة الوطنية، والصحافة العربية الوافدة إلى الجزائر من مناهج ومذاهب

1- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط03، 1983، ص255.

2- شريبط أحمد شريبط: الإشارات مقاربات في الأدب والثقافة والفكر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط 01، 2009، ص 252.

نقدية جديدة، وساعدته على نشر وتطوير تجاربه الأدبية والنقدية في الصحف والمجلات.

ب- الدراسات الأدبية:

عرف النقد الأدبي الجزائري عدة أعمال نقدية نظرت في الموروث الثقافي والأدبي، وحاول من خلالها ثلة من الباحثين والدارسين العودة إلى الماضي والبحث فيه، وتسجيله وتتبع مراحل تطور العمل الأدبي الجزائري، ومن مثل هذه الجهود نجد ما قدمه محمد الهادي الزاهري في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) والذي يقول عنه صاحبه: « فإن الذي ارجوه، ويرجوه كل من يشاركني، ولو أملاً في عملي هذا هو النهوض بالأدب الجزائري الذي لا يقل اعتباراً عن أي وطن كان، وإن كان الإهمال قد سلبه الاعتبار حتى مع الكثير من أهله»[1]، وعبد الله ركيبي من خلال دراسته في القصة الجزائرية القصيرة بتتبع مراحل نشأتها وتطورها، والأنواع القصصية التي عرفتها الجزائر في تاريخها الأدبي، إضافة إلى البحث في هذا الموروث الأدبي عن مواطن التجديد والإبداع.

وأهم القضايا التي تناولتها هذه الأعمال تلبية لحاجات الشعب آنذاك، ثم الشعر الجزائري في عدة أعمال، ككتاب(الشعر الديني الجزائري الحديث) وكتاب (الشعر في زمن الحرية) وكتاب (الأوراس في الشعر العربي)، فكانت دراسات ركيبي من أهم روافد النقد الأدبي في الجزائر، رصداً وتجميعاً ودراسة رفقة رواد النقد الأدبي من أمثال محمد مصايف، الذي قدم هو الأخر أعمالاً قيمة ككتاب (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي)، حيث اهتم في كثير من أعماله بالمناهج النقدية في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، كما قدم بيبليوغرافيا لمجموعة من النقاد والأدباء والأعمال الأدبية والنقدية، متناولاً « بذور النقد المذهبي بالمعنى العام لهذا المصطلح في المغرب

1- : محمد الهادي الزاهري: المرجع السابق، ص 28.

العربي»[1]، فكان كتابه هذا مرجعاً مهماً للباحث والدارس في النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، وإجابة لعدة أسئلة في النقد المغاربي.

وبهذا فأن المتتبع لتطورات النقد الأدبي في الجزائر، يلحظ مساره الثابت رغم ظهوره المتأخر، ورغم تأثره البالغ بالنقد في المشرق العربي، وهذا ليس عيباً بل دليل على انفتاحه وتنوعه بين المشرق والمغرب العربيين، وكذا تأثره بالنقد الغربي عندما أفاد من المذاهب والمدارس النقدية الغربية، التي أثرته وطورته ليساير العملية الإبداعية المتطورة، بعد أن مرَّ بمراحل عدة كانت في مجملها تتميز بالضعف والسطحية والجزئية، فمن المعروف أن الإبداع الأدبي في الجزائر كان ضعيفا بسيطاً إلى غاية العشرينات من القرن الماضي، وعندما بدأ في التطور والنمو أخذ النقد الأدبي كذلك في التطور والنمو، لأن الأعمال الأدبية الإبداعية تسبق الدراسات النقدية لتكون موضوعاً لها.

ورغم ما مر به النقد الأدبي في الجزائر إلا أنه استطاع على يد مجموعة من الذين حاولوا التأسيس له أن يساير ولو بخطوات أثقل مثيله في العالم العربي، مستفيداً من كل الروافد مشرقها ومغربها، « وقد استفاد منها المتن النقدي الجزائري استفادة كبيرة، فنهل كثيراً من المناهج النقدية العربية اللسانية، والأدبية ولم يغن النقاد الجزائريون الخطاب النقدي الجزائري فحسب، وإنما شاركوا في ثراء المعرفة النقدية العربية مشرقاً ومغرباً»[2]، ومن هنا نجد أنفسنا على قناعة كما قال (مخلوف عامر) : « بأن لدينا في الجزائر مجهودات في النقد الأدبي لا مجال لإنكارها وبغض النظر عن مستواها، وسواء أتعلق الأمر بجهود محمد مصايف وعبد الله ركيبي وأبي القاسم سعد الله، أو تعلق الأمر بمحاولات محمد ساري ومحمد طيبي وإبراهيم رماني ومحمد

1- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص258.

2- شريبط أحمد شريبط: المرجع السابق، ص 252.

بوشحيط، أو بالبحوث الأكاديمية التي أنجزتها مجموعة من جيل السبعينات ومنهم: الأعرج واسيني ومحمد طيبي والزاوي أمين وعمار بلحسن وربيعة جلطي والأعوج زينب وغيرهم...أو الانطباعات النقدية الصحفية التي يسجلها المبدعون أنفسهم من حين لآخر»[1]، فكانت نقلة نوعية استطاع من خلالها أن يسهم في الحركة الفكرية والأدبية، وأن يكون وسيلة نضال أخرى تنقل هموم الشعب الجزائري وانشغالاته، كنقله لإبداعاته وصوته إلى العالم.

4- من رواد النقد الأدبي الحديث في الجزائر:

عرف النقد الأدبي في الجزائر كما لاحظنا عدة تطورات ومراحل تأسيسية، كان قد أسهم في بنائها رجال الأدب والنقد في الجزائر، على اختلاف مدارسهم وتوجهاتهم، وهنا نورد مجموعة من النقاد على سبيل التمثيل لا الحصر، لأن الساحة النقدية في الجزائر تزخر بروادها على تعدد المستويات وحجم النتاج النقدي، ولا يمكننا حصرهم في هذا التقديم، إلا أننا اخترنا مجموعة نرى أنها كانت أكثر إنتاجا، وأكثر تأثيراً في النقد الجزائري في فترات زمنية مختلفة، إذ يعد هؤلاء من الجيل الطلائعي الذي فكّر وبادر إلى تأسيس نقد جزائري حديث.

ا- البشير الإبراهيمي:

من رواد الأدب والنقد في الجزائر، هو محمد البشير بن محمد السعدي الإبراهيمي، ولد في 1889 بقرية أولاد براهم قرب سطيف، ابن عائلة علم ودين، أجيز للتدريس وهو ابن الرابعة عشرة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ثم إلى دمشق، والتقى برفيقه ابن باديس، وبعد أن عاد إلى الجزائر في1920 كان له دور في تاريخ

1- مخلوف عامر : المرجع السابق، ص219-220.

الجزائر النضالي والفكري، وكانت أثاره مصدراً هاماً للدراسات الأكاديمية[1]، فكان نضاله الفكري سلاحاً في معركة التحرير، مما دفع الاستعمار إلى سجنه، ونفيه، وفرض الإقامة الجبرية عليه، بسبب ما كان ينشره من مقالات في الوطنية والفكر والثقافة والأدب والسياسة.

فكان صوت الإبراهيمي المتميز بلغته وأسلوبه وأدائه وأفكاره الجريئة التي تتسم بقوة المنازع العربية، وصفاء المشاعر القومية، وهو الذي أدرك دور اللغة العربية في مواجهة التحديات التي تحاول القضاء على الثقافة والعروبة في الجزائر، وقد ترك كثيرا من الأعمال منها:

« – كتاب (أسرار الضمائر العربية).

- وكتاب (نظام العربية في موازين كلماتها).
- وكتاب (شعب الإيمان).
- وعدة روايات ومقالات وخطب»[2].

ب– أبو القاسم سعد الله:

وُلد الأديب والناقد والمفكر الجزائري أبو القاسم سعد الله بقرية (البدوع) من وادي سوف حوالي (1930)، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، وبعد الحرب العالمية الثانية سافر إلى تونس دارساً بجامع الزيتونة مشاركاً في الوسط الأدبي بقلمه، ثم سافر إلى القاهرة حيث حصل على ليسانس في الأدب من كلية دار العلوم، ثم سافر إلى أمريكا وعاد

1– ينظر: أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط01، 1996 ، ص346–347.

2 – أحمد دوغان: المرجع نفسه، ص 347.

منها بشهادة الدكتوراه في التاريخ سنة (1965)[1]، من أبرز النقاد والدرسين الذين قدموا الأدب الجزائري المعاصر إلى القارئ العربي، ومن أهم المفكرين والباحثين الأوائل في الجزائر والمغرب العربي الذين شغلهم الانتماء القومي والثقافي والحضاري، من خلال الدراسات والبحوث التي قدمها في الأدب والفكر والتاريخ والتعريب في الجزائر، تطوع في جيش التحرير الجزائري، فكانت نظرته للجزائر نظرة ثورية تحررية لا تحدها حدود جغرافية ولا انتماء محلي، وكان انتماءه العربي أكبر واشمل حيث يمتد من المحيط إلى الخليج.

وإذا كان أبو القاسم سعد الله قد غلّب الدراسات التاريخية على الأدب والنقد إلا أنه كان يكتب الشعر والدراسات الأدبية والنقدية[2]، فهو الذي قدم عدة أعمال أدبية مثل ما كان ينشره من دراسات في (البصائر) الجزائرية، و(النهضة والأسبوع) التونسيتين، و(الآداب) اللبنانية، إضافة إلى تأسيسه ل(رابطة القلم الجديد) سنة 1952، وفي المجال الثقافي كان له كتاب (منطلقات فكرية).

ومن مؤلفاته الأدبية:

«- في الشعر(النصر للجزائر) سنة 1957،(ثائر وحب) سنة 1967،(الزمن الأخضر) سنة 1985.

- في القصة (سعفة خضراء) سنة 1986.

1- ينظر : محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 2006، ص678.

2- ينظر: أحمد دوغان: المرجع السابق: 362-363.

– في الدراسات (دراسات في الأدب الجزائري الحديث)، سنة 1966، (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث) سنة 1961، (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) تحقيق سنة 1977»[1].

وكثير من الدراسات والبحوث التاريخية والفكرية.

ت– محمد مصايف:

من يتحدث عن النقد الأدبي في الجزائر والمغرب العربي، لابد أن يتحدث عن الأديب والناقد الجزائري محمد مصايف، هذا الناقد الذي يعد من رواد النقد الأدبي في الجزائر، حيث كان له الدور الكبير في تعريف القارئ والدارس العربي بالحركة الأدبية والنقدية في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، إضافة إلى تفانيه ونضاله الدؤوب من أجل إنجاح مهمة التعريب والتعليم في الجزائر، لتكون مجهوداته النقدية من الدروس الأولى في النقد الأدبي في الجزائر.

ولد محمد مصايف « عام 1928 بمنطقة ندرومة في تلمسان، تحصل على شهادة الابتدائية فيها، ثم الثانوية في تونس بين عامي 1947 و1950، وبعد انقطاعه عن الدراسة أيام الثورة التحريرية وانشغاله بها عاد لإكمالها بعد الاستقلال بجامعة الجزائر بين عامي 1965 و1969، ثم نال إجازة في الأدب، ومن جامعة القاهرة تحصل على دكتوراه دولة، وبعدها اشتغل أستاذاً في النقد الأدبي الحديث بجامعة الجزائر وعميداً لكليتها»[2]، صدر له في النقد:

«– جماعة الديوان في النقد سنة 1974.

– فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث سنة 1974.

1– أحمد دوغان: المرجع السابق، ص340.

2– ينظر: أحمد دوغان: المرجع نفسه، ص 340–341.

- في الثورة والتعريب سنة 1979.

- النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي سنة 1979.

- القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الاستقلال سنة 1981.

- الرواية الجزائرية العربية الحديثة سنة 1983.

- النثر الجزائري الحديث سنة 1983»[1].

ث- عبد الله ركيبي:

وُلد عبد الله خليفة ركيبي عام 1928 بقرية (جمورة) الواقعة بولاية (ببسكرة)[2]، تلقى تعليمه الابتدائي في الجزائر، وفي عام 1947م ذهب إلى تونس، وانتسب إلى جامع الزيتونة، وتخرج منه في 6 نوفمبر 1954م، متحصلاً على شهادة التحصيل، فرجع إثر ذلك إلى الجزائر[3].

- التحق بالثورة التحريرية في يوم 17 ديسمبر 1954م، بسبب علاقته بالبطل الشهيد مصطفى بن بو العيد.

- ألقت السلطات الاستعمارية القبض عليه في يوم 7 مارس 1956م، فاعتقل في سجن (آفلو)، وأرغم بعد ذلك على الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، ولكنه سرعان ما فر منها، ملتحقاً بصفوف الثورة في الجبل، حيث بقي فيه لمدة ستة أشهر، انتقل بعدها إلى

1- أحمد دوغان: المرجع السابق، ص 341.

2- ينظر: أنيسة أحمد الحاج: المسار النقدي لدى عبد الله ركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص237.

3- ينظر: أحمد دوغان: المرجع السابق، ص471.

تونس، فعمل موظفاً بالمدرسة الصادقية[1].

«»- أرسلته جبهة التحرير في عام 1960 إلى مصر، فانتسب إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة، فنال فيها الإجازة عام 1964م.

- ومن أنشطته الوطنية في القاهرة رئاسته للجنة الطلبة الجزائريين.

- عاد إلى أرض الوطن في 1964م، فاشتغل أولاً مدرساً بالمعهد الوطني التربوي بمدينة الجزائر، ثم بثانوية حسين داي (1965-1966)، وحضر خلال هذه السنوات (1964-1967م) رسالة الماجستير حول "القصة الجزائرية القصيرة" بجامعة القاهرة.

- انتسب في عام 1967 إلى أسرة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، وحضر أثناء ذلك رسالة دكتوراه، حيث حصل عليها عام 1972م، حول موضوع " الشعر الديني الجزائري الحديث".

- كتب أول قصة قصيرة بعنوان "الكاهنة"، وهو طالب بجامع الزيتونة، وقد نال الجائزة الأولى في مسابقة أدبية شارك فيها 65 كاتباً.

- كتب بعد ذلك مجموعة من القصص جمعها في كتاب بعنوان "نفوس ثائرة". نشرته الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع عام 1962م»[2].

«- ترأس لجنة الفكر والثقافة التي كونها حزب جبهة التحرير الوطني من 1973 إلى عام 1976 م.

- شغل منصب أمين عام مساعد لاتحاد الكتاب الجزائريين من 1974م إلى 1976م.

- أشرف على بحوث جامعية عديدة، وأسهم في مناقشة كثير من الرسائل

1- ينظر: أحمد دوغان: المرجع السابق، ص471.

2- أنيسة أحمد الحاج، المرجع السابق، ص242-243.

والأطروحات الجامعية»[1]، له:

1- مصرع الطغاة (مسرحية) - تونس 1959م.

2- دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث - القاهرة 1961م.

3- نفوس ثائرة (مجموعة قصصية) - القاهرة 1962م.

4- القصة الجزائرية القصيرة (دراسة)، (ط3)، - ليبيا، تونس عام 1977م.

5- قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث - القاهرة 1970م.

6- تطور النثر الجزائري الحديث، ليبيا، تونس 1978م.

7- الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى- الجزائر 1982م.

8-الشعر الديني الجزائري الحديث - الجزائر 1983م.

9-عروبة الفكر والثقافة أولاً - الجزائر 1986م.

10- ذكريات من الثورة الجزائرية- الجزائر 1985م.

11- الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار- الجزائر 1986م.

12- فلسطين في النثر الجزائري الحديث- دمشق 1986م.

13- في زمن الحرية.

14- في مدينة الضباب ومدن أخرى.

15- الهوية بين الثقافة والديمقراطية (دراسات أدبية ومقالات) - الجزائر 1994.

1- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، (في حوار أجراه معه سعد جبار لصالح جريدة العرب بلندن، ونشر الحديث في الجريدة في 1990/02/06)، ص 161.

16- أحاديث في الثقافة والأدب.

17- مجموعة من المقالات المنشورة في جريدة الشعب الجزائرية بين سنتي 1965 و1969[1].

توفي: يوم 19 أبريل سنة 2011.

عبد الله ركيبي، مسيرة أدبية حافلة وثرية بالانجازات الفكرية والنقدية المميزة، ومسار نضالي مليء بالتضحيات والمقاومة والجهاد المعنوي والمادي، وهذا ما انعكس فعلياً على كل أعماله الإبداعية والنقدية، فكفاحه في صفوف جيش التحرير، ونضاله في رحاب الحركة الأدبية، وحرصه على استرجاع السيادة الوطنية، والحفاظ على الهوية والثقافة المحلية جعله يسخّر كل طاقاته الفكرية لخدمة القضية الوطنية قبل الاستقلال وبعده.

فالمتتبع لهذه المسيرة والمنقب في هذا الرصيد المعرفي الهائل لعبد الله ركيبي سيلحظ ذلك التوجه الفكري الذي يصب في اتجاه واحد، اتجاه الكفاح من أجل الجزائر أولاً والأمة العربية ثانياً، وكما سنرى فإنه قد تجند وجند جهده وقلمه بحثاً ودراسة في الموروث الأدبي الجزائري والعربي عن أهم النقاط التي ارتكز عليها الأدباء في تبليغ رسالتهم، حيث حاول « أن يتحسس عدداً من المسالك لدراسة آليات النقد الأدبي، توزعت بين محاولة فهم الطاقة التعبيرية للغة والأدب، وبين محاولة فهم الظاهرة النقدية ببيان حدودها وطبيعة علاقتها مع المعارف المعاينة التي عضّدتها، محاولاً تقليب النظر في شبكة العلاقات القائمة بين النقد الأدبي وأبرز العلوم الإنسانية، واثبات شرعية العلاقة القائمة بينها»[2]، كما كان شديد الحرص على توجيه العمل الأدبي

1- ينظر : أنيسة أحمد الحاج، المرجع السابق، ص242-243.

2- رابح طبجون : النقد الأدبي مناهجه وقضاياه عند الدكتور عبد الله ركيبي، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ع: 12، 2005/11/10، ص 331.

إلى مساره الصحيح الذي يخدم هذه الأمة، والباحث في الحركة النقدية الجزائرية يلحظ ما قدمه هذا الناقد، ليستحق أن يكون من الجيل الطلائعي الذي حاول تأسيس نقد جزائري ناضج ومتكامل، وكما كان يراه، نقداً يحمل خصوصية الثقافة والفكر والأدب الجزائري، ولقد « استطاع الدكتور عبد الله ركيبي أن يرسم ملامح وفكر وأدب الجزائر المعاصر، فهو أحد الرموز الثقافية المهمة في الجزائر، وله مكانته المعتبرة في الساحة الثقافية والفكرية العربية، وتعد آراؤه النقدية حجة أشواطاً جديدة إلى الأمام»[1].

كما تجدر الإشارة قبل الخوض في دراسة أعمال ركيبي، والبحث في خطابه النقدي عن فعل المقاومة في صورها المختلفة، إلى تلك المصطلحات المتعددة التي كان يستعملها للدلالة على فعل المقاومة، لأننا لاحظنا أنه كان كثيراً ما يوظف في نعت المقاومة عدة ألفاظ تصب في مجملها في مفهومه لفعل المقاومة، فأحياناً نجده يطلق عليها لفظ النضال وأحياناً الكفاح والرفض وأحياناً أخرى ينعتها بالثورة والتمرد، وفي رأينا هذا ليس خلطاً في المفاهيم والمصطلحات، وإنما هو تعدد في الوصف على حسب الظروف والحالات والمواقع، فالكاتب يقاوم برأيه وفكره، والمسلح يقاوم بالقتال والثورة، والسياسي له وسائله النضالية في المقاومة، وهذا التعدد من منطلق واحد وإلى هدف واحد مهما تعددت التوجهات والمشارب، وكل هذه الأفعال التي وظفها ركيبي أفعال مقاومة.

ومع أن الحالة الاجتماعية واحدة، والظروف القاسية والمعاناة واحدة، والمصير مشترك، فإنها تستدعي أيضاً توحيد الجهود والتجند صفاً واحداً في خندق المقاومة، كلٌ ووسيلته وطريقته، ولهذا فإن ناقدنا كان يهدف دائماً إلى إبراز وتزكية فعل المقاومة على كل الأصعدة، وفي كل أشكالها وإن تعددت مصطلحاته، وما ممارسته النقدية إلا

1- عبد الله ركيبي، حوارات صريحة، مقدمة بشير عبد الحفيظ في حواره مع ركيبي لصالح جريدة الشرق الأوسط بلندن، ص184.

حركة مقاومة تميز بها ناقدنا في كل خطواته وأعماله.

كما نجد في مجموع مؤلفات ركيبي على تنوعها وتعددها، ذلك الاهتمام البالغ بمجموعة معينة من القضايا والموضوعات، وهذا ما جعل كثيراً من هذه القضايا تتكرر في أغلب الأعمال النقدية، وهذا ما عمد إليه ركيبي حين تناول مواضيع، كالقصة الجزائرية والشعر الجزائري الحديث، وقضية القومية العربية، وغيرها في جل مؤلفاته ولكن بشيء من التغيير والتجديد، وهذا لأسباب عدة، نعتقد أنها وراء هذه التكرارات والتغيرات في الآراء والمواقف منها:

- أهمية هذه القضايا والمسائل في الساحة الاجتماعية والأدبية، وضرورة الاستمرارية في تناولها ومعالجتها.
- تطور الوعي النقدي عند ركيبي وتجدد رؤيته ومسايرته للتطورات والمستجدات الثقافية والأدبية.
- المحافظة – كما قال ركيبي– على أفكاره ومقولاته المنتشرة هنا وهناك بين الصحف والمجلات واللقاءات الصحفية، وتقديمها لكل الأجيال والقراء في كل مكان.

وبهذا نجد أنه قدم خطاباً نقدياً متجدداً ومتنوعاً يساير الحركة الأدبية والنقدية في الجزائر ويثريها.

الفصل الأول المقاومة والأدب

1- المقاومة

أ- أشكال المقاومة

ب- المقاومة الثقافية

2- المقاومة والأدب

أ- وظيفة الأدب

ب- أدب المقاومة

ت- مقاومة الفكر

خلاصة

1 -المقاومة:

المقاومة هي الرفض والتصدي للدخيل، وهي مواجهة الظلم والاحتلال، المقاومة هي النضال والثورة على كل مخططات الآخر للسيطرة علينا، وبجميع الوسائل المتاحة، عسكريا وسياسياً وثقافياً وفكريا وأدبياً، و من الأدب ما هو تمرد ورفض، وهو شكل آخر للمقاومة والثورة على الجمود والتخلف والظلم والقهر، من أجل الحرية والكرامة.

فمنذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، وهو يقاوم الطبيعة والوحوش الضواري، كما يقاوم بني جنسه حفاظاً على نفسه وصغاره وصيده وأرضه، في محاولات مستمرة لإثبات وجوده أمام طغيان الطبيعة والآخر، متكيفاً مع هذه الظروف والعوامل، و« ظاهرة المقاومة، ظاهرة عامة إن في الطبيعة أو عند الإنسان، ففي الطبيعة تشاهد يوميا أمثلة متكررة على مقاومة المواد بأنواعها، والحجر الضخم نفسه يقاومني حين أريد زحزحته، وكذلك الباب، كما يقاوم الوليد أحيانا ما تريد الأم فعله معه»[1]، فتعددت أنواع المقاومة واختلفت أشكالها باختلاف الظروف والمؤثرات المضادة، وبتطور الوسائل المتاحة التي تطورت بتطور الإنسان وفكره.

أ- أشكال المقاومة:

لذا فإن المقاومة في إطارها الطبيعي لا تتعدى حدود الأجسام والمواد وتأثرها بمقاومة الجاذبية والرياح والحرارة، أما في علاقتها بالإنسان والوجود فهي فعل إرادي يسعى إلى إثبات الوجود والحفاظ عليه، وبما أن جسم الإنسان يقاوم كل الظروف

1- عزت قرني : أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة، مجلة ثقافة المقاومة، جامعة فيلادلفيا، عمان، الأردن، ع:10،2006، ص 92.

والمؤثرات الداخلية والخارجية كمقاومة المناعة والجلد وبقية الأعضاء لما يحيط به من دخلاء غير مرغوبين، فإن العقل البشري بوصفه عضواً أساسيا لدى الإنسان، فإنه دون شك يمتلك صفة المقاومة كذلك، ولأن عقل الإنسان الواعي يمتلك القدرة على ربط العلاقات ودمج المعطيات والابتكار والتطوير، فإنه قادر على فهم وتطوير أشكال هذه المقاومة وتنويع أساليبها وابتكار وسائلها الجديدة، لتغدو « المقاومة شكل لظاهرة من الظواهر الحيوية الذهنية الأساسية»[1]، تجعل من النشاط الذهني يقوم بمهمة مقاومة بابتكار سبل البقاء والحفاظ على الحياة.

لذا « فإننا حين نرتفع من أعضاء الجسم الإنساني إلى وظائف الذهن الإنساني سنجد أن أول مظاهر النشاط الذهني هي ما نسميه " التوجه الذهني الذاتي"، وهنا أيضا نجد أساسا لرفض ما قد يأتي من الخارج ليفرض إن على الجسم أو على الذهن»[2]، فالتوجه الذهني الذاتي هو الإرادة الواعية لما حولها من دوافع وأسباب، وواعية بما يجب عليها لتواجه كل دخيل.

ومنذ البدايات الأولى لحضارة الإنسان بوصفه كائناً مفكراً، بدأت الأساطير والخرافات تحاك حول حياة البشر وعلاقتهم بالطبيعة والآلهة، وحروبهم مع السماء والأرض في صراع أزلي بدأ بسخط الإنسان وتمرده على آلهته الخالدة على حسب اعتقاد الحضارات القديمة، فما كان حكمها عليه بالفناء يرضيه، فقد كان الموت أكثر شيء يؤرقه ويقض مضجعه، وهاهو جلجامش البطل الأسطوري يقاوم قدر الآلهة والطبيعة المتمثلة في الفناء، يقاوم الموت بالبحث عن الخلود، فجلجامش الذي قاومه شعبه هو الأخر، حاول «البحث عن سر الخلود، بعد أن أفزعه موت صديقه " انكيدو"

1- عزت قرني: المرجع السابق، ص 92.

2- عزت قرني: المرجع نفسه، ص 94.

وأدرك أنه سينتهي إلى مثل نهايته، غير أن محاولات هذا البطل انتهت بالخيبة والانكسار ومن ثمة التسليم بعدم جدوى بحثه»[1]، وفي صورة أخرى نقلت لنا الأسطورة شكلاً آخر للمقاومة، فلم تكن مقاومة الطبيعة وحدها هي التي تشغل فكر الإنسان، بل تعدى هذا الفكر المقاوم حدودها ليذهب إلى مقاومة إرادة آلهته، مثل ما روت الأساطير عن "بروميثيوس" الذي خرج عن إرادة ألهته بوقوفه في صف الإنسان حين نقل له نعمة النار، فما كان من جوبيتير إلا الرفض، ليفعلها بروميثيوس وحده فنزلت عليه لعنة الآلهة جوبيتير عقابا شديدا، كالذي نزل كذلك على " سيزيف" البطل المقاوم حين « حكمت الآلهة على سيزيف بأن يرفع صخرة بلا انقطاع إلى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية»[2]، سيزيف الذي وضع الموت في الأغلال وفضل بركة الماء على الرعد السماوي، فكان هذا العقاب في العالم السفلي على ما بدر منه من رفض ومقاومة، فكانت هذه الأسطورة الملهم العظيم لكثير من الفلاسفة والأدباء، و« لقد اتخذ ألبير كامو من هذه الأسطورة العظيمة محوراً فكرياً لنظريته في " عبث الوجود الإنساني"(...)، في أنها تجسيد عميق للصراع الأبدي بين الإنسان والظروف المحيطة به »[3]، فرمزية هذه الأسطورة تتعدى حدود العمل الأدبي إلى الدعوة والتحريض على الرفض والمقاومة.

وبهذا فإن الإنسان الرافض المقاوم كان دائم السعي وراء الحرية بكل الوسائل والأشكال على تعددها وتنوعها عبر الأزمان، فكل مرحلة كانت تتطلب وسيلة ما وطريقة معينة تتطور بتطور الفكر الإنساني، وهنا قد صورت لنا الأسطورة عدة أشكال وأنواع من المقاومة كما صورها الأدب عبر العصور، و« الأكيد أن كل فكر

1- عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، العراق، 1978، ص 167.

2- ألبير كامو: أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1983، ص 138.

3- غالي شكري: أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، 1970، ص06.

مقاومة لابد له من التمتع بجرع من ينبوع الجرأة والتمرد والانقلاب، ولابد له أن يخلق توتراً قائماً بين المضطهد والسلطة بأشكالها المعاصرة (...) فللمقاومة قانون حراك هدفه الأساسي الحرية الإنسانية، وبالتالي تكون المقاومة قابلة لشتى التحليلات»[1] ، ومع هذا التوتر يخلق فعل المقاومة الذي يزعزع المهادنة والخنوع، ويبعث في النفوس قانوناً جديداً يعيد تنظيم العلاقة بحراك مستمر يقوده ذلك المقاوم الذي يعي جيداً أفكار المهيمن، ومدى قدرته على التعاطي مع هذه الأفكار والمفاهيم الفلسفية التي تقتضيها المقاومة لأن « المقاومة تتركب من شبكة مفهومية ترافقها تقتضي كل منها الأخرى، لكن الأهم هنا كيفية التعاطي مع هذا المفهوم وإشكالاته وبيان مقومات هذه المسألة الفلسفية التي تقتضي دقة وصرامة نظراً إلى ما تحمله في طياتها من تشابك وتعقيد »[2]، فليست المقاومة فعلاً لا إرادي وحده، بل هي فلسفة ترافق الفعل وتوجهه وتؤطره لتضعه في مساره الصحيح ليؤدي مهمته في جميع المستويات.

ومن خلال هذه المفاهيم الأولية فإن « الإطار العام للمقاومة إنما هو حفظ الحياة وحفظ الذات»[3]، وهذا السعي الدؤوب للحفاظ على الوجود إنما هو نشاط يتميز به الإنسان بقصديته ووعيه، لذا فـــإن « المقاومة هي نشاط قصدي للحفاظ على أساسيات الوجود الإنساني، ولما كان الكائن الإنساني هو الكائن الحي الفاعل قبل أية صفة أخرى له، فإن المقاومة الجوهرية تصبح " فعلاً " على أعلى درجة»[4]، لأن فعل المقاومة يتخذ أشكاله المتعددة وأساليبه المتنوعة، كالمقاومة المادية، والسياسية والثقافية، والأدب والثقافة من أهم مظاهرها، أو بالأحرى من أهم الطرق والوسائل المعتمدة في تشكيل

1- أماني الزعيبي: في المقاومة لدى أنطونيو نغري، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016، ص 161.

2- أماني الزعيبي: المرجع نفسه، ص 162.

3- عزت قرني: المرجع السابق، ص 93.

4- عزت قرني: المرجع نفسه، ص 93.

وعي وفكر رافض ومقاوم، لأن «الحياة مقاومة مستمرة، والأدب نسغ تلك المقاومة الذي يسري في شعاب القلب والروح ليبعث الحيوية ويجدد الحياة ويحرص على فعل المقاومة. وحين يتعرى القلب، وتتشقق جذوع الروح، وتقف هيكلا عظيما باهتاً مرمداً يقاوم الهلاك والتهالك والتهافت، يسري سحر الكلمة صادقة منقذة ليبدع الحياة ويبعثها، ولينعش هيكل الروح فيخضر ويخصل ويزدهر ويقبل على ما في الكأس من بقية، حتى وهو يغالب ترسبات الحنظل فيها»[1]، ويبقى الأدب والفن والثقافة من مصاحبات المقاومة عبر كل العصور وفي كل الحضارات.

ب- المقاومة الثقافية:

ولما تعددت أشكال المقاومة في الفكر الإنساني، من خلال تنوع الثقافات وتطورها، فإن المقاومة ترتدي زي الثقافة أيضاً، وهكذا كانت المقاومة الثقافية صوتاً آخراً من أصوات الشعوب، « والمقاومة الثقافية ليست بإعلان الحرب وحمل السلاح ضد جبهة ما..المقاومة هي أن أسير عكس التيار السائد..أن أقول لا حين تسود كلمة نعم، يكفيك أن ترفض الخضوع للعادات والتقاليد السائدة حتى تصبح مقاوماً ! يكفيك أن تحمل قلمك وتكتب لمحاربة السلطة، أي سلطة كانت»[2]، وللحديث عن المقاومة الثقافية يتبادر إلى أذهاننا سؤال مصدر هذه الثقافة، ورواجها في فلسفة الفكر العربي، وللإجابة عن هذا السؤال كان علينا أن نبحث في الثقافة العربية والغربية على السواء، قديماً وحديثاً، وهنا ودون الإيغال في تاريخ الشعوب والحضارات ولكن بشيء من الإيجاز وفي بعض المحطات، « إن الحديث عن ثقافة المقاومة في الخطاب الفلسفي العربي

1- ينظر:علي عقلة عرسان: عناق المقاومة و الأدب، الأسبوع الأدبي، دمشق، سورية، ع 19 ،2000/07/29، ص01.

2- فاطمة الحصي: ثقافة المقاومة عند محمد أركون، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016، ص94.

يندرج في إطار الحديث عن فلسفة الفعل باعتبار أن هذه الأخيرة تعطي الأولوية للفعل على النظر العقلي المجرد، فهي ترى أن الحقيقة تكتسب بالعمل لا بالتأمل المجرد»[1]، وهذا ما وجدناه عند الناقد عبد الله ركيبي الذي يركز على دور الثقافة القومية التي من شأنها أن تعيد للشعب مقومات شخصيته وهويته، « ومن هنا يتفق ركيبي مع رأي "برونسلاو مالينوسكي" في أن الثقافة مجموعة من القيم الروحية والإنسانية، لذا، فمصير الإنسان رهن دائما بثقافته فهي تحتل مرتبة رئيسة في تكوين الفرد وبناء شخصيته، ولعل هذا ما سيدفعنا للقول: إنّ الثقافة لدى ناقدنا هي نظرية في السلوك أكثر منها نظرية في المعرفة»[2]، فالممارسة تشكيل لتلك المعارف، وتمثيلاً حقيقياً لها.

وما دامت المقاومة في شكلها الثقافي هي السلوك المباشر وردة الفعل قبل البحث عن نظريتها، فإنها فعل إنساني على كل المستويات، الظاهرة منها والخفية، إنها عملية الإبداع الثقافي الفعلي لأشكال الرفض، « إن المقاومة هي ثقافة المرفوض ضد المفروض، الثقافة هي مقاومة ضد الهيمنة، لكنها مقاومة ذكية، دهليزية تحتية، وأيضا نحتية، بإبداع المفاهيم المصاحبة للمقاومة، وابتكار المعيش اليومي في ارتقائه الآلي وارتحاله الفني»[3]، في مسيرة بحث وسعي لقلب الموازين وترجيح الكفة.

وهذا البحث عن مكملات التحرر قد شغل الفكر في مشارق الأرض ومغاربها، رفضاً لثقافة المستعمر لأن « طبيعة الثقافة الاستعمارية تكمن أساساً في سعيها إلى جعل الثقافة المحلية في تبعية دائمة لها، ففي ذلك قوتها واستمراريتها وتأبيد سيطرتها،

1- الشريف طوطاو: التأسيس الفلسفي لثقافة المقاومة عند حسن حنفي، ثقافة المقاومة،منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر ص68.

2- أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص14.

3- محمد شوقي الزين: تكتيكات الهامش أمام استراتيجيات المركز-الثقافة والمقاومة عند ميشال دوسارتو تمثلات، نماذج، ممارسات، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016، ص156.

وفي ذلك – بالعكس– ضعف الثقافة المحلية وانتكاسها وتبعيتها»[1]، وفي رحلة البحث التي تحدث عنها "فرانز فانون" في مقالته التي نشرها سنة 1959 في مجلة "الثقافة والأمة" حين أكد على ضرورة مرافقة المقاومة الثقافية للمقاومة المسلحة، « وفي تحليله يعطي أهمية كبيرة للمقاومة الثقافية التي يجب أن ترافق المقاومة العسكرية وتسير بجانبها ومن دونها لن تكتمل عملية التحرر، وقد تلقت الشعوب المستعمرة ومثقفوها دعوة فانون باهتمام كبير لأنها كانت –بالنسبة إليهم– نبوءة في وقت كان الضياع هو ما يميز كل أولئك أمام الآلة الاستعمارية التي عملت على التشكيك في قدرات تلك الشعوب وتراثها الثقافية وجعلها تابعة لأوربا سياسياً وثقافياً من خلال مصادرة هويتها وطمس معالمها الثقافية»[2]، ولم يكن "فانون" الصوت الوحيد الذي نادى من تحت هذه الآلة القمعية الفرنسية العنصرية، بل تعددت الأصوات التي تعالت هنا وهناك « مع الصحوة النقدية المعاصرة والمسار الفلسفي المتجدد الذي خاض غمار البحث فيه عدد غير قليل من المنتمين إلى الأوساط الامبريالية، وصدعت أصوات الذين رفضوا السير وراء تيار قمعي عَبَر القارات وفتك بثقافات وتواريخ عديدة، هؤلاء الذين شيدوا صرح المقاومة الثقافية أمثال إدوارد سعيد وهومي بابا، وبيل أشكروفت، و وليامز رايمون، و ول شوبنكا وأشنوا أشيبي...وغيرهم من الذين سخروا طاقاتهم المعرفية للرد بالكتابة على كل أصناف القمع سواء كان ثقافياً رمزياً أم مادياً قهرياً »[3]، وحملوا لواء التصدي والصمود بكل ما أوتوا من إمكانات فكرية ونتاج أدبي وثقافي في مواجهة القمع والطغيان، ورفض فكرة مركزية الثقافة الاستعمارية السائدة باسم الحضارة

1– مخلوف عامر: المرجع السابق، ص206.

1– سليم حيولة: أدب ما بعد الاستعمار، الهجنة كشكل من أشكال المقاومة الثقافية، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016، ص406.

3– أم السعد حياة: أوجاع الذاكرة وسيناريوهات المقاومة في كتابات رضوى عاشور، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016، ص 228.

والعلم، « ولقد كنا في الجزائر ضحية هذا الفهم الخاطئ الذي حمل لواءه مستشرقون لهم أفكار وميول استعمارية وجاراهم في ذلك مثقفون من البلاد، وربما اندفع هؤلاء أو بعض من أولئك بنوايا حسنة، إلا أن النوايا الحسنة وحدها لا تكفي، بل عهدها قد ولى ولم تعد تتبدل من وجوه المحتلين سوى الأغلفة»[1]، لتستمر سياسة المستعمر في طمس معالم الثقافة المحلية، وتعطيل النمو الثقافي وضرب الأدب بعدّه من مقومات الثقافة.

ولعل ركيبي أكثر حرصاً على تمسك ثقافتنا بأصولها وارتباطها بجذورها، وما خالفت هذا إلا صارت خطراً على فكر المجتمع و« إن أي ثقافة لا لون لها ولا عقل يحركها ويوجهها، تصبح خطراً على المجتمع وعلى وحدته»[2]، فدعوته إلى ثقافة أصيلة مشروط بارتباطها بالعقل الذي يوجهها، إضافة إلى انتمائها إلى وطنها وقوميتها وهذا هو فكر الأمة الذي يواجه ثقافات السيطرة والهيمنة، وفي حديثه عن علاقة الثقافة بالمجتمع يشدد ركيبي على الصلة الوثيقة بين الثقافة وحركة الشعوب التقدمية، فلا نجاح ولا تقدم دون ثقافة قومية مستمدة من تراثنا القومي وحضارتنا الأصيلة، « وهذا يعني أن ثقافتنا لن تكون معزولة عن واقع الحضارة الإنسانية الحالية خاصة ونحن نعيش في عصر يسعى إلى تقارب وإلى تعايش سلمي تحافظ فيه الشعوب على حريتها وعلى أصالتها من جهة ولا تذوب أيضا في بوتقة الآخرين من جهة أخرى»[3]، ورغم الارتباط العام بالحضارة العالمية إلا أن الخصوصية تبقى هدف الحركة القومية، ومسعى المدافعين عن الهوية الوطنية.

1- مخلوف عامر: المرجع السابق، ص 206.

2- عبد الله ركيبي :الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة الجزائر، 2009، ص 14.

3- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2009، ص104.

فمهما كان ارتباطنا بغيرنا من الشعوب في حضارة إنسانية واحدة، لابد علينا أن نسخر ثقافتنا في مقاومة ثقافة الآخر ومقاومة الذوبان فيه، وهذا ما سعى إليه الاستعمار الفرنسي في الجزائر محاولاً نكران ثقافتنا وتاريخنا الثقافي الأصيل، وكما يرى ركيبي فإن الشعب الجزائري لم يفقد ثقافته وحضارته، بل بالعكس فقد جعل هذا الشعب من موروثه الثقافي شكلاً جديداً من أشكال المقاومة الثقافية، « والواقع أن التفكير الواعي لكل ما أسلفناه هو لب الثقافة وروحها وجوهرها..هو الرصيد الحضاري والثقافي الذي بقي في ضمير الشعب يتناقل من جيل إلى جيل..هو دليل آخر على أن شعبنا كان له حظ من الثقافة مكنه من أن يحافظ على كيانه وذاتيته وشخصيته العربية الإسلامية»[1]، ورغم أن هذا السعي إلى الحفاظ على هذه الخصوصية الثقافية قد انحصر وانغلق على نفسه بسبب حصار آلة الاستعمار الفكرية والثقافية ومحاولاته المستمرة والرامية إلى القتل الرمزي لهذه الثقافة والهوية.

إلا أن جهود الشعب وجهود مفكريه لم تكل ولم تمل في البحث عن أشكال أخرى لمقاومة ثقافة الاستعمار « فكان الانكباب على تحفيظ القرآن والحفاظ على الحرف العربي رداً على الغزو الثقافي.. وما النقوش والكتابات العربية التي تزخر بها جدران المساجد ودور الآثار التاريخية والتي يعدُّها الأجانب مجرد أشكال زخرفية إلا دليلا ساطعاً على محاولة الحفاظ على الحرف العربي والثقافة العربية المحفورة في أذهان وقلوب الشعب»[2]، كما أن مجالس السمر في البوادي وقصص البطولات وسير الأبطال، من أمثال ذياب الهلالي والجازية والأغاني الشعبية في مواسم الحصاد والأفراح، كانت كما يرى ركيبي تمثل ثقافة هذا الشعب التي تقاوم البدائل الثقافية التي

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص109.

2 - عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص110.

كان يفرضها الاستعمار الفرنسي خاصة على الذين تعلموا في مدارسه، والذين استقروا في الحواضر والمدن.

وأهم ما تشترك فيه الأمة العربية، وما يمثل قوميتها هي اللغة العربية، « ونحن كشعب عربي لنا لغتنا القومية التي تحدد ثقافتنا وتعطيه الصبغة الخاصة بها، هذه الصبغة التي تحافظ على أشياء جوهرية في ثقافتنا وفي شخصيتنا المتفردة، وإذن فعندما نقول ثقافتنا القومية لا نقصد سوى شيء واحد هو أن شخصية هذه الثقافة إنما هي شخصية عربية لأن لغتنا القومية التي تعبر عن جوهر هذه الثقافة وعن مضمونها إنما هي اللغة العربية »[1]، فالثقافة واحدة يحكمها المشترك اللغوي، وليس بمعنى اللغة بمفهومها المادي المجرد، وإنما بمفهومها العميق الذي يشكل ثقافة تشترك في فكرها وعاداتها وأعرافها، لتشكل المنظومة الثقافية المتكاملة.

وفي الحديث عن الثقافة وعن المقاومة الثقافية لا يغفل ركيبي عن الحديث عن المثقف ودوره في إحياء الثقافة القومية، حيث نلحظ أنه يحدد للمثقف الجزائري دوره في توضيح ملامح الثقافة المعبرة عن شخصية الشعب، ببذل المزيد من الجهد في إحياء الثقافة المحلية والقومية ونفض الغبار والرماد المتراكم عليها بالبحث والدراسة المعمقة في التراث والثقافة، « وهذه الخطوة كانت دائماً هي اللبنة الأولى التي بنيت عليها ثقافات الشعوب والأمم عندما تحس بكيانها وتشعر بذاتيتها وتعثر على وجودها وتعرف موقعها»[2]، ولم تكن دعوة ركيبي هنا كدعوة المحافظين الذين يدعون إلى العودة إلى التراث والماضي فقط، بل كانت دعوته ترمي إلى التلاقح بين الجديد والتراث القديم « حتى تكتمل الثقافة في وحدة متماسكة لها جذور ضاربة في أعماق الماضي ولها جدة

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص112.

2 - عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص119.

الحاضر التي تكسبها الاستمرار والتطور اللذين بدونهما لا تصبح ثقافة نامية متجددة»[1]، وهذا التجديد يوكله ركيبي إلى المثقف الذي أَطلق عليه اسم المثقف الثوري، وحمله مسؤولية إعادة بعث ثقافة الأمة وتجديدها، بحيث تخدم الوعي بالماضي والتراث الأصيل وتصبو إلى ثقافة متجددة تساير التطورات والحالات المستجدة.

وليس حديث ركيبي عن أي مثقف، وإنما عن المثقف الثوري، « فالمثقف الثوري هو من يحس بمشاكل الشعب وهمومه وقضاياه..ينفعل بها ويعبر عنها بشكل أو آخر، أو يساهم بفكره وجهده في إيجاد حلول لها..حلول إيجابية بناءة»[2]، فالإحساس بمشاكل الشعب هو ارتباط به بإخلاص، لأن « المثقف الثوري هو ابن الجماهير الذي لا يتمرد ولا يتآمر عليها بل يستمد من تجاربه وخبراته ويستلهم منها آراءه وأفكاره ويحولها بعد ذلك إلى طاقات ايجابية فعالة تحرك هذه الجماهير وتجعلها قادرة على الرؤية الواضحة والوعي السليم وبقضاياها ومشاكلها، وفي نفس الوقت قادرة على حلّ هذه المشاكل وعلى تحقيق أحلامها ومطامحها»[3]، في بحثه في مقومات شخصية شعبه، والحفاظ على موروثه الثقافي وإحياء ثقافته.

وعلى الرغم من صعوبة الحفاظ على هذا الموروث الزاخر، إلا أن بذل الجهد واجب وضروري، وفي هذا يقول ركيبي: « إن إحياء التراث ليس عملية سهلة ولكنه جهد متواصل نزيه يقوم به من يؤمن بأهميته ودوره في الحياة الثقافية الفكرية والثقافية الروحية للفرد والمجتمع معاً ويقدّر جهود الآخرين، أولئك الذين أنتجوه في ظروف

1 – عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص119.

2 – عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص120.

3– عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص121.

خاصة »[1]، فشرط بذل الجهد النزيه أمر مشروط للكشف عن هذا الموروث الثقافي والفكري، ومعرفة الظروف والملابسات التي أحاطت بمنتجيه.

ومن خلال هذه الدعوة، وهذا الرأي الذي طالما دافع عنه ركيبي فإننا نلحظ بأنه شديد التحيز للثقافة القومية الاشتراكية، فهو هنا يقف في جبهة الاشتراكيين الذين يرفضون ذلك التنوع الثقافي لتلك التيارات الفكرية، التي لا يمكن إنكار وجودها في الساحة الثقافية الجزائرية قبل الثورة التحريرية أو أثناءها وبعدها، وعلى حسب رأيه فإن غياب المثقف والثقافة في دفع حركة المجتمع إلى الأمام كان نتيجة الصراع القائم بين أقطاب الثقافة وتنافر أفكارهم، بدل توحيد الجهود من أجل ثقافة واحدة تصب في الفكر القومي الاشتراكي، ويرى بأن « نتيجة لكل هذا أن بقيت ثقافتنا حتى الآن تعيش في حلقة مفرغة، فلا نحن قمنا بإحياء التراث القومي ولا نحن أضفنا إليه شيئاً جديداً يساعدنا على خلق ثقافة قومية متطورة تساهم في بناء مجتمع جزائري اشتراكي ثوري وتعبّر عن مطالب الجماهير الشعبية »[2]، ولعل هذا الدفاع عن القومية الاشتراكية كان مرده إلى الفترة التي عايشها ركيبي وهي فترة الستينات والسبعينات، فلا غرابة في أن يحمل أفكار تلك المرحلة، ويعبر عن واقع المجتمع في تلك الفترة نتيجة لمعايشته كل هموم الشعب وواقعه وأفكاره وتطلعاته، لذا فإنه كان يصور فكر وثقافة المثقف الجزائري آنذاك.

وفي رده على سؤال* حول الميل إلى الذاتية في كتاباته الأولى، وابتعاده عن الموضوعية في عدة مواقف يرد ركيبي قائلاً : « أعتقد أنه في المرحلة أو الفترة التي

1- عبد الله ركيبي: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص06- 10.
2- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص123.

*- سؤال طرحه (بوعلام العوفي) على عبد الله ركيبي في حوار لصالح جريدة الشعب الجزائرية، نشر الحوار بتاريخ 1994/05/10، وأعاد ركيبي نشره في كتابه حوارات صريحة.

يكون فيها تأسيس قواعد أو تأصيل فكر أو استرداد ما يفقده الإنسان أو المجتمع أو الشعب أو الأمة في هذه اللحظات من الصعب أن يكون الإنسان موضوعياً مائة بالمائة، فالجانب الذاتي يظهر نتيجة لذلك لأن المثقف أو المفكر أو الأديب يكون همّه الأساسي وضع لبنات جديدة..ومن ثم فإنه لا يهتم بالحياد أو الموضوعية ولكن يهتم بالبناء الذاتي»[1]، لكنه يؤكد على العودة إلى الموضوعية بعد تطور الوعي وتجاوز المرحلة التأسيسية، حيث يقول في هذا : « لكن مع مرور الزمن واتساع الآفاق وتكوّن الفهم والذوق والوعي تبدأ الموضوعية تترسخ فيما بعد»[2]، أي إن ركيبي يرى بأن هذه الحالة طبيعية جداً، ولا تتصل به فقط، بل لا تتصل بالأدب والنقد الجزائري فحسب، ولكنها تظهر في كثير من الآداب العالمية والعربية.

وبهذا فإننا نرى بأن المقاومة الثقافية تنطلق من البحث في الموروث الثقافي وإعادة بعثه من جديد، لمقاومة الثقافة الدخيلة (الاستعمارية) بالثقافة الأصيلة، وإعادة إحياء اللغة والدين للوقوف في وجه التهجير الفكري والثقافي المسلط على الشعب المقهور، وليست العودة إلى الماضي والثقافة الأصيلة من باب التقديس، وإنما من باب الانتماء والعودة إلى الجذور والأصول للانطلاق من جديد.

وليست العودة إلى التراث وحدها التي تخدم ثقافة المقاومة بل يجب أن تتوفر محاولات جادة لتجديد هذا التراث، وتطوير الثقافة الاجتماعية لتتماشى مع المتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية الجديدة، ومع أشكال السيطرة الجديدة، وهذا بإعادة النظر في ماضينا وحاضرنا ونقد الذات والمجتمع، وإعادة قراءة التراث الديني والفكري القديم قراءة صحيحة، والبحث عن الحقيقة المغيبة وإبطال الفكر الاستسلامي

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، أحاديث مع صاحبة الجلالة تمتد إلى أكثر من 30 سنة داخل الوطن وخارجه، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2000، ص242.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص242.

الانهزامي، وفي هذا يقول ركيبي: « وفي هذا الحديث أود أن أتعرض إلى الأدب باعتباره يمثل جانباً هاماً وحيوياً، أو بمعنى آخر يمثل فرعاً هاماً من فروع هذه الشجرة التي نطلق عليها الثقافة..ولا يمكن أن تكتمل ثقافة أي شعب إلا بوجود أدب مزدهر..أدب يعبر بصدق عن روح هذه الثقافة»[1]، فالأدب من وسائل الثقافة المهمة، والثقافة من مواضيع الأدب البارزة، والارتباط بينهما ارتباط هدف و وسيلة.

2 – المقاومة والأدب.

إن ارتباط الأدب بالحياة البشرية لم تولده المدارس الأدبية الحديثة، ولم يخلقه لا شاعر ولا أديب عبر التاريخ، بل وجد مع الإنسان الأول بوجود مشاعره وأحاسيسه في سكناتها وتقلباتها، وبوجود حاجته للبوح، وللوصف والتعبير عن دواخله، فكانت خطوط الأوائل ورسوماتهم طقس مقدس، وحكاية حرب وغزو، وكانت تسجيلا للأمجاد وسير العباد.

فقد رافق الأدب بكل أنماطه البدائية والحضارية الإنسان في كل أيامه، في الحرب وفي السلم، في الحزن وفي الفرح، في أشجانه وأغانيه، فكان الحكيم الذي يقص الماضي ويرشد إلى المستقبل، ويهدئ النفوس ويحرضها، لذا فإن نشأة الأدب كانت نتيجة لحاجة الإنسان إلى التعبير عن عقله ومشاعره، والى نقل وتصوير ما في النفس البشرية من أفكار وعواطف وأحاسيس إلى الآخرين، « وإذا أضفنا أن الأدب في ذاته بدأ تاريخه " نشاطاً مقاوماً" تأكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن دور الأدب في الحياة أكبر من أن ينكره أحد، وتأكد لنا أن هذا الدور هو توليد الصراع في نفس الإنسان إذا خلت منه، وتجديد حس المقاومة إذا كان هذا الحس قد خبا مع الأيام»[2].

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص127.

2- غالي شكري : المرجع السابق، ص 16.

وما ثورة الأدب إلا نزوع إلى إعمال المشاعر والعقل، وثورة نحو التقدم والكشف عن الحقائق، ونشر الوعي المتجدد، « وحركة تزايد المقاومة تسير في اتجاه سريع التصاعد باطراد الجهل بها ولكن الوعي بها يشبه التفاعل الكيماوي العكسي أي يؤدي إلى انحلالها كلما تزايدت وتراكبت فيقل خطرها وقد ينعدم، وكل جهل يمكن أن نطلق عليه سلوكاً محافظاً وكل وعي يمكن أن نطلق عليه سلوكاً ثورياً، واستخدام لفظ محافظ أو ثوري لا نقصد به ما تعارف الناس عليه من استعمال اصطلاحي لهاتين الكلمتين، وإنما المحافظة هي باختصار عرقلة الإبداع والتوقف عند الإبداع الكائن باعتباره خير ما يكون، أي تمجيد الكائن ورفض أية مخالفة له »[1]، فالواقع أن أي نشاط ثوري سيواجهه ندٌّ يدعي المحافظة التي قد تكون وسيلة لقمع النشاط الأدبي الذي يساير تطورات الإنسان، وهذا ما شهده الأدب عبر العصور، حين تمرد الشعراء الصعاليك على تقاليد القبيلة وعلى موروثها الثقافي بتمردهم على شكل القصيدة العربية القديمة وعلى مواضيعها المحافظة في منظور العرف القبلي.

وتبقى ثقافة الإنسان و وضعه المعيش ميزاناً بين حاجته إلى الحفاظ على مقوماته، من جهة، وسعيه إلى الثورة على ما لم يعد يخدم حاجته، « إن رؤية الإنسان إلى العالم من حوله هي التي تحدد سلوكه بين الثورية والمحافظة، فكلما كانت رؤيته متحررة من سيطرة النمط برز طموحه لتطويره أو تغييره وكانت أفكاره دائمة الولوج في المستقبل، فينفتح أمامها باب الإبداع الخالق للحضارة وكلما كانت رؤيته محكومة بالأنماط دائمة الولوج في الماضي زائفة الطموح بمعنى أن طموحها دائما هو الدخول في أنماط سلفية ذات بريق سحري، انغلق أمامها باب الإبداع ودخلت في حلقة مفرغة

1- سليمان العطار: مقدمة منهجية لدراسة تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1990، ص10.

من الدوران حول نفسها »[1]، وهنا يأتي دور الأدب في إعادة الحياة للنفس البشرية، في اهتمامه بكل تفاصيلها، وتقلبات النفس البشرية، والسير معها إلى الأمام، إلى بناء حضارته المادية والمعنوية عبر التاريخ البشري، « وثورية النص لا تكتفي بتبني نظرية ثورية تؤمن بالتغيير فقط، بل لابد لها من أن تمتلك القدرة على ترجمة ذلك الإيمان إلى واقع النص لحظة كتابته»[2]، فالإيمان بالواقع ومعايشته بصدق ينقل إلى النص شعور المؤلف وثورته.

أ- وظيفة الأدب:

على مَر الأزمان واختلاف المكان، كان الأدب ومازال أرقى وسائل التعبير، وأدق وسائل التصوير، ولأن الحياة مبنية على المتناقضات والمتقابلات في كل تفاصيلها، بين الظروف الاجتماعية في صورها المتعددة، والحالات الفردية في مزاجاتها المتقلبة تقلب الحياة، فلا شك في أن الأدب قد فك شفراتها و وجه تقلباتها، و«لا مراء في أن الأدب قد لعب خلال التاريخ دوراً كبيراً جداً في ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية، وذلك لأنه – وإن تكن هناك علاقة وثيقة بين معنويات الحياة ومادياتها- إلا أن إدراك تلك العلاقة قبل أن تصبح أمراً واقعياً محسوساً لا يتأتى لعامة الناس، فما يسمى استقلالاً أو حرية قد تتعشقه النفوس الكبيرة لذاته (...) ولابد أن توضح العلاقة بين هذه المعاني وبين المعاني المادية اليومية حتى يغصب الشعب لتك المعنويات»[3]، وليس أكثر من الأدب والأديب من يستطيع ربط هذه العلاقات وتزكيتها وفق نظرة الأديب وإحساسه المميز.

1- سليمان العطار: المرجع نفسه، ص16.

2- مخلوف عامر: المرجع السابق، ص179.

3- محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت، ص36.

وإذا بحثنا عن وظيفة الأدب عند ركيبي فإننا نجده ينتقل به إلى وظيفة أخرى أكثر ارتباطاً بالمجتمع والإنسان عامة، ففي تقديره « أن وظيفة الأدب لم تعد ترفيهية جمالية هدفها المتعة الذهنية والروحية فقط، بل مهمته بالدرجة الأولى ((اجتماعية)) ((إنسانية)) تخدم أهدافاً سامية نبيلة.. ذلك أن الأدب بكافة فنونه، شعراً وقصة ورواية ومسرحية، يعد المحرك الحقيقي لروح الشعب والمعبر عن حياته المادية والروحية.. ومن ثمّ لا بد وأن تكون غايته الإنسان لا الجمال فقط، ولا يخفى على أحد أن الأدب كان دائماً هو الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورات الكبرى.. تلك الثورات التي حررت الإنسان من الظلم والسيطرة والعبودية»[1]، ففي هذا مزجٌ بين الوظيفة الجمالية للأدب و وظيفته الإنسانية والاجتماعية التي يصورها الأديب برؤية أدبية مليئة بالأحاسيس والمشاعر، « والأدب ليس انعكاساً مسطحاً ساذجاً لعلاقات الناس وواقعهم، ولكنه يستمد نسغه من المجتمع ويرقى ويرقيه، وهو في الوقت ذاته يعبر عنها في وجدان الأديب والعالِم من استشراف المستقبل، إنه يعبر عن كل يمكن التعبير عنه من قلق وحسرة أو أمل أو شوق، ولهذا كان اتصاله وثيقاً بوجدان هؤلاء الذين يبحثون عن تجسيدٍ لتطلعاتهم وطموحاتهم، ومن هنا تبدو وجاهة الشاعر الرومانسي البريطاني (شلي) التي قال فيها: الشعراء هم مشرعو العالم غير المعترف بهم»[2]، والأدباء الذين ثقفوا الحياة الإنسانية، وسبروا أغوار المجتمع، وكشفوا أسرار العلاقات وأعادوا ترتيبها.

ولا يمكن أن نصنف أي نص إلى الأدب ما لم يكن يحمل من الأدب خصائصه الفنية، ومغزاه الفكري، « لأن أي موضوع في التحليل الرياضي أو

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص127-128.

2- حامد صادق قنيبي: الأدب والنقد الحديث_اتجاهات ونصوص_ دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2015، ص34.

الكيمياء العضوية أو المنطق الرياضي لا يستطيع أن يتحول إلى نص أدبي لمجرد استعمال بعض " البهارات" الأدبية أو التوابل الجمالية، ومن هنا نجزم أن النص الأدبي يحوي منذ انطلاقته الأولى مكوناته المضمونية والتركيبية ويبشر بالقيم التي يكرسها ويريد تثبيتها في الواقع الثقافي، لأن القيم هي قيم متعالية»[1]، فقد يكون الموضوع واحداً، لكن النصوص التي تتناوله تختلف طبائعها ومستوياتها الفنية والفكرية، فمنها ما يكون من الأدب ومنها ما يكون من غير الأدب.

والنص الأدبي في حد ذاته يتعدد ويختلف، ويتشكل وفق زوايا مختلفة، « فالموضوع الواحد قد تتناوله نصوص أدبية مختلفة سواء في عصر واحد وثقافة واحدة أم في عصور متعددة وثقافات متباينة، كما أن النص الأدبي الواحد قد تجري عليه عدة عمليات نقدية في الثقافة الواحدة، سواء في عصر واحد وذلك من زوايا نظر مختلفة، أم في عصور متباعدة وفق طرائق في التناول تتباين في موقفها واتجاهاتها»[2]، فإذا كان العمل أدبياً خالصاً استحق العمل عليه أدبياً و وفق إجراءات نقدية خاصة، إذ تتعدد هذه الإجراءات والمناهج وتختلف مناهجها.

وبصورة أخرى « فـــإن مفهوم الأدب كما نتصوره اليوم يرقى إلى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، ففي الأصل أن الأدب لا يضع بل يولد مع الذات، هو علامة الانتماء إلى فئة (المثقفين)، وبالنسبة إلى من عاصر فولتير فإن (الأدب) يتعارض و(الجمهور) المرادف لكلمة (شعب) انطلاقاً من ارستقراطية الثقافة آنذاك، وبقدر ما يكون هذا الحدث واقعاً اجتماعياً فإن مشكلة العلاقات بين الأدب والمجتمع

1- حسين خمري : سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2011، ص21.

2- حسين خمري : المرجع السابق، ص 21.

لا تطرح بشكل واعٍ»[1]، فلا يمكن عزل هذا النتاج الفني عن مصادره ومنابعه، لأن للظاهرة الأدبية رسالة فنية وسياسية واجتماعية، و« النتاج الأدبي إلا حصاد جماعات من الكتاب عبر الأجيال، والأدب كأية ظاهرة إنسانية يخضع للتطورات والتغيرات التي تخضع لها أية ظاهرة اجتماعية أخرى، فمن عهد بدائي إلى انتشار وازدهار إلى انحطاط وشيخوخة»[2]، وإذا كان الحديث هنا عن اجتماعية الأدب فهذا ليس نفياً لأهدافه الأخرى، ورسائله المتعددة.

فوظيفة الأدب أسمى من أن تكون مقتصرة على مجال واحد فحسب، « إن العمل الأدبي وحدة متكاملة وهو موضوع ذاتي، وذاتي موضوعي كما أنه يشتمل على اللذة والمنفعة في آن واحد. وهو بطبيعته لا يخضع أصلاً للانفصال. فالصفة الإنسانية الضرورية لهذا العمل لا تتضح إلا من خلال الصلة المتآزرة بين الذات والموضوع، أي الشكل والمضمون اللذين يسعيان معاً في وحدة متكاملة إلى إشباع الذوق السليم وتصفية منابع الإحساس مع إثراء الذهن»[3]، وتوجيه الفكر إلى الحقائق الظاهرة والخفية، « ولا يسمى الأثر الأدبي أدباً إلا إذا كان قادراً على إثارة العواطف الإنسانية، متضمناً الحقيقة التي تأتي سنداً للعاطفة وعوناً لها على القوة والبقاء، ولعل هذه الصفة التي تمنح الأدب خاصية أخرى، تلك هي خلود الأدب الذي يعني أن يقرأ الإنسان الآثار الأدبية ويعود إليها ويكرر قراءتها في أوقات

1- روبير إسكاربيت : سوسيولوجيا الأدب، تر: آمال أنطوان عرموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص22.

2- روبير إسكاربيت : المرجع السابق، ص10.

3- أحمد طالب :الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989،ص22.

مختلفة لسد حاجة عقله وقلبه»[1]، فليس الأدب ما يمتعنا ويبعث فينا تلك الأحاسيس المرهفة والمسلية فقط، بل هو ذلك الأثر القوي الذي يتركه في عقولنا، وهو تلك التجربة الفريدة التي نلمسها في العمل الأدبي من خلال تجاربه.

إذن فوظيفة الأدب وفوائده تتجلى في عدة نقاط قد تختلف من باحث إلى آخر في رؤيته لهذه الوظائف، لكن ثوابت الأدب في ما يؤديه عامة رغم اختلاف الجزئيات منها، ولأن حديثنا عن الأدب الإنساني عامة، فمهمته و وظيفته هي أن يصور ما في نفس الإنسان من فكر وعاطفة وتصورات أو حادثة هامة لها مغزاها، ثم ينتقل ذلك إلى نفوس القراء في صورة جميلة، فيعينهم على فهم الحياة ويوقظ مشاعرهم السامية القوية، ويوجه نفوسهم بذلك إلى الغايات الإنسانية النبيلة التي ترقى وتسمو بالنفس البشرية.

كما ينهض الأدب بالثقافة الاجتماعية العامة ويصل بها إلى كل طبقات الشعب متوسلاً إلى ذلك بالكتب المؤلفة والصحافة السائدة، والقصص الجميلة والدواوين العظيمة، وكل وسيلة قلمية أو لسانية، وهو يؤديها بطرق متعددة وأشكال مختلفة متجددة، فتبعث في العقول يقظة وفي الخيال سمواً، وذلك شأن الروايات والقصائد والخطابة ونحوها من فنون الأدب الراقي[2]، ليربط بين الإنسان والحياة ربطاً فنياً يخلق الوجود ويصنع الإنسان لأن« الأدب فعل حياة ووجود، ولحظة يتوقف الدفق الحياتي في العمل الأدبي، بتحول الأدب إلى موت والى وجود، مهم جداً أن (يكتب) الأدب، لكن الأهم حقاً هو أن (يعاش) هذا الأدب بعد كتابته، لابد للنص الأدبي أن يظل حياً، أن ينتقل من حالة الوجود بالقوة في بطون الكتب وأحداث التاريخ، إلى

1- فائق مصطفى و عبد الرضا علي : في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، دط، 1989، ص26.

2- ينظر: فائق مصطفى و عبد الرضا علي : المرجع السابق، ص 77-82.

حالة الوجود بالفعل في عقول الناس ووجدانهم، وفي تشكل الإيقاع الدائم للحياة»[1]، فلا أدب خارج الإحساس والفكر والمعتقد الإنساني.

إضافة إلى أن للأدب وظيفة تخدم الدين والعقائد، بتسجيل دعوته وشعائره وإذاعتها بين الناس، لأن كتبه المقدسة نصوص أدبية من الطراز الأول، وهي معجزات بيانية، ثم أن رسله قد اعتمدوا على الأدب في أداء رسالتهم، كما كان لأهل الخطابة والمجادلة الذين استولوا على مقاليد الفصاحة والبيان، ولا ينكر أحد ما كان بين الأدب والدين من صلات قديمة، كما أن الأناشيد والمدائح الدينية من فنون الشعر الراقي، ولأن الأدب والدين يتأثران بالإلهام فإنهما يقصدان إلى تهذيب الجنس البشري، وذلك عن طريق الشعائر الدينية المقدسة[2]، فالأديب دائم السعي إلى البحث عن ذاته وروحه في المعتقد المقدس، « إن الفنان أو الأديب يظل يبحث عن ذاته وشخصيته إلى أن يجدها، فإذا هي تملكه بعد ذلك إلى الأبد، وتطبع كل ما يلمسه بذلك الطابع، الذي لا يزول ولا يتحول، وإذا هو يعرف بطابعه، لا فيما ينشئ فقط بل فيما يحاكي أيضاً»[3].

والأدب وسيلة لخدمة الحضارات والنهضات السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية لدى الشعوب، فكان يسجل ويدعم هذا النهضات ويسايرها ويغذيها ويأخذ بيدها إلى النجاح، وهذا ما يجعل الكتاب والشعراء والخطباء من أبطال الثورات، فنقرأ شعراً صادقاً رائعاً، وخطباً حماسية ومقالات تقريرية وقصصاً تحليلية.

1- وجيه فانوس : دراسات في حركية الفكر الأدبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص ه.
2- ينظر: فائق مصطفى و عبد الرضا علي : المرجع السابق، ص 77-82.
3- توفيق الحكيم : فن الأدب، دار مصر للطباعة، مصر، دط، د ت، ص 16.

إضافة إلى أن الأدب ينشد الاستمتاع بجمال الحياة، بطبيعتها ومخلوقاتها وإنسانها، فهو مسرة النفس وسلوى الحزين، يجد فيه الأديب متنفساً لهمومه وأكداره ويجد فيه الفرح، ويظفر منه الإنسان بمتعة قلّ أن يجدها في غيره من الفنون سهولة وشمولا وصراحة[1]، فالإنسان ينشد السلوى لكل همومه والجمال والمتعة لنفسه والأدب وسيلته وغايته، و« ليست غاية العمل الأدبي إذن أن يعطينا حقائق عقلية، ولا قضايا فلسفية، ولا شيئاً من هذا القبيل؛ كما أنه ليس من غايته أن يحقق لنا أغراضاً أخرى تجعله محصوراً في نطاقها مصبوباً في قوالبها، ليس الأدب مكلفاً أن يتحدث مثلاً عن صراع الطبقات، ولا عن الكفاح السياسي والاجتماعي في صورة معينة من الصور الوقتية الزائلة، إلا أن يصبح أحد هذه الموضوعات(تجربة شعورية) خاصة للأديب، تنفعل بها نفسه من داخلها فيعبر عنها تعبيرا موحياً مؤثراً»[2]، هذا يعني أن الأدب لا يجب أن ينقل الصور كما هي، ويتحدث عن الحقائق من منطلق نقلها فحسب، بل عليه أن يعيش هذه الصور، وأن يتفاعل معها بشعوره وأحاسيسه، لتكون أدق تعبيراً وأصدق إحساساً.

والأدب ليس مرآة عاكسة فقط، وليس نقلاً تاريخياً أو صحفياً للأحداث، بل هو تجربة شعورية تُنقل إلى المتلقي لتؤثر فيه ويعيش هذه التجربة من جهته، « وليس معنى هذا أن العمل الأدبي لا غاية له، فالواقع أنه هو غاية في ذاته، لأنه بمجرد وجوده يحقق لوناً من ألوان الحركة الشعورية، وهذه في ذاتها غاية إنسانية وحيوية، تدفع عن طريق غير مباشر إلى تحقيق آثار أخرى أكبر وأبقى»[3]، وهاهو الأدب وخاصة في فن القصة وسيلة مهمة لدراسة الحياة الاجتماعية والنفسية، يرى

1- ينظر: فائق مصطفى و عبد الرضا علي : المرجع السابق، ص 77-82.

2- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 18، 2003، ص12.

3- سيد قطب: المرجع السابق، ص 12.

فيه القارئ ما بين الأفراد من صلات، ويشهد سلطان الغرائز والطبائع قوي غلاب في أكثر الأحيان، ويشعر بنفوذ الحب وقوته في عهد الشباب ويفهم بأسلوب عملي مثل تعدد الشخصية الفردية وانقسامها[1]، مراعياً اصدق المشاعر وأدقها في كل حالات النفس البشرية.

وبالعودة إلى الأدب ودوره في الجزائر، ففي« الحقيقة أن من الظلم للأدب والأدباء في الجزائر أن نغمطهم حقهم في هذا المجال، ولكن من الغلو أيضا القول بأن الأدب قام بدور كبير في التمهيد للثورة.. ذلك أن الأدب العربي الجزائري يعدُّ وليداً وحديث العهد لأسباب وظروف لا يجهلها أحد، ومن ثمّ فمطالبتنا بأن يقوم هذا الأدب بدوره في الإعداد للثورة مطالبة فيها تعسف وفيها ظلم للأدب والأدباء معاً.. ولكن مما لا شك فيه أنه لعب دوراً في أثناء الثورة»[2]، ولعل ركيبي في هذا الرأي يقصد من الأدب الجزائري نثره، وخاصة في الكتابة القصصية والروائية في تلك المرحلة المبكرة من ظهور هذه الأشكال النثرية، هذا لأننا نجده في أكثر من حديث يثني على دور الشعر الجزائري قبيل الثورة، وعلى الدور الهام الذي أدّاه الشعراء في شحذ الهمم ونشر الوعي الوطني والتبشير بالثورة ومساندتها ومرافقتها في كل خطواتها.

ب- أدب المقاومة:

هزت المقاومة الوجدان الإنساني عبر كل العصور، وشغلت فكر كل الشعوب، ولأنها تنشد الحرية والعدالة فإنها تعمل في فكر الإنسان قبل أن تعمل في كل ما حوله من وسائل وأدوات، ولان العقل و اليد هما ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات

1- ينظر: فائق مصطفى و عبد الرضا علي : المرجع السابق، ص82.

2- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص128-129.

فإن المقاومة نشاط فكري أولا، يرافق الشعوب بتعدد تسمياته وعناوينه، وحين نتحدث عن المقاومة في صورتها الضيقة.

ومن خلال دلالتها البسيطة التي تمثل الكفاح المسلح بكل الوسائل المتاحة ضد قهر الاستعمار وإذلاله وسلطته الجائرة، وكل ما يدعيه من ممارسات مغلوطة، وانتهاك لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، فإننا نجد الأدب طاغياً متمركزاً في موقع متقدم ودور رائد في إيجاد الوعي بالحالة الراهنة، وتطوير ذلك الوعي إلى مواجهة واعية لأهدافها ووسائلها، للانتقال من حالة الوعي وإدراك الواقع والطبيعة المواجهة إلى حالة الصدام والمقاومة والقتال والتضحية والاستشهاد، وصولاً إلى الأهداف التي حددها الوعي، وتنشدها الإرادة الجمعية أو الفردية داخل الوطن، أو في مواجهة لقوى القهر والاستعمار والاستغلال[1]، هذا النشاط الفكري الذي استنفر القوافي والألحان والفنون المسرحية والتشكيلية، « فالأدب كأدب هو في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي قد تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار.. فليس هناك عمل أدبي جاد في تاريخ الإنسان القديم والحديث، يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهي "المقاومة" لأن هذا العمل يفقد عنصراً خطيراً من مكونات وجوده إذا خلا – من أحد وجوهه– من فكرة الصراع بين الإنسان والكون»[2]، لأن الأدب عمل إنساني يجسد صورة من صور العلوم الإنسانية التي وجدت لمقاومة الطبيعة، وكما يقال فإن الهدف من العلم هو مقاومة الطبيعة.

والنصوص الأدبية هي أعمال بشرية واعية تسعى إلى تشكيل العلاقات الإنسانية والطبيعية، « إن المتمعن في النصوص الأدبية والمتدبر لأمورها يلاحظ، منم

1- ينظر علي عقلة عرسان: المرجع السابق، ص01.

2- غالي شكري: المرجع السابق، ص 07

الوهلة الأولى، أن موضوع النص الأدبي هو العالم، والعالم كلمة واسعة حيث إنه يحتوي الإنسان وما حول الإنسان، وما هو خارج عنه، فالأدب يتناول الإنسان وعلاقته بهذا العالم، كيف يدرك ما حوله وما بداخله، كيف يتحرك في هذا العالم، كما أنه يتناول علاقة الإنسان بالإنسان، وهنا تظهر القيم الإنسانية التي يحاول النص الدعوة إليها أو الدعوة إلى الإعراض عنها، وبالإجمال فإن الموضوع الرئيسي في الأدب هو الإنسان: الحرب، الحب، الموت، الحياة، الإيمان...»[1]، ومواضيع عديدة عرفها الإنسان، عجزت العلوم الأخرى عن تصويرها، فصورها الأدب وعالجها بطريقته التي تمتزج فيها أحاسيس الأديب مع الواقع، « وهكذا أصبح الأدب إما رديفاً أو نقيضاً أو بديلاً للحياة، وليس وظيفة من وظائفها التي لا تدعي القدرة على تغيير شروط الحياة وإنما تضفي الكثير من المعنى على الحياة التي نحياها»[2]، بتحليلها إلى جزئياتها والتنقيب في ثناياها عن المعنى، وعن الحقيقة المشبعة بالأحاسيس والمشاعر الإنسانية التي لا يمكن التنكر لها في عالم العلوم الأخرى، فالأدب لا يصنع الحياة كما هي بمفهوم الصنع والخلق المادي، وإنما يخلق الحياة في معناها وقيمتها المعنوية والروحية.

وإذا كان الأدب هو الكلمة المعبرة، فالكلمة مسؤولية وموقف ملتزم وأمر واضح بموقف واضح جريء وصريح، يجعل المقاومة والأدب في عناق دائم عبر معارك الأمم ومقاومتها عبر الأزمان والمكان، حين يبدأ القلب والروح والجسد والمشاعر في تمرد وتطلع إلى الانعتاق تبدأ ثورات الشعوب والأمم في كفاح مستمر ضد كل أشكال الاحتلال والعنصرية والاستغلال.

1- حسين خمري : المرجع السابق، ص22.

2- خلدون الشمعة: النقد والحرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، دط، 1977، ص13-14.

هذا الصراع الأزلي الذي صوره الأدب عبر العصور، وهذا الفن المعبّر على الدواخل والانفعالات، يشكل روح المقاومة ووسيلتها التي يلتزم بها الأديب لمخاطبة الفكر، وحماية الفكرة وتحديد موقفه عبر التزامه بهذه المواقف والاتجاهات ومشاركة الناس آلامهم وأحلامهم وهمومهم الاجتماعية والسياسية والمصيرية.

ولم تكن العلاقة بين الأدب والمجتمع أكثر وضوحا إلا من خلال ما قدمته الواقعية الأوربية من فلسفة مشبعة بروح العصر، « وكانت الدعوة إلى الاعتداد بالأدب "تجربة" ثمرة تأثر النقد الأوربي في القرن التاسع عشر بروح العصر الفكرية، وبخاصة بالفلسفة الوضعية والتجريبية التي كان من مبادئها خروج الإنسان من نطاق ذاته لملاحظة ما حوله، والإحاطة به، للتحكم فيه عن طريق التجارب العلمية القائمة على دراسة ظواهر الطبيعة »[1]، فكانت هذه الدعوة الواقعية إلى الأخذ بالتجربة الاجتماعية والطبيعية من قِبل الأديب والابتعاد عن الذاتية التي تغرقه في عالمه الخاص وتبعده عن العمل من أجل المجتمع من خلال تجاربه ومن خلال ملاحظة ما يدور حوله والعلم به، « ذلك أن الموقف في القصة أو المسرحية نظير الموقف في الحياة، والكاتب يختار مواقفه من عصره، ويضمنها قضايا اجتماعية تهم جمهوره الذي يتوجه إليه، وهو يصور من خلال موضوع مسرحيته أو قصته (...) ما يضطرب به عصره من صراع اجتماعي ينم عن مشاعر إنسانية وقومية»[2]، وليس من أجل التصوير فقط، بل من أجل التعبير عن وجوده ضمن هذا المجتمع والتأثر بما يؤثر فيه بوصفه عنصراً وعضواً في هذا البناء يمتلك القدرة الكافية على فهم كل المعطيات والمجريات التي تقع بين يديه في هذا العالم الكبير، و هذا المجتمع الصغير.

1- محمد غنيمي هلال: قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت، ص128.

2- محمد غنيمي هلال: المرجع نفسه، ص129.

وبالعودة إلى الفلسفة الوجودية في مجالها الأدبي فإننا نجد أن الأدب الوجودي يطلق عليه أدب المواقف « باعتبار أن الكاتب يقوم بتحديد موقفه بالنسبة لمشكلات عصره، استكشاف الموقف الذي يحقق وجود الكاتب، بل لابد لكي يتحقق وجوده من الصراع الذي يلزم فيه بالمسائل التي تعتمل في عصره مثيرة للقلق، وبناء على وعيه الذاتي يتحتم عليه الاشتراك في مشكلات مجتمعه، فهو يصور العالم الذي يحيط به من كل زاوية واضعا في مخيلته العمل على تطوير هذا العالم»[1]، فنظر الكاتب وفهمه للعالم يشكل موقفه منه، وبهذا الموقف يمكنه أن يعمل على المشاركة في وضع تصور جديد لما حوله من قضايا يلتزم بالبحث في إمكانية التغيير.

غير أن هذه الفلسفة الوجودية قد تأسست على فكرة رفض المعتقد الماركسي الذي يرى بأن الفكر يتأسس على المادة من خلال قاعدة الوجود الفوقية والتحتية حيث إن البناء الفوقي المتمثل في الفكر ما هو إلا نتاج للقاعدة التحتية والمتمثلة في الاقتصاد « وفي نهاية الأمر يعتقد الماركسيون أن فردية الفنان بالرغم من هذا الالتزام الجبري مكفولة، وبالرغم مما يقوله نقادهم من أن الفنان يذيب ذاتيته في بوتقة واقعه الذي يقبع على تصويره، ولكنهم يضيفون إلى ذلك أن الفنان ما هو إلا جزء من عملية البناء الشيوعي، وهو لذلك عليه أن يعكس بأمانة وصدق في فنه حياة الشعب، وسيؤدي به هذا البحث الدؤب إلى السير قدماً نحو الطريق الأصيل للواقعية الاشتراكية التي لا يستطيع الفنان أن يبتعد عنها»[2]، ومن هذا المنطلق وفي اتجاه معاكس ظهرت الوجودية عند سارتر بمبدأ أن الفرد يجب أن يحقق حريته الفردية قبل حرية المجتمع، ليخلص في الأخير إلى الحرية الاجتماعية، والتي أسستها الحريات الفردية طبعا.

3- رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000، ص161

2- رجاء عيد: المرجع السابق، ص151.

وهذا ما يقودنا إلى البحث في مفهوم هذا الموقف الملتزم بقضايا المجتمع العامة بداية من الفرد في ذاته، ولتحقيق حرية الإنسان وانعتاقه لابد أن تتحقق قدرته على مقاومة هذا العالم، و إذا كان الالتزام، هو مقاسمة الأديب هموم مجتمعه وآلامه في الحياة، والشعور بما يشعر به غيره، واتخاذه موقفاً إيجابياً، والوقوف والتصدي لكل ما يرفضه المجتمع بقوة، إلى درجة نكران الذات والذوبان في عالمه، فإنه يقوم كذلك « في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو الأديب أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعداداً من المفكّر لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمّل كامل التبعة التي تترتّب على هذا الالتزام»[1]، لأن مقاسمة المجتمع ظروفهم يستدعي الشعور بالحالة وعيشها بكل تفاصيلها، بفكره وعواطفه، فالمسؤولية كبيرة وشاقة بتحمل كل طوارئ المجتمع، والأديب بهذا وكما يرى سارتر متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطّهدين.

إذا فالالتزام عمل الأديب المسؤول تجاه مجتمعه، « ومن طبيعة هذا العمل المسؤول أن يكون هادفاً إلى غاية محددة، وللالتزام الفكري هدف، هو الكشف عن الواقع الراهن، والسعي إلى تغييره؛ أو قل : هو السعي إلى تغيير ما ليس سليماً فيه، لأن المفكر الملتزم يعاين ما ليس حقاً ولا عدلاً ولا خيراً، فيندد به ويعمل على تحطيمه، أما وسيلته إلى ذلك، فالكلمة التي يطلقها بين الناس فتفعل فعلها فيهم (...) وتحدوهم إلى السلوك الكفيل بإحداث ذلك التغيير المطلوب»[2]، فالكلمة ملتزمة بالتزام العمل الأدبي الذي يُحمله الأديب ما يحمل هو من مواقف مسؤولة تجاه المجتمع، بتقويم ما يراه اعوجاجاً وبعث الحياة من جديد، « ومهما يكن من أمر المذاهب الأدبية المختلفة والمذاهب الفكرية والفنية، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية

1- أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 14.
2- أحمد أبو حاقة: المرجع السابق، ص14-15.

والحضارية وأثرها في توجه الأدب نحو الالتزام، وتحديد معناه، وتوضيح مقوماته، فإن الواقعية أدباً وفناً وفلسفةً، هي التي كان لها النصيب الأوفى منذ أواخر القرن التاسع عشر من الدعوة إلى الالتزام وتعميمه وتطبيق مبادئه في الأعمال الأدبية، وقد انطلقت في ذلك من التزامها واقع الإنسان في حياته سياسياً واجتماعياً وفكرياً وحضارياً، والعمل على فهمه واستيعابه، وتفسيره، ونقده بغية تغيير ما ليس سليماً فيه، وتجاوزه إلى ما هو أفضل منه»[1]، وهذا يحيلنا إلى البحث في مفهوم الالتزام وأنواعه في الفكر العالمي.

وبالحديث عن الالتزام أردنا المرور على أهم نظريتين تناولتا هذا الموضوع، وعلى الرغم من تباين وجهات النظر بينهما في كثير من النقاط، إلا أننا أردنا أن نشير إلى « أن التباين الأكبر بين الالتزام الوجودي وبين التزام الواقعية الاشتراكية يتجلى في إلحاح الأول على أن الوجود مأساة، تثير في الإنسان القلق والتمرد والكآبة والغثيان والشعور بالخوف والفجيعة والضياع واليأس والموت وما إلى ذلك من معانٍ يدور حولها الأدب الوجودي، في حين إن الواقعية الاشتراكية تلح على وجهة النظر التاريخية للطبقة العاملة وتنطلق من الأيديولوجية الماركسية التي تؤمن بالجماهير وتتفاءل بالمستقبل وتتغنى بالحياة من خلال الموت، وبالسعادة من خلال الشقاء، وتحرص على التعبير دائماً عن العمل والبناء والتقدم واثقة من أن القدرة الإنسانية على التطور غير محددة»[2]، والحديث طويل حول الالتزام وأبعاده، ولعل « الالتزام الحقيقي هو الوقوف إلى جانب القوى التي تصنع بذور النمو والحياة والمستقبل، وهو عند الأديب التزام بإبداع بنية فنية تخترق البنية السائدة حتى لا يتحول الالتزام إلى مجرد شعار يجتر نفس الخطاب بألوان مختلفة، ولا يمكن للإنسان والفنان خاصة أن يكون

1- أحمد أبو حاقة: المرجع نفسه ، ص 27-28.

2- أحمد أبو حاقة: المرجع السابق ، ص 48-49.

واقعياً وملتزماً داخل الكتابة إذا لم يكن كذلك خارج الكتابة على حد تعبير برتولد بريخت»[1]، فمن شروط الالتزام الخلق الجديد الذي يتجاوز السائد والجاهز، بل هو ما ينتج إبداعاً يتحلى بالواقعية والصدق في تصوير الحقيقة.

وهنا بدأت معركة المقاومة التي كان للأدب، –شعراً ونثراً– الأثر القوي في هذه المعركة فقام الأدب العربي في هذه المرحلة الضخمة بدوره كاملا، فهو فضلا عن أنه استجاب للتطور وتمثل مختلف الألوان التي عاشها الأدب العربي في تاريخه الطويل، قد ابتدع (الأدب الوطني) الذي حمل لواء مقاومة الاستعمار والاستبداد وطغيان الحكام والأمراء، ونادى بالتجمع والوحدة، وكشف عن أصالة الأمة العربية وقدرتها على المقاومة، وكان هذا الأدب نشيد الثورات المتوالية التي لم تتوقف في خلال قرن وربع قرن، وكان الصوت المدوي الذي يهز القلوب إلى الوطن ويدفع الجموع إلى الاستشهاد والفداء،والحرية.

وعندما نستعرض هذه الصورة لقرن وربع قرن من أدب المقاومة نجد أن هناك عوامل موحدة تنتظم المنطقة كلها فنجد الإيمان بالحق الطبيعي في الحرية، والإصرار الدائم على المقاومة، وثورة المجتمعات بصيحاتهم العالية المدوية، وحين تخفق القلوب وتتلاقى من مشارق الوطن العربي ومغاربه، تستطيع بإيمانها أن تقاوم كل حلقات الإرهاب التي قام بها الاستعمار، وحركات التغريب وأساليب التمزيق ومؤامرات التضليل، فكان الشعر ينفث السحر ويهز القلوب ويدعم الروابط.

ولعل الأدب العربي لم يتأثر بحدث كما تأثر بمأساة فلسطين وحرب التحرير الجزائرية، فصور في الأولى حقيقة الغدر الغربي وحمل صورة الحقد والثأر وعبأ الشعور،

1– مخلوف عامر: المرجع السابق، ص218.

وكان مفتاح اليقظة التي شملت العرب، والينبوع الذي تفجرت منه عواطف الكتاب والأدباء، ووحيا وإلهاما للشعراء، « فمنذ بدأت اليقظة الفكرية والثقافية تظهر في أفق الجزائر، برزت إلى الوجود فكرة إصلاحية تعتمد في مبادئها على الرجوع إلى المنابع الأولى للدين والتاريخ والثقافة العربية الإسلامية»[1]، فالملاحظ في هذا أن المرجعية الثقافية والفكرية ذات صبغة دينية تاريخية، ومن خلال هذه المرجعية يتشكل فكر خاص، وثقافة مميزة تستدعي تفكيراً مختلفاً عن الأفكار التي يُروَج لها هنا وهناك، وكما يستدعي كذلك مقاومة فكرية شاملة، ويمكننا القول هنا أن هذه العودة إلى التراث والموروث الثقافي شكلت مساحة فارقة، وحاجزاً أمام تلك التغيرات والتطورات التي كادت أن تزحف مجتاحة نحو فكر وثقافة الأمة.

ت- مقاومة الفكر:

تتمظهر المقاومة في أشكالها المتنوعة والمتعددة، وتتخذ صوراً ومعان مختلفة للفعل المقاوم، العسكري منه والسياسي والفكري والثقافي، « وقد عرفت الأمة العربية عبر تاريخها الطويل المقاومة بكل هذه المعاني والأشكال، وهو ما يتجلى في أشكال الكفاح والنضال والاحتجاج والتمرد ضد قوى القهر والاستبداد والطغيان الداخلي وقوى الاستعمار الخارجي وضد كل العوامل التي تسببت في تخلفنا وانحطاطنا»[2]، ورغم ما حققته المقاومة العربية بكل هذه الأشكال، وخاصة المادية منها، إلا أنها لم تحقق

1- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 ،1983، ص 11.

2- الشريف طوطاو: المرجع السابق، ص 63.

أهدافها القصوى، فتحررت الأراضي والأوطان تحرراً منقوصاً من بقية مكملات التحرر الثقافية والفكرية، « ولعل السبب في ذلك يرجع إلى افتقار هذه المقاومات إلى نظريات ورؤى فلسفية تؤطرها وتوجهها وتستمد منها مرجعيتها الفكرية، إذ لم ينخرط الفلاسفة والمفكرون العرب بشكل مباشر في فعل المقاومة إلا نادراً»[1]، فكان هذا النزر القليل من المشاريع الفكرية والثقافية في مواجهة الفكر الاستعماري ونقد العقل العربي الذي خلفته حروب الاستعمار على أفكاره.

وكما يقول عبد الهادي عباس: « أعتقد أن الثورة الحقيقية في حياة شعب من الشعوب تكمن في التغيير العميق لذهنية هذا الشعب في اتجاه تقدمي عصري، وهذا التغيير لن يكون بإزاحة حكم وإقامة غيره وتبديل قانون ورفع شعار جديد، وإنما يكون في إدخال تغيير أساسي على وعي المجتمع وإبدال مفاهيمه حول العلاقات الأساسية بين الإنسان والإنسان وبينه وبين عالمه المادي، ويكون بإقامة نظرة جديدة في المجتمع تنطلق من مفاهيم وقيم العلم والفكر شاملة لكل الممارسات والعادات والمعتقدات»[2]، هذا الفكر الذي ينشد التحرر والاستقلالية من الموروث المتخلف، ومن العوالق التي التصقت به أو أُلصقت به.

فبناء الفكر منطلقه الواقع ونحو معالجة الواقع كذلك، « والواقع الذي نقصده، ليس خاصية الشيء المعطى أو الموجود فحسب، بل إنه خاصية الفكر المدرك له، كذلك وفي الوقت نفسه، حيث إنه إذا كان لا تصور لوجود أي شيء في غياب فكر مدرك له، فإنه لا تصور لفكر ثوري بخاصة، إلا من ممثلاً ومدركاً للواقع المزري

1- الشريف طوطاو: المرجع نفسه، ص 64.

2- عبد الهادي عباس: (من مقدمة كتاب المقدس والمدنس لمرسيا إلياد)، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 1988، ص05.

المتواجد فيه»[1]، فلا ثورة دون فكر واعٍ بوجوبها وضرورتها، الفكر الذي يتفاعل مع الإنسان والواقع تفاعلاً ايجابياً، مولداً فكراً مقاوماً وثورياً.

وما مرّ على أرض الجزائر من شعوب وحضارات وثقافات، شكلت في تعاملها معه رصيداً فكرياً يعي جيداً أثر الأفكار الغازية، ويفهم مدى خطورتها على خصوصيته وما يتوجب عليه للتعامل معها وصدها، وما سعى إليه الاستعمار من تشويه وتسميم وتحويل لوجهة الفكر الجزائري، لإنتاج فكر مغلوب، وهذا ما استوجب ثورة فكرية أولاً تمهد لأشكال أخرى من الثورات، « وتجسيداً لذلك نقول إن فكرة نوفمبر لم تكن بداية الفكرة الوطنية تماماً كالثورة التي تجسدت من خلالها، بل كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لجهود فكرية وروحية ووطنية متواصلة تمتد جذورها القريبة إلى اليوم الأول من الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، وتضرب جذورها البعيدة في أعماق تاريخ الجزائر البعيد وتاريخ المقاومة التي قادتها ضد كل الحملات الاستعمارية التي ظلت تستهدفها»[2]، أي أن الفكر الجزائري لم يكن خالياً من إدراك ما حوله، ولا متخلفاً غير واعٍ بضرورة التفكير الجدي في متطلبات المرحلة القادمة.

وفي هذا المجال رصد ركيبي في بعض دراساته حول الفكر والثقافة، ومقاومة التيارات الفكرية وتطورها محطات مرّ بها الفكر الجزائري قبل الثورة التحريرية، فنجده يبدي رأيه الخاص في هذه الاتجاهات الفكرية في قوله: « فالذي يراجع النصوص التي ظهرت بظهور الطباعة في الجزائر منذ بداية هذا القرن ويراجع الآثار الأدبية والإنتاج الفكري والثقافي بوجه عام سيلحظ أن أبرز الاتجاهات الفكرية التي امتدت قرابة نصف قرن تتمثل في الفكر الرجعي المحافظ والفكر الإصلاحي والفكر

1- البخاري حمانة : فلسفة الثورة الجزائرية، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2012، ص55.
2- البخاري حمانة: المرجع نفسه، ص 58.

الليبرالي ثم الفكر الاشتراكي»[1]، فهذا الامتداد وهذا الرسوخ مرده إلى الارتباط بالقديم، والى عصور الانحطاط التي عرفتها الأمة العربية عامة والجزائر خاصة، بعد أن تقلص دور الحضارة الإسلامية والعربية[2].

وقد أسهم في رسوخ هذا الفكر مجموعة من الذين لاذوا بأفكارهم إلى الماضي هروباً من مرارة الحاضر، وقد زادهم في ذلك تشجيع الاستعمار الفرنسي لذلك الفكر، في محاولة منه عزلهم عن واقعهم المر لتترسخ في أذهانهم فكرة القدرية، وترك مقاومة الاستعمار والاستسلام إلى القدرات الغيبية وما يتصل بها من تحجر للأفكار والتواكل والخضوع، فانتشرت الخرافات والمعتقدات البالية، فكادت أن تشلّ في الشعب قوة الخيال والإبداع والفكر الخلاق[3]، لو لا ظهور بعض المحاولات الفكرية التي أثبتت وجود الفكرة الحية التي مازالت تنبض مقاومة وتصدٍ، لينطلق ما كان أسيراً من فكر وطني متشبع بالفكر الديني والمرتبط بالثقافة القومية الأصيلة.

أما الفكر الإصلاحي فقد وصفه ركيبي بأنه أكثر تقدماً و وعياً من الفكر الرجعي، وكأنه يريد أن ينفي أي فكر وطني أو ثوري قبل ظهور التيار الإصلاحي، حيث يرى أن هذا الفكر الجديد استطاع أن يجمع بين الماضي والحاضر، بل بين الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي الحديث، « ولا شك أن هذا الفكر – عكس السابق عليه– قد ساعد على إيجاد المناخ المناسب للثورة لأنه غرس في أصحابه وأتباعه حب الوطن والاعتزاز بتاريخ الأجداد»[4]، لان التطورات الجديدة، والمعطيات الحديثة جعلت

1– عبد الله ركيبي:عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجزائر، دط، 2009، ص 55–56.

2– ينظر: عبد الله ركيبي:عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)،ص56.

3 – ينظر: عبد الله ركيبي:عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)،ص56.

4 – عبد الله ركيبي:عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)،ص59.

من الفكر يتطور، وتتحول رؤيته إلى آفاق جديدة، تستدعي نظرة أشمل وأكبر للوطن ولمتطلبات الحياة الجديدة.

فبعد أن تتبع ركيبي جهود أدبائنا أيام الثورة التحريرية وقبيلها في مواجهة الاستعمار، وأبرز وحملاتهم التوعوية والداعية إلى مناهضة كل أشكال الهيمنة والدعوة إلى الكفاح المسلح والإشادة به ومؤازرته في كل مراحله، ها هو يواصل بحثه عن أساليب المقاومة المستمرة لدحر أفكار المستعمر وثقافته التي مازالت تسري بين الشعوب حتى بعد جلاء الاستعمار المادي، الذي واجهه الجيل القديم بكل الوسائل وحقق انتصاره المنشود، ليبقى دور الجيل الجديد الذي « فتح عينيه على رحيل هذه الجيوش الغازية ولكنه – في الوقت نفسه– مازال يدرك أن الاستعمار الذي انحسر مده ترك آثاره وثقافته الغازية وهيمنة فكره وسيطرة حضارته المتفوقة، فيشعر أنه يعيش معركة من نوع جديد ضد هذه الأفكار ويحاول مقاومتها فينتصر عليها مرة وقد يغض الطرف عنها مرة أخرى»[1]، في حرب من نوع جديد تستدعي التجند الفكري والحضاري، وتتطلب أسلحة أخرى أكثر فاعلية تبدأ من التفكير في الماضي والحاضر وتتصور المستقبل.

ولا يتوانى ركيبي في حث الجيل الجديد على مواصلة النضال والكفاح من أجل إتمام استقلال الأمة، وإلا سيبقى رهين أفكار الاستعمار، وها هو يخيره بين أمرين: « إما أن يجد الفرصة فيواصل النضال أو تسد الطريق في وجهه فيخضع ويستسلم ويستكين للغزو الفكري والاستعماري في شكله الجديد»[2]، فمن أهم أشكال المقاومة والنضال الفكري والثقافي إعادة إحياء الثقافة العربية بلغتها العربية، بعد أن سعى

1– عبد الله ركيبي :الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة الجزائر، 2009، ص 51.

2– عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 51.

الاستعمار الفرنسي بكل جهده لإضعاف اللغة العربية، « وبالرغم من ذلك فإن جيل الرواد قاوم هذا القهر وهذا التحكم وناضل في شتى الميادين السياسية والثقافية وعمل على بعث الثقافة العربية وإحياء الأدب العربي في صورة تعكس إحساس الشعب الجزائري وتجسد طموحه بشخصيته الحرة المستقلة»[1]، ففي هذا دعوة صادقة وصريحة للارتباط بالثقافة العربية القومية ليحقق هذا الأدب هدفه بالمقاومة المستمرة.

وفي الأخير« يخلص ركيبي مما سبق إلى التأكيد على أن كل أدب يتمتع بصفة المقاومة سواء كانت ذات صبغة قومية أو اجتماعية»[2]، وهذا ما يدعو إلى إثبات الذات الوطنية والقومية، وتوضيح معالم الشخصية الوطنية من خلال كشف هويتها الحقيقية البعيدة عن الانتماء الغربي الذي طالما سعت القوى الاستعمارية إلى إثباته.

فإن المقاومة الجزائرية في المقابل ركزت اهتمامها على إبراز الشخصية الوطنية وتحقيق الاستقلال، وهذا هو مفهوم الهوية ثم الارتباط بالوطن العربي وهذا هو الانتماء[3]، إلى الوطن المادي بحدوده الجغرافية، والانتماء الثقافي لدائرة أكبر تحدد تموقع الشخصية والهوية.

فلا يمكننا تحقيق الاستقلال إلا بعد معرفة من نحن بتحديد شخصيتنا والبحث عنها وإثباتها والمواصلة في طريق الهوية المقاوِمة التي « تنتج عن النشطاء الواقعيين في موقع أو في حال التقليل أو التصنيف الدوني، كنتيجة لسلوك ومنطق العناصر المهيمنة، ومن هنا يبني الهامشيون خنادق للمقاومة والدفاع عن وجودهم على قواعد

1- عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 52.

2- أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص 143.

3- ينظر: عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 49.

ومبادئ مغايرة أو مضادة لما هو عند القوى المهيمنة، وهذه هي سياسة انبثاق الهوية»[1]، التي لا يجب الانسحاب من خندقها.

ومن الملاحظ أن ركيبي كان دائم السعي إلى تقديم كل الأعمال التي من شأنها أن تبرز قضايا الأمة الكبرى، وخاصة الأعمال التي تشيد بالثورات والكفاح المادي والمعنوي، فكان هذا ما أكد عليه في قوله: « وهذا ما جعلنا نقدم قضايا الثورة والتحرر في الوطن العربي التي عبّر عنها شعراؤنا وانفعلوا بها»[2]، وفي هذا فإن ركيبي يشترط في الكاتب والشاعر أن يعيش التجربة وأن يعايش الأحداث الثورية التي تجعله أصدق تعبيراً وأكثر حماسة، على العكس من الذي يكتب شعر المناسبات السياسية والاجتماعية والذي يكون أكثر فتوراً في الروح والأسلوب.

ومن جهة أخرى نجد ركيبي دائم التأكيد على أن الشاعر الجزائري قد « صور إحساسه بقضايا الثورة في الوطن العربي، وكان صادقا في إحساسه ؛ لأن شعوره كعربي جعله يحس بوقع الأحداث وكأنها وقعت له»[3]، ورغم أن الشاعر الجزائري لم يغفل عن المناسبات الأخرى، إلا أن ركيبي يربط هذا الشعر المناسباتي دوماً بقضايا الثورة في الجزائر أو الوطن العربي، كذكريات الثورات وأعياد الاستقلال وغيرها.

ومن هذا المنطلق وهذا المبدأ الذي تبناه ركيبي والذي كان دائم الربط فيه بين الأدب والقضايا القومية، فقد « عمل في كتاباته النقدية على انتقاء نماذج شعرية تؤكد

2- عبد الله الغذامي: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 51.

3- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 13.

3- عبد الله ركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 114.

تفاعل الشاعر الجزائري مع قضاياه العربية»[1]، التي تحتم عليه المشاركة في تحرير الأمة والوطن والذات، فالتفاعل شعور بحال الغير وسعي إلى تحرير النفس والفكر قبل تحرير الوطن.

لذا فإننا نلحظ أن ركيبي شديد الحرص على موقف الأديب وعلى خلاصه، قبل خلاص الآخرين من كل الأسباب التي تمنع الأديب من أداء مهمته، وبهذا « يصعب أن يوجد تيار قوي للأديب يعبر عن مصالح الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين، لأن هذا يتطلب مناخاً خاصاً وهذا المناخ يتمثل في حرية الأديب في التعبير عن أرائه وأفكاره دون إلزام وتوجيه من السلطة والدولة فبغير حرية لا يوجد أدب صادق ملتزم، أدب أصيل، أدب يصدر عن إرادة حرة وإقناع وتفكير سليم»[2]، وبهذا فإن ركيبي هنا يؤكد على شرط الحرية عند المبدع قبل غيره، « ولعل في إصراره على توفر عنصر الحرية في العمل الفني تأكيداً منه على أن للفنان هدفين متلازمين لا يبرزان إلا إذا وجدا معاً ولا يغني أولهما عن ثانيهما؛ وهما مشاركة الأديب في معالجة قضايا مجتمعه وثانيهما التزامه بمناصرة القضايا الإنسانية العادلة»[3]، وهذه دعوة للفنان إلى عدم الخضوع لأي سلطة تمنعه من معالجة قضايا وطنه والاهتمام الموازي بالقضايا الإنسانية بوصفه ممثلاً للتجربة الإنسانية السامية وحاملاً لرسالتها العظيمة.

وأكثر من ذلك فإن رسالة الفنان تحمل أسمى الوظائف، فوظيفته إنسانية راقية بعيدة عن الذاتية الصرفة، بل تسمو برؤيته إلى أدق تفاصيل الواقع وإعادة تشكيلها من جديد.

1- أنيسة الحاج أحمد: المرجع السابق، ص 55.

2- عبد الله ركيبي: الشعب، مارس 1968، ص 08.

3- أنيسة الحاج أحمد: المرجع السابق، ص 17.

وخلاصة لهذا الفصل، يمكننا القول بأن المقاومة ظاهرة عامة، فإذا كانت تتجلى في الطبيعة الجامدة آلياً، فإنها تعمل عند الإنسان إرادياً، وعند البحث في طبيعة هذه المقاومة فإننا نجدها مختلفة الأنواع، متعددة الأشكال، وهذا باختلاف الظروف والمؤثرات الطبيعية والبشرية المضادة، وبابتكار وتطور الوسائل المتاحة التي تطورت بتطور الفكر البشري، ولأنها فعل إرادي يسعى إلى إثبات الوجود والحفاظ عليه، ولأن عقل الإنسان الواعي يمتلك القدرة على ربط العلاقات ودمج المعطيات والابتكار

والتطوير، فإنه يمتلك كذلك القدرة على ابتكار وفهم وتطوير أشكال هذه المقاومة وتنويع أساليبها وابتكار وسائلها الجديدة أيضاً، لتغدو المقاومة ظاهرة أخرى من الظواهر الحيوية الذهنية الأساسية، لتجعل من النشاط الذهني الإنساني يقوم بفعل المقاومة بابتكار الوسائل والسبل اللازمة للبقاء والحفاظ على الحياة.

كما نجد في هذا أن هدف الإنسان الرافض المقاوم كان السعي الحثيث وراء تحقيق الحرية بكل الوسائل والأشكال على تعددها وتنوعها، فكل مرحلة كانت تتطلب وسيلة ما وطريقة معينة تتطور بتطور الفكر الإنساني، لأن فكرة المقاومة تتركب من شبكة مفهومية ترافقها تقتضي كل منها الأخرى، وهذا ما لاحظناه من خلال تلك المفاهيم التي تراكمت عبر الزمن، لكن الأهم هنا كيفية التعاطي مع هذا المفهوم وإشكالاته وبيان مقومات هذه المسألة الفلسفية التي تقتضي دقة وصرامة، لأن المقاومة هي فلسفة ترافق الفعل وتوجهه وتؤطره لتضعه في مساره الصحيح ليؤدي مهمته في جميع المستويات.

ومن خلال تتبع مفهوم المقاومة فإننا نجدها تتخذ أشكالاً وأساليب متنوعة ومتعددة، مثل المقاومة المادية العسكرية، والسياسية والثقافية والفكرية، وبهذا فإن الأدب والثقافة من أهم مظاهر المقاومة، أو بالأحرى من أهم الطرق والوسائل المعتمدة في تشكيل وعي وفكر رافض ومقاوم، والأدب صوت تلك المقاومة الذي يسري في شعاب القلب والروح ليبعث الحيوية ويجدد الحياة ويحرص عليها، ليرتفع صادحاً منشداً الكلمة المقاومة، لذا فإن الأدب والثقافة من صور المقاومة ومرافقاتها عبر كل العصور وفي كل الحضارات، وباعتبار تنوع الثقافات وتطورها، فإن المقاومة تتشكل ثقافياً وتسعى إلى فرض هذا الشكل الثقافي والحضاري أيضاً، وهكذا كانت المقاومة الثقافية صوتاً آخراً من أصوات الشعوب، وكما يرى (علي عقلة عرسان) فإن المقاومة الثقافية ليست بإعلان الحرب وحمل السلاح ضد جبهة ما، بل هي عنده السير عكس التيار السائد أو

الفكر النمطي الذي يُفرض علينا، وهي أيضاً أن أقول لا حين تسود كلمة نعم، كم يدعو الى رفض الخضوع للعادات، وعدم قبول التقاليد السائدة لتحقيق فعل المقاومة، واكثر من ذلك يكفي أن نحمل القلم ونكتب لمواجهة أي سلطة جائرة أو ظالمة.

وهذا ما وجدناه عن الناقد عبد الله ركيبي الذي يركز على دور الثقافة القومية التي من شأنها أن تعيد للشعب مقومات شخصيته وهويته، وتعيد له ما سلب من ثقافته، وما واجه وجوده المعنوي، فكان ركيبي يكرس عملية البحث عن هذا الشكل الثقافي المقاوم، لان إعادة بعث الثقافة مقاومة مهمة، لأن المقاومة فعل إنساني على كل المستويات، الظاهرة منها والخفية، إنها عملية الإبداع الثقافي الفعلي لأشكال الرفض، هذا الإبداع الذي تبناه رجال الأدب والثقافة عبر التاريخ، وأولئك الذين حملوا لواء التصدي والصمود بكل ما أوتوا من إمكانات فكرية ونتاج أدبي وثقافي في مواجهة القمع والطغيان، ورفض فكرة مركزية الثقافة الاستعمارية السائدة باسم الحضارة والعلم.

وعبد الله ركيبي واحد من أكثر الذين حرصوا على تمسك ثقافتنا بأصولها وارتباطها بجذورها، وسعوا إلى إثبات هذا الارتباط، وعملوا على الحفاظ عليه بكل الوسائل، فدعوته إلى ثقافة أصيلة يجعله مشروط بارتباطها بالعقل الذي يوجهها، إضافة إلى انتماءها إلى وطنها وقوميتها، وهذا هو فكر الأمة الذي يقاوم ثقافات السيطرة والهيمنة، وفي حديثه عن علاقة الثقافة بالمجتمع يشدد ركيبي على الصلة الوثيقة بين الثقافة وحركة الشعوب التقدمية، فلا نجاح ولا تقدم دون ثقافة قومية مستمدة من تراثنا القومي وحضارتنا الأصيلة، ويرى ركيبي أن الشعب الجزائري لم يفقد ثقافته وحضارته إلى حد ما، بل بالعكس فقد جعل هذا الشعب من موروثه الثقافي شكلاً جديداً من أشكال المقاومة الثقافية بإعادة بعثها من جديد، والتمسك بها.

أما حديثه عن الثقافة بصفة عامة، وفي بحثه عن المقاومة الثقافية، لا يغفل ركيبي عن دور المثقف والمهمة الموكلة إليه في إحياء الثقافة القومية، حيث نلحظ أنه يحدد للمثقف الجزائري دوره في توضيح ملامح الثقافة المعبرة عن شخصية الشعب، ببذل المزيد من الجهد في إحياء الثقافة المحلية والقومية ونفض الغبار والرماد المتراكم عليها بالبحث والدراسة المعمقة في التراث والثقافة.

ومن خلال هذه الأفكار والمفاهيم فإننا نرى بأن المقاومة الثقافية تنطلق من البحث في الموروث الثقافي وإعادة بعثه من جديد، لمقاومة الثقافة الاستعمارية بإحياء الثقافة المحلية الأصيلة، كما أن إعادة إحياء اللغة والدين للوقوف في وجه التهجير الفكري والثقافي المسلط على الشعب المقهور يعيد للشعب شيئاً من حريته الثقافية والفكرية التي تؤهله إلى حمل لواء الحرية الكاملة، وينفي ركيبي الاعتقاد بأن العودة إلى الماضي والثقافة الأصيلة فيها نوعٌ من التقديس، وإنما يرى بأنه يمثل الانتماء والعودة إلى الجذور والأصول للانطلاق من جديد، كما يرى بأن العودة إلى التراث ليست وحدها التي تخدم ثقافة المقاومة، بل يجب أن تتوفر محاولات جادة لتجديد هذا التراث وتطوير الثقافة الاجتماعية تماشياً مع المتغيرات الجديدة، ومع أشكال السيطرة الجديدة، وهذا بإعادة النظر في ماضينا وحاضرنا ونقد الذات والمجتمع.

أما في علاقة الأدب بالمقاومة فإننا نجده قد رافق بكل صوره البدائية والحضارية الإنسان في كل أيامه، في الحرب وفي السلم، في الحزن وفي الفرح، في أشجانه وأغانيه، فكان الحكيم الذي يقص الماضي ويرشد إلى المستقبل، ويهدئ النفوس ويحرضها على فعل المقاومة.

وكان للآداب شعراً ونثراً في معركة المقاومة أثر كبير، حيث قام الأدب العربي في هذه المرحلة الحاسمة بدوره كاملاً، فهو فضلاً على أنه استجاب للتطورات، التي

تمثل مختلف الألوان التي عاشها الأدب في تاريخه الطويل، وقد ابتدع الأدب الوطني، الذي حمل لواء مقاومة الاستعمار والاستبداد وطغيان الحكام، ونادى بالتجمع والوحدة، وكشف عن أصالة الأمة العربية وقدرتها على المقاومة مصححاً كل المفاهيم والأفكار المغلوطة والمزيفة لثقافة الشعب العربي عامة والجزائري خاصة.

وفي هذا بذل ركيبي في بعض دراساته حول الفكر والثقافة مجهودات كبيرة، وأعمال قيمة تبحث في مقاومة التيارات الفكرية والثقافية، وفي علاقة الأدب إبداعاً ونقداً بالمقاومة بتعدد أشكالها، كما صور تطورات الفكر الجزائري قبل الثورة التحريرية، وخلالها وبعدها في خطاب نقدي سمته المقاومة.

الفصل الثاني: المسار النقدي لعبد الله ركيبي

1- مفهوم الأدب ووظيفته عند عبد الله ركيبي

2- مفهوم الشعر عند عبد الله ركيبي

3- مفهوم القصة القصيرة عند عبد الله ركيبي

4- الرواية الجزائرية عند عبد الله ركيبي

5- مفهوم النقد وشروطه عند عبد الله ركيبي

خلاصة

المسار النقدي لدى عبد الله ركيبي:

لقد عمل عبد الله ركيبي طوال مشواره الأدبي والفكري والنضالي، على البحث في الثقافة الجزائرية والعربية على أهم الأعمال الأدبية التي تخدم الوطن والإنسان في كل مكان، والكشف عن خصائصها ومميزاتها، وكذلك الأهداف المرجوة من هذه الأعمال، ووظائفها السامية، ورغم التطورات الفكرية والثقافية العديدة التي عرفها الأدب والنقد في الجزائر على السواء، كما عرفتها الساحة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل الاستقلال وبعده، وفي فترات مختلفة من التاريخ، إلا أن ناقدنا قد تتبع هذه التطورات في كل ما قُدم من دراسات وأفكار وأراء سابقة، فكان له موقفه النقدي من هذه الدراسات سواء كانت سابقة أو معاصرة له « مبيناً أهمية علاقة الأدب بالنقد، (...) ويعرج في حديثه على بدايات النقد في الجزائر»[1]، أو لنقل المحاولات الأولى في النقد الأدبي .

وفي تناوله للدراسات النقدية التي عرفتها الجزائر في مرحلة متقدمة من تاريخها النقدي ، فإنه لم يكن يرى في النقد الجزائري آنذاك ما يروي عطش الساحة النقدية ويثريها، وما وجد منه فإنه لم يكن بالمستوى المطلوب الذي يرتقي إلى مرتبة النقد المنهجي، ورغم أن هناك عدة تجارب فنية تستحق الدراسة النقدية، إلا أنها لم تساعد النقد كذلك ليكون أكثر فاعلية،« ولعلّ النقد الّذي وجه إلى تلك التجارب الفنيّة انصبّ على المضمون بالدّرجة الأولى حيث مال إلى "المذهبيّة" كما قيل عنه واتهمّ أصحابه بأنّهم يراعون الجانب "الأيديولوجي" على حساب الجانب الفنّي. وإذا كان هذا الحكم صحيحا إلى حدّ كبير، فإنّ هذه الأعمال الأدبية لم تهمل الجانب الفنّي فقد رأينا كيف عني الشعراء بالشعر الحر أو شعر التفعيلة – كما يطلق عليه – كذلك

1- أحمد دوغان : المرجع السابق، ص477.

ظهرت تجارب جديدة في القصّة القصيرة تنوّعت فيها الاجتهادات وأسهمت في تطوّر الأدب الجزائريّ المعاصر»[1]، وهاهو يقدم مفاهيمه الأدبية والنقدية، موجهاً المبدع والناقد معاً إلى الطريق الذي يجعل من هذه الأعمال ذات غاية وهدف، وذات ذوق جميل وإبداع فني مميز، يؤثر في القلوب كما يؤثر في العقول.

ومن خلال ما سنعرضه من أفكار الناقد عبد الله ركيبي، فإننا سنحاول جمع تصوراته وآرائه في الأدب والأديب، والنقد والناقد، لذا سنحاول التطرق إلى مفهومه للأدب ووظيفته، ثم إلى مفهومه للنقد وشروطه، لتتضح معالم نقده واتجاهه الفكري والأدبي.

1ــ مفهوم الأدب و وظيفته عند عبد الله ركيبي:

تختلف الآراء والنظريات في ماهية ومغزى الأدب وجدواه، حيث راحت تعدد أهدافه بين غاية فنية وأخرى اجتماعية سياسية وغيرها، فالأدب وسيلة وغاية، « إن الأدب يحاول أن يحقق جدواه فيما هو يتبلور. إنه لا يحاول التوجه إلى قارئ معين، لأنه يفترض أن القارئ دائب التغير، وبالتالي فالأدب لابد أن يكون غاية في حد ذاته لكي يكون وسيلة ناجعة لغاية أخرى، إنه قبل كل شيء لعبة ذات قواعد»[2]، وأطراف تمارس هذه اللعبة، فالأديب لاعب يواجه نظيره القارئ، فيشتركان في تسيير مجريات وفصول هذه اللعبة.

وبداية بخلق هذا الأدب على مستوى التأليف يمكننا القول: « إن التأليف عصارة ذهنية وتجربة وفكر والتطور الذي نشهده جميعاً يتمثل في الاختيار؛ اختيار

1- عبد الله ركيبي: الهجمة الشرسة على اللغة العربية والثقافة القومية، جريدة الرياض، العدد: 14486، 21 فبراير2008.

2-خلدون الشمعة: المرجع السابق، ص16.

الموضوع والأسلوب والمحتوى، وبتعبير آخر أن التطور يكمن في النظرة الجديدة للإنسان والكون والطبيعة، وفي العمق والبحث عن الحقيقة الخالدة التي تعبر عن قيم الخير والجمال في الإنسان، وهذا لا يتم إلا في مناخ يسمح للكاتب بأن يعبر عن رأيه في جرأة وصدق وموضوعية، وأعتقد أن هذا سيتم في ظل ثورة ثقافية حقيقية»[1]، فالمؤلف هنا كاشف للحقيقة، ومعبِّر صادق وثوري لا يحتكم لأي سُلطة كانت، والإنتاج الأدبي لا يقاس بالكم شأنه شأن أي إنتاج آخر، فالكاتب ليس تاجراً، وعلى رأي ركيبي فإنه بالإمكان أن نرمي بآلاف الأوراق إلى المطابع، وإخراج آلاف الكتب دون المستوى الأدبي والفكري والإنساني المطلوب.

وإذا كان الأدب تصويراً للواقع، ونقلاً له بطريقة الأديب وأسلوبه وفق رؤيته، فإن ركيبي يرى بعدم الإفراط في نقل هذا الواقع نقلا حرفياً أو آلياً، بل يجب على الأديب من أجل تقديم أدب هادف أن يتجاوز المنظور الواقعي الاجتماعي، وأن يسعى إلى خلق عالم متجدد يكون الواقع فيه متضمناً في العمل الأدبي[2]، فما على المبدع إلا تفكيك الصورة المباشرة والواقعية الجامدة، ومزجها بالصورة الشعرية التي تجعل من الواقع أدباً.

هذه الصورة الشعرية « التي تتخطى حدود الرؤية البصرية المباشرة، فمن توجهات الفكر الإبداعي إعادة تركيب الوجود وبعثه من جديد على أساس الخبرة الثقافية، والتجربة الذاتية التي تعمل على أن تبدع أعمق التجارب الفنية المتميزة»[3]،

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، أحاديث مع صاحبة الجلالة تمتد إلى أكثر من 30 سنة داخل الوطن وخارجه، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2000. ص28.

2- ينظر أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص26.

3- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005، ص56.

ولا يختلف ركيبي في هذا مع كثير من النقاد، حيث يرى بإعمال الخيال الذي لا يُبعد الواقع والوجدان والذي لا يزيف الحقيقة، « وإذا اتفقنا على أن قوام الفعل الإبداعي (...) هو الوجدان فلا بد من توفر عنصر الخيال الذي يُكسب التجارب الطاقة الإيحائية التي تُصعّد الإحساس وتقوي الاستجابة لدى القارئ، بفضل قوة الخيال الخلاق يعدم ويلاشي ويصهر ويكشف جوهر الأشياء »[1] المحملة برسالة الأدب و وظيفته التي تستدعي خبرة ودراية الناقد للكشف عنها.

أما تأثر النقد بالأدب فهو عملية إثراء متبادلة، فكلما ارتقى مستوى الأدب تطلب ممارسة نقدية أكثر جدية وفاعلية، كما أن جودة العمل النقدي تقوّم العمل الإبداعي وتوجهه الوجهة الصحيحة، وفي هذا يرى سيد قطب أن « العمل الأدبي هو موضوع النقد الأدبي، فالحديث عنه هو المقدمة الطبيعية للحديث عن النقد»[2]، أما ركيبي فإنه يذهب إلى أبعد من هذا، إذ يذهب إلى أن للأدب غايات أسمى وأهدافاً أعظم حين يدعو إلى أدب معبر يحمل رسالة سامية.

وبهذا فـــإن « الأدب بكافة فنونه، شعراً وقصة ورواية ومسرحية يعدّ المحرك الحقيقي لروح الشعب والمعّبر عن حياته المادية والروحية، ومن ثم لابد أن تكون غايته الإنسان لا الجمال فقط، ولا يخفى على أحد أن الأدب كان دائما هو الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورات الكبرى.. تلك الثورات التي حررت الإنسان من الظلم والسيطرة والعبودية»[3]، وهذا ما يحيلنا إلى وظيفة الأدب ومهمته المنشودة التي لخصها ركيبي في خدمة الإنسان وتحريره، وبهذا فإنه يستبعد فكرة الفن للفن،

1- عبد الحميد هيمة : المرجع السابق، ص 56.

2- سيد قطب: المرجع السابق، ص09.

2- عبد الله ركيبي: مجلة الجيش، ع4، مارس 1966،ص 30: نقلا عن محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص277-278.

ويعتقد بوظيفة ورسالة الأدب الاجتماعية والإنسانية الهادفة، لا بوظيفته الجمالية فحسب.

ولا يختلف ركيبي في هذا عن محمد مصايف الذي يقول: « إن للأدب وظيفة اجتماعية متعددة الجوانب، بعضها يهتم بخدمة المجتمع من ناحية الكرامة الإنسانية، وذلك بالدفاع عن الحرية ومقاومة الظلم بجميع أشكاله»[1]، وهذا ما أشار إليه ركيبي حين دعا الكتّاب إلى التمسك بالتجربة الإنسانية والسمو لدرجة التبشير بالمعركة وبيوم النصر واسترجاع الأمجاد، فيكون الأدب تلك الوسيلة الفعّالة لتطوير المجتمع ودفع الشعب إلى البحث عن سبل وآليات جديدة ومتعددة للكفاح من أجل حقوقه، وهذا ما يجعل الأدب يتصف حقاً بالواقعية حين يعيش مع الجماهير، بل يكون أدباً نضالياً مقاوماً لا يقنع بغير القيادة في معركة الحرية والكرامة والاستقلال والتقدم[2]، رصداً وتوجيهاً، ورمزاً أسطورياً يردد البطولات ويسجلها.

فالأدب بهذا هو بداية الرفض والثورة في أذهان الشعوب، والبذرة الأولى التي تشعل فتيل المقاومة والنضال بإيقاظ الهمم ورفع المعنويات وتصوير البطولات، وهذا ما كان يسعى ركيبي إلى التأكيد « في معظم كتبه ومقالاته النقدية على الوظيفة الاجتماعية والإنسانية للأدب، لأن الأديب الجاد – في رأيه– لا ينطلق من مجرد أفكار مشتتة وإنما عليه أن يمتلك فلسفة معينة وآراء وأفكار تهتم بالإنسان ومشاكله»[3]، فهو أرحب وأشمل في موضوعه، وفي أغراضه، كما هو وسيلة إنسانية راقية للتعبير عن هموم الإنسان وحاجاته، مطالباً بالحرية ومعبراً عنها، وقد « كان الأديب أحياناً يتحول إلى رمز للفداء والتضحية حين يحمل القلم والرشاش معاً

1– محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 275.

2– ينظر: محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، ص276.

3 – أنيسة أحمد الحاج:المرجع السابق، ص28.

ويستشهد في أرض المعركة من أجل الحرية والمبادئ التي يؤمن بها شعبه، كما فعل الشاعر الشهيد " الربيع بوشامة" والأديب القصاص " أحمد رضا حوحو" وكما فعل قبلهما الشاعر الفلسطيني " عبد الرحيم محمود»[1]، وغيرهم ممن أدركوا معنى رسالة الأدب الثورية، ومعنى التضحية بالنفس، هؤلاء الذين يبحث ركيبي عن أفكارهم وسعيهم، ويتتبع مسيرة نضالهم.

كما يرى ركيبي من جهة أخرى بأن الأديب لا يجب أن يبتعد عن واقع شعبه، وأن يعاني معه، وأن يعيش تجربة الإنسان في هذه الحياة بكل ما فيها من ألم وفرح، وما فيها من عذاب ونضال مستمر[2]، فهذا هو الأديب الذي يرتبط فكره وعمله بالمجتمع في رؤية إنسانية شاملة أوسع من أفقه الاجتماعي، فالأدب عنده « هو الإنسان منذ نشأته حتى نهايته»[3]، يصور ويعالج القضايا الإنسانية العادلة المشتركة بين كل الأمم، في إحساس عميق وبصيرة نافذة.

وها هو يوصي الأديب « بأن ينفذ ببصره إلى أعماق النفوس، إلى أن يقول وهذه الواقعية إنسانية»[4]، وحين يهتم الأديب بالقضايا الإنسانية، فإنه قد اهتم من خلالها بقضاياه الخاصة بوصفه إنساناً تمتزج مشاعره بمشاعر الإنسان أينما كان.

كما أن ركيبي يؤكد على مهمة الأديب النقدية، لأنه يعده الناقد الأول لعمله قبل أن يخرجه للعالم، فلا يخرج المبدع عمله إلا بتعديله وتصحيحه، ولكي يقوم الأديب بهذا عليه أن يتسلح بأدوات الناقد الإجرائية، « فالأديب كما يقال ينقد نفسه

1- عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار صبرا للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط01 1986، ص 27.

2- ينظر عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 866، 1965، ص04.

3- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، المصدر نفسه، ص 04.

4- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، المصدر نفسه، ص04.

قبل أن يخرج عمله ويبرزه لعالم الواقع، كذلك الناقد أديب بهذا المعنى، فعمله خلق جديد للمادة التي ينقدها وإعادة لها على نحو تظهر معه قدرته على التذوق والفهم وتوصيل ذلك للآخرين»[1]، فبقدرته على تمييز العمل الجيد من الرديء، والعمل الذي يحمل رسالة الأمة والفرد، يمكنه أن ينتج عملا مميزاً يتذوقه المتلقي ويفيده.

وفي هذا يتبنى ركيبي الرأي القائل بأن النتاج النقدي يعد نتاجاً إبداعياً من جهة أخرى، « وانطلاقاً من هذا يتحدد مفهومنا للأدب ونظرتنا لدوره ووظيفته باعتبار أنه نشاط وجهد إنساني هدفه خدمة الإنسان وحتى يستطيع الأدب أن يحقق هذا الهدف لابد أن يكون ثورياً وجديداً في نفس الوقت ومعنى هذا أنه مطالب بالتحرر من النظرة الضيقة للأدب على أساس أنه ملء للفراغ أو تزجية للوقت أو تعبير عن الجمال المطلق وما إلى ذلك من مفاهيم خاطئة»[2]، فشرطا الثورية والجِدة ضرورة مُلحّة على حسب ركيبي، لأنه يرى بأن وظيفة الأدب أسمى من تلك الوظيفة التي تتلخص في المتعة والجمال، وأبعد من صورته النمطية والتقليدية المستهلكة، ويضيف ركيبي موضحاً: « لكن قبل أن أترك هذه النقطة أود أن ألحّ على قيمة الأدب وضرورته.. هذه الضرورة التي لم يفهمها البعض، والتي كانت سبباً في تأخر الأدب العربي الجزائري حتى الآن.. ذلك أن الفهم الذي يعتبر الأدب حلية أو نوعاً من الترفيه، هذا الفهم هو سبب ما يعاني منه الأدب عندنا وهو السبب في تأخره»[3]، ولفهم الأدب أكثر ساق لنا ركيبي مفاهيم عدة في الشعر والنثر من شأنها أن توضح رؤيته ومفهومه للأدب الجزائري.

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 209-210.

2- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص130.

3- عبد الله ركيبي: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- مفهوم الشعر عند عبد الله ركيبي:

لقد كان ركيبي دائم الحديث في معظم أعماله النقدية عن تحديد وضبط مفهوم الشعر، والشعر الجزائري بالخصوص، والبحث في علاقته بالحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للشعب الجزائري خاصة، ومن خلال النماذج التي تناولها، قديمها وحديثها، فإننا نلحظ بأنه بدأ بحثه من محطات متقدمة من تاريخ الشعر الجزائري، وفي كل هذه المحطات كان دائم التأكيد على علاقة الشاعر وتفاعله مع أهم القضايا المصيرية داخل وطنه وخارجه، مؤكداً أن الشعر هو ارتباط وإحساس عميق بهموم الوطن والمجتمع، « وإذا كان الشعر – في منظور ناقدنا– هو مجموعة من القيم التعبيرية والشعورية، فإنه قد حاول في ممارساته التطبيقية إثبات مدى تحقق هذه القيم، ليتساءل بذلك عن مدى قدرة الشاعر الجزائري في أحداث التوازن المطلوب بين الذات والموضوع، دون أن يتقوقع على ذاته أو تطغى عليه قضاياه القومية والوطنية»[1]، فالموضوع في الشعر ركن أساسي يؤدي رسالته في الحياة الاجتماعية، ويعطي لهذا الشعر أهميته وغرضه الذي يحدد طبيعته وقيمته، « ولم يشذ الشعر الجزائري عن قاعدة أساسية تحكم أي شعر وهي المضمون الاجتماعي المستمد من الواقع الذي تموج فيه المتناقضات المختلفة، فكان من أبرز خصائصه التغني بالهوية الوطنية والارتباط بالأرض وتمجيد بطولات الشعب الجزائري والتعبير عن طموحاته»[2]، في رسالة خالدة خلود بطولات هذا الشعب تتوارثها الأجيال بواسطة هذا الشعر الخالد.

1 – أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص104.

2– مخلوف عامر: المرجع السابق، ص250.

ثم إن النقاد تحدثوا عما أسموه « سلاحاً في يد الأمة ضد أعدائها»[1]، وهذا هو الشعر النضالي المقاوم الذي يعد شكلاً جديداً من الشعر الحماسي الذي عرف قديماً مع التغير في لهجته وأهدافه، فكان هدفه الدفاع عن الوجود والتقدم، « والشعر في الجزائر يأخذنا إلى تلك الحرب التي كان لها الدور الأول في رحلة تكوين جديدة، إذ إن الثورة الجزائرية المسلحة التي انطلقت في الأول من نوفمبر عام 1954 لم تكن حرب تحرير ضد الاستعمار الفرنسي فحسب؛ بل عملت على تغيير الإنسان الجزائري»[2]، فكل العوامل التي جعلت من الشعر الجزائري يتخذ سبيلاً جديداً، جعلت من الحركة الفكرية والأدبية تتحول بتحولات الظروف الاجتماعية، أي أن العوامل التي غيرت مسار الشعر الجزائري جعلت منه وسيلة كذلك لتغيير الوضع الثقافي والفكري في المجتمع الجزائري، حيث ساعد على تشكيل وتنمية الوعي الثوري لدى الشاعر والشعب.

كما أن الشاعر أو الذات تُحول هذه القيم والمواضيع إلى شعر محمل بالشعرية والأصالة والقيم من خلال تجربة الشاعر ورؤيته الصادقة والمعبرة عن هذا العالم، ففي دراساته المتنوعة لبعض الإبداعات الشعرية، تناول ركيبي بعض الشعراء بالدراسة وأبدى رأيه في قدرتهم التصويرية وإمكاناتهم الشعرية التي تتراوح بين العمق والسطحية، وبين الهدوء والحماس، فكثيراً ما كان ركيبي يركز على أصالة الشاعر وشاعريته التي تثبتها قدرته على معايشة الأحداث وفهمها فهماً صحيحاً، والقدرة على التعبير عنها بأسلوب شعري مؤثر ودقيق في صورة جمالية راقية، ولا ينجر إلى الوصف الجامد الجاف أو الآلي للواقع.

1- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، ص 34.

2- أحمد دوغان: المرجع السابق، ص 29.

وفي هذا يرى ركيبي أن الشعراء الذين يتحدثون عن وطنهم بوصفه مكاناً للعيش فقط أو مسقط الرأس، مثل ما فعل الشعراء القدامى، يرى في شعرهم بأنه « تعبير لا يتغلغل في أعماق الشعور، ولا يعكس ما تحت الظاهر، فهو أشبه بوصف الطبيعة في الوطن، مما لا يؤثر في نفس الشاعر بعمق، وفوق هذا فهو وصف لا يربط بين الإنسان والأرض في تلاحم واندفاع وامتزاج، وبتعبير آخر فإن الحديث عن الوطن حديث لا يرقى إلى التجربة الحية في نفس الشاعر، لأنه لا يتوغل في أعماق الحياة حياة الشاعر وحياة الوطن»[1]، لأن الشعر يعد ضرورة لفهم الحياة وتصوير الأحاسيس والمشاعر الإنسانية بها، وإذا لم يرتبط الشاعر بعالمه ويتفاعل فإنه لا يمكن أن يعيشه بصدق، وهذا ما جعل ركيبي يلح في الدعوة إلى ارتباط الإنسان العميق بالمكان مثل ارتباطه بالزمان.

وهذا ما جاء به رواد الشعر الجديد، بتناولهم أهم القضايا الجديدة للإنسان المعاصر، فكان الشاعر المجدد أكثر وإدراكاً لهموم وآلام شعبه ووطنه، معبراً عنها بصدق وإحساس، مرتبطاً بعالمه ومجتمعه في كل حالاته، « فقد اتفق رواد الشعر العربي الحر على أن الواقع الاجتماعي والسياسي مصدر أساسي في عملية الإبداع، منه يأخذون مادتهم ليعيدوا تشكيلها من أجل الوصول إلى عالم فني أغنى»[2]، فالشعر الجديد خيار فرضته الظروف، وأوجدته الأوضاع الفكرية والسياسية والاجتماعية، ورغم أن تجربة الشعر الحر وانطلاقته في الوطن العربي كانت متعثرة متثاقلة، لأن « الشعر الحر في أول ظهوره مرّ بعدة خطوات، فقد كان للعداء المستحكم بين الثقافتين الغربية والعربية أثر في تعثر هذه التجربة الجديدة، إذ إنه لم يتح للشاعر

1- عبد الله ركيبي: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، ص142.

2- فاتح علاق: الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005، ص45.

الجزائري أن يتنفس ويستنشق نفحات جديدة عن طريق البعثات العلمية إلى جامعات المشرق العربي بفضل الطلبة الذين احتكوا بإخوانهم المشارقة، بحيث عاش الشعر الحر بدايته الأولى مقيداً لم يستطع فيها التحرر من الطابع القديم»[1]، وكان هذا التحرر جزئياً رغم محاولاته المتفرقة هنا وهناك في خطواته الأولى، ورغم خطواته المتعثرة كما قلنا، إلا أنه كان يسعى حثيثاً إلى إثبات وجوده وفاعليته، من خلال خلق مساحة جديدة لتأمل ونقد الذات والواقع، واقع الإنسان المتحول والمتجدد، وإعادة بناء الوجود من خلال إعادة تشكيل العلاقات وفق رؤية جديدة.

وهذا ما جعل ركيبي يتوقع مستقبلاً أخرا للشعر انطلاقاً من مظاهر التجديد التي بدأت تظهر في الساحة الأدبية، حيث بدأ الشعراء في طلب التحرر من قواعد الشعر التقليدية، ولذلك فهو يرى بأنه « سيأتي اليوم الذي يجد الشاعر نفسه مضطراً إلى أن يغير من طريقة القدماء فيما يتصل بالقافية الواحدة، وسينوع منها»[2]، ليتطور الشعر العربي في شكله العام مثلما يتطور في مضامينه المسايرة لتطورات الوضع العام للمجتمع العربي.

لكن ركيبي يشترط في التجديد الوعي الجديد بالإنسان والكون، إذ يقول: « التجديد في نظري هو أساس موقف جديد من الإنسان والمجتمع والكون، ولذلك فليست العبرة بمجرد اتخاذ شكل جديد يختلف عن الأشكال التقليدية أو موضوعات حديثة»[3]، ولهذا فإن ركيبي يتبنى التجديد في الشعر العربي ويسانده، لكن وكما قلنا وفق شروط وتحفظات، إذ نجده في قوله: « هذا على الرغم من أنني أومن بالتجديد.. بل كنت من رواده، ولا أغفل إطلاقاً أهمية الخروج عن الشكل المألوف،

1- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1984، ص354.

2- عبد الله ركيبي: تطور النثر العربي الحديث، ص241.

3- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 314.

جيد أنه ينبغي ألا نبالغ في أهمية الشكل الثوري السطحي»[1]، يحذّر من الذهاب بعيداً في الثورة على الشكل الخارجي للعمل الإبداعي، دون محاولة التجديد في المضامين بحيث تتماشى مع هموم الإنسان والعصر.

ولما كان ركيبي من رواد هذا التجديد – كما قال – فإنه كان يدعو إلى التمييز بين الغث والسمين منه، ولا يعد كل من خرج عن الشكل التقليدي مجدداً، حيث يرى « أن الشعر الجديد في بعض نماذجه قد وصل إلى مستوى رفيع جداً، وفق فيه أصحابه إلى التعبير عن حساسية الإنسان العربي الحديث، فهو قد تحقق فيه التجديد بالمعنى الذي حددته سابقاً وبالتالي فهو شعر إنساني لما فيه من أصالة التجربة..أقول في بعض نماذجه ولابد من تأكيد هذا اللفظ»[2]، فالتجربة التي ميّزت بعض الإبداعات الأدبية، هي السمة التي تُميز بين التجديد المطلوب واللازم وبين التجديد المنبوذ عند ركيبي.

ولم تختلف نظرة ركيبي عن بقيه النقاد من أمثال محمد ناصر، ومحمد مصايف ورمضان حمود، و أبو القاسم سعد الله، ومحمد الصالح باوية وغيرهم، من الذين رأوا في الشعر الجديد خطوة جديدة إلى الأمام، ونقلة نوعية في عالم هذا الفن الذي أصبح يطلب القوالب الجديدة والأساليب المتجددة للتعبير عن أوضاع المجتمع الطامح إلى الحرية، إلى حياة أفضل وأرقى، لأن « وعي الشاعر المعاصر بالعلاقة التي تربط بين الشعر الجديد وبين الإنسان المعاصر هو الذي يدفعه إلى الاهتمام الشديد بهذا الإنسان، والدفاع عنه اجتماعياً وسياسياً كما يظهر ذلك في مساهمة الشعراء في بلورة قضية الحرية في الوطن العربي، وفي الدفاع عن فلسطين

1- عبد الله ركيبي: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 315.

العربية»[1]، لأن الشاعر لم يعد يشعر بحدود قبيلته أو عشيرته ولا بحدود وطنه الصغير، بل انفتح على قضايا كل الشعوب التي تدور في فلكه، وتعاني معاناته، فما كان للشاعر العربي إلا أن ينخرط في كفاح الإنسان في كل الأصقاع مثل انخراطه في كفاح الشعوب العربية، طالباً للحرية معبراً على تطلعات الأمة وأحلامها.

كما كان تأثير الثورات العربية واضحاً في هذا الشعر الجديد، والثورة الجزائرية أعظمها، وهذا ما جعل الشعر الجديد ينصَبّ في مجمله في قالب القومية والوطنية، فـــمع « ظهور الثورة الجزائرية ازدهر الشعر الحر، وازدهر المضمون البطولي فيه وأصبحت القصيدة الجزائرية الحرة تتمتع بسمة التماسك التركيبي والخيال الشعري، كما تحتفظ بالأسلوب الخطابي، هذا الأخير في نظرنا يعود إلى المأساة الاستعمارية والاضطهاد الفكري الذي لم يترك مجالاً لانطلاق الشعر الحر خارج المضمون القومي»[2]، ولم يتغير هذا الأسلوب في الشعر الحر إلا بتغير الظروف والمعطيات، ليتناول مواضيع أخرى بأساليب جديدة بعد استقلال الوطن، ليبدأ مرحلة جديدة في مساره، وبشعراء شباب تغيرت ثقافتهم الأدبية، وثقفوا مظاهر التجديد في الشعر العربي والعالمي، « وما إن حلت العشرية الثانية بعد الاستقلال حتى ظهر جيل من الشعراء الشباب الموهوبين الذين كان لهم الفضل في ولادة شريحة شعرية تختلف عن سالفتها التقليدية، وتتميز بحساسية فنية جديدة يسكنها هاجس النهوض الوطني والقومي»[3]، ويستمر العمل الإبداعي لدى الشاعر الجزائري محملاً بأهم القضايا المتجددة والهموم الوطنية والإنسانية.

1- محمد مصايف: : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ،ص 309.

2- محمد مصايف: فصول في النقد الأدبي الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1972، ص 31.

3- جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، دط، 2003، ص 19.

3- مفهوم القصة القصيرة عند عبد الله ركيبي:

للحديث عن مفهوم القصة القصيرة عند ركيبي، يجب الحديث عن المفهوم العام للقصة الفنية، هذا لأننا سنتناول القصة الجزائرية القصيرة بشيء من التفصيل في محطة لاحقة من هذا البحث، وبهذا نجد أن مفهوم القصة قد يتعدد ويختلف من باحث إلى آخر، ولكن في المفهوم العام نجد أن هذه التعريفات تشترك في أسسها وعناصرها الأساسية التي تحدد ماهيتها، وكما يعرفها (إبراهيم خليل)، هي « قطعة نثرية بينة الطول تروي أحداثاً يشترط فيها إتقان الحبكة وتنسب إلى راوٍ وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع للكشف عن خبايا النفس وإظهار البراعة في رسم الشخصيات »[1] ، وفي ارتباط القصة بالبيئة الاجتماعية نجد لها تعريفاً آخر عند (حسين على محمد وأحمد زلط)، فهي « فن من فنون السرد يتميز بقدرته على التقاط تفاصيل الحياة الاجتماعية في أسلوب مختزل»[2]، وفي دراسة القصة الجزائرية، يؤكد ركيبي على صعوبة الدراسة وتحديد المفهوم، فـــ « الدارس للقصة القصيرة الجزائرية، بالعربية أو الفرنسية يجد صعوبة في تلمس الطريق لتحديد خط القصة القصيرة الجزائرية ومسارها، وهذه الصعوبة هي: قلة الأبحاث فيها بل انعدامها كلية. ذلك أن النظرة إلى القصة القصيرة بل والى القصة بصورة عامة، كانت تتسم بالحذر من هذا اللون الذي لم يوجد فناً مستقلا قائماً

1- إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2003، ص49.

2- حسين محمد و أحمد زلط : الأدب العربي الحديث (الرؤية والتشكيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط01، ص 183.

بذاته، عند العرب»[1]، فعلاً هذه حقيقة التراث الأدبي العربي الذي وإن عرف فعل القص، فقد عرفه في الشعر العربي الجاهلي، دون أن يُوجِد القصة بوصفها لوناً مستقلاً بذاته كما قال ركيبي.

ولأن ظهور القصة الفنية في الجزائر كما يقول ركيبي كان « بعد الحرب العالمية الثانية في أوائل الخمسينات بعد أن مهد لميلادها المقال والصورة، بعد أن نبتت بذورها في هذين الشكلين»[2]، وبهذا فإن ركيبي قد قدم مفهومه للقصة وأشكال ظهورها في الجزائر.

عبد الله ركيبي القاص بالدرجة الأولى، من خلال مجموعاته القصصية والمسرحية (مصرع الطغاة) و(نفوس ثائرة)، والناقد الذي قدم دراساته في الفن القصصي، مع تقديم مفاهيمه لهذا الفن، ولكن أهم أعماله كانت في تتبع مراحل هذا الفن، ومحاولة التأريخ له، ومن أهم أعماله النقدية في موضوع القصة وتطوراتها، وأهم خصائصها الفنية نجد كتابه (القصة الجزائرية القصيرة)، ومجموعة من الدراسات والمقالات الأكاديمية والصحفية، هذا الفن في مفهومه العام « شكل نثري مستمد من حياة الناس العامة، الاجتماعية وسواها بكل امتداداتها، فهي حكاية نامية تروي حدثاً نامياً، أو موقفاً ثابتاً أو متطوراً، تتحرك فيه شخصيات غالباً ما تتقدمها شخصية بارزة متميزة، تنهض بالبطولة في مسار الحدث أو في صياغة الموقف»[3]،

1- عبد الله ركيبي : القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر،2009

ص 05.

2- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، 170-171.

3- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، تأريخاً وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995، ص136.

الذي يتبناه الكاتب ناقلاً من خلاله صورة الحياة الحقيقية، فشرطه في هذا ارتباط العمل القصصي بحياة الناس وبواقعهم.

والأهم في العمل القصصي عند ركيبي هو مدى واقعية هذه الأحداث، حيث نجده يركز على القصة الواقعية من خلال تجربته في كتابة القصة، في قوله: « والحقيقة التي أقررها هنا هي أن هذه المجموعة قد يمكن للناقد أن يقول فيها ما يشاء، لكنه لا يستطيع أن يقول فيها أنها غير واقعية فهي من صميم الواقع قد يجد فيها الناقد رائحة البارود التي لم يتعود عليها، وقد يجد فيها روح الثورة التي تربط بين أفرادها وقد لا تعجبه هذه ولا تلك، لكنه سيجد فيها الحقيقة ناصعة، كأنصع ما تكون وسيجد فيها الصراحة كأشد ما تكون»[1]، والحقيقة أن ركيبي قد خص هذا الحديث بمجموعته القصصية (نفوس ثائرة)، ولم يكن ليعممه على كل عمل قصصي، لأن في القصة على العموم من الخيال ما فيها، وليس كل عمل قصصي يتمتع بصفة الواقعية الخالصة، والدليل على ذلك هو أنه تحدث في كثير من المحطات على صلة الواقع بالخيال، « ويبدو لي أيضاً أن مفهوم القصة القصيرة باختصار هو أن القصة تصوير للحظة معينة من الزمن، ثم تصوير شخصية أو أشخاص أو حادثة محدودة من الزمان والمكان.. ويكون الهدف التعبير عن تجربة إنسانية تقنعنا بإمكانياتها و وقوعها، فالكاتب يقطع شريحة من الحياة ليصورها في إيجاز وتركيز»[2]، وفي هذا نلحظ بأن ركيبي في مرحلة لاحقة من دراسته للقصة وتأثره بالمفاهيم الجديدة في تعريف القصة القصيرة يتبنى التعريف الذي قدمه (يوسف نجم) في كتابه (فن القصة).

1- عبد الله ركيبي: نفوس ثائرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1982، ص 24.

2- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (اتجاهات القصة الجزائرية)، جريدة الشعب، الجزائر، ع:878، 15 أكتوبر1965، ص04.

فالقصة الفنية عند ركيبي تتأسس على أصول ثابتة تدل على أصالة الكاتب وعمقه وامتلاكه لفن القصة وفن البيان، أي « أن أصول القصة الفنية تعني أشياء كثيرة.. تعني أشخاص القصة.. تطورهم، إمكانية وجودهم.. الاقتناع بما يحدث لهم.. هل الشخصيات ايجابية أم سلبية؟ هل هناك صراع وحركة في القصة؟ هل الحدث متطور..؟ هل يساعد هذا الحدث على معرفة ملامح أشخاص القصة؟ ثم أسلوب الكاتب من حيث اللغة.. الصور عادية أو مبتكرة»[1]، وإذا توفرت هذه الأصول في القصة الفنية أصبحت أقرب إلى الواقع، أو لنقل على رأي ركيبي صارت واقعية، واقعية يمتزج فيها الوعي بالواقع من خلال إحساس الكاتب به، والعمق في تناوله ومعالجته والتفاعل معه.

وهذا الوعي عند ركيبي يتجسد في اللوم الذي وجهه لكتاب القصة الثورية، و« إن ما يؤكد وعيه هذا، تأكيده على أن الكثير من القصص التي عالجت موضوعات الثورة لم تزد على أنها نقلت الواقع كما هو ولم تركز على الواقع النفسي للشعب والفرد، ومن ثم افتقد فيها العمق الذي هو البعد الحقيقي لمعالجة موقف الإنسان تجاه ظروفه وبيئته»[2]، ورغم هذا فإن ركيبي لم يبتعد كثيرا عن التصوير الآلي للواقع والسطحية في تناول الأحداث القصصية، « خاصة قصة "الكاهنة" التي تصلح – في رأينا– أن تكون وثيقة تاريخية على أن تدرج في مجال الإبداع القصصي أو الفني، كما تحول في بعض إبداعاته القصصية الأخرى – دائماً في مجموعته "نفوس ثائرة"– إلى خطيب واعظ ومرشد ديني لا يهتم بالإبداع الفني قدر اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والشعارات البراقة المستهلكة»[3]، ولكن هذه

1– عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، ص04.

2– أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص 46.

3– أنيسة أحمد الحاج: المرجع نفسه، ص 47–48.

المرحلة من أسلوب ركيبي لم تبق سائدة في فكره، بل تعداها إلى تطور جديد في أسلوبه وأفكاره، وخاصة في الخطاب النقدي بعد اطلاعه على القصة في الفكر العالمي واستفادته من النماذج العالمية وخاصة الغربية.

وكما أشرنا سابقاً، وما يراه ركيبي من الأسباب التي جعلت من القصة القصيرة في الجزائر تتأخر عن الظهور، وهذا نتيجة لتأثير الفكر التقليدي في الأدب الذي أسر الإبداع الأدبي في الشعر فقط، وإذا كان هناك بعض المحاولات القصصية إلا أنها لم ترق إلى المستوى المطلوب، « وفي بداية العقد الرابع ظهرت إشارات إلى الأسلوب القصصي والروائي ولكنها إشارات عابرة لا تعد مفهوماً للقصة وسماتها ومقوماتها»[1]، وبهذا فقد كان الاهتمام بالقصة ضعيفاً ونادراً في مقابل الاهتمام بالشعر على غرار الفكر التقليدي، مما أدى إلى ظهور الفكر المحافظ الذي أدى بدوره إلى هذا التأخر في الفن القصصي، حيث كان هذا التيار المحافظ يدعو إلى اتباع التراث العربي القديم والمحافظة عليه، وهذا ما عرقل ظهور وتطور الفن القصصي في الأدب الجزائري، حيث كان كل الاهتمام بالشعر العربي القديم والتمسك به، بوصفه رمزاً من رموز التراث العربي.

أما محدودية المواضيع والقضايا التي يمكن أن يعالجها الإبداع الأدبي في الجزائر، جعل من المبدعين يقصرون كتاباتهم على القضايا الإصلاحية، دون الحديث عن الحب أو المرأة أو المغامرات، حيث « كانت النظرة المحافظة للمرأة، بالإضافة إلى تأثير الدين، هي الخوف من أن ترتمي في أحضان الحضارة الفرنسية فتتخلى عن قيمها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها السامية العربية فتفقد الأمة شخصيتها بفقدان تقاليدها»[2]، هذه التقاليد التي حكمت المرأة أثرت كذلك على القصة ولم تُثْرِها

1- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص 27.

2- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص 30.

بمثل هذا الموضوع، ولأن « المرأة كانت تعيش في وضع منغلق لا يسمح لها بأن تؤثر في الحياة الثقافية تأثيراً إيجابيا، لأن الحجاب المضروب عليها كان يمنعها من الاختلاط بالرجل ويمنع الرجل من أن يتحدث عنها شعراً أو نثراً»[1]، هذا ما جعل المحاولات القصصية إصلاحية إلى حد بعيد.

كما لم تشارك المرأة في الحركة الإبداعية ككاتبة إلى وقت متأخر من تاريخ القصة القصيرة الجزائرية، كما أن الأوضاع التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك لم تكن تسمح بغير ما يتوافق مع الثقافة المحلية، إلا أن ظهور المرأة بدا جلياً في بعض الأعمال القصصية فيما بعد، وخاصة بعدما أخذت القصة تقترب أكثر من الفكر الواقعي وارتباطه بالثورة الجزائرية، يقول ركيبي: « وللمرأة أيضا مجالها في القصة القصيرة، بل إن الكتاب اهتموا بدورها في الكفاح أثناء الثورة اهتماماً واضحاً وانصب اهتمامهم على مشاركتها في المعركة كجندية وفدائية إلى درجة أنها تنفذ الإعدام في اقرب الناس إليها عندما تشعر بأنه قد خان ثورته ووطنه»[2] ثم كان الظهور البارز في الرواية الجزائرية، وخاصة المكتوبة باللغة الفرنسية.

4- الرواية الجزائرية عند عبد الله ركيبي:

قبل الحديث عن رؤية عبد الله ركيبي للرواية الجزائرية، نشير إلى « الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة العربية، هذه الرواية التي يشير أغلب الدارسين والنقاد في الجزائر إلى أنها من مواليد السبعينيات عدا روايتين هما (غادة أم القرى) للأديب الشهيد ((أحمد رضا حوحو)) و(الطالب المنكوب) ((لعبد المجيد الشافعي))

1- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص 29.

2- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، ص 193.

وقد صدرتا في أواخر الأربعينات»[1]، والبعض الآخر من النقاد يرى بأنها تجارب روائية وإن لم تكن بمستوى الرواية الفنية التي ظهرت في السبعينيات، « وكانت أول رواية فنية عرفها الأدب الجزائري هي (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة، وقد كتبت في عام 1970»[2]، مشَكِّلة الرواية الجزائرية الناضجة في صورتها الفنية، .

وبالعودة إلى ركيبي فإننا نجده قد تناول موضوع الرواية العربية الجزائرية، وأسباب تأخر ظهورها مثلما تتبع أسباب تأخر القصة كذلك، وفي قوله : « ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي، والقصة القصيرة، والمسرحية»[3]، إذ يرد هذا التأخر إلى انتشار اللغة الفرنسية في الأوساط الجزائرية، وتوجه القارئ الجزائري إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، إضافة إلى توجه النقاد والدارسين إلى الأعمال المكتوبة باللغة الفرنسية وعدها من الثقافة الجزائرية ولسان حال الجزائري.

أما ما ميّز هذه الأعمال الأدبية باللغة الفرنسية، هو ظهور الرواية وطغيانها على حساب القصة القصيرة التي ظهرت في بداياتها بلغتها الأجنبية وأسلوبها الساذج، وبساطته وضعف لغتها وحوارها، إذ كانت مجرد حوارات وأخبار مختصرة لا ترقى إلى مستوى القصة الناضجة، وسنتناول هذه الرواية لاحقاً.

وفي تتبعه لتطورات الرواية العربية الجزائرية، فقد ميز بين شكلين من هذه الرواية، رواية رغم أنها بدائية ساذجة، إلا أنها تعد بذور الرواية العربية في

1- أحمد دوغان : المرجع السابق، ص 85.

2- أحمد دوغان : المرجع نفسه، ص 85.

3- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص 179.

الجزائر من مثل رواية (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو، و(الطالب المنكوب) لعبد المجيد الشافعي، هذه التجارب التي وصفها بالسذاجة في قوله: « أما في ما يتعلق بالرواية العربية الجزائرية..فهي من مواليد السبعينيات بالرغم أن هناك بذوراً ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للروايات العربية الجزائرية، سواء في موضوعها، أو في أسلوبها وبنائها الفني»[1]، هذه الرواية التي أرخ ركيبي لظهورها في فترة السبعينيات، هي الرواية الفنية التي جعل منها فناً صعب المراس، يتطلب من المبدع صبراً طويلاً وقدرات خاصة للخوض فيه، خاصة أن الكتاب في تلك الفترة لم يألفوا مثل هذا النوع ولم يجدوا أنموذجاً يقتدون به، ويرى ركيبي أن النماذج الأولى للرواية الفنية في الجزائر تمثلت في رواية محمد عرعار (ما لا تذروه الرياح)، ورواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة، ورواية (الزلزال) لطاهر وطار.

وكما رأينا سابقاً، فإن ركيبي في تتبعه لتطورات الرواية العربية الجزائرية، يتتبع القضايا التي تناولتها هذه الرواية والمتعلقة بالأرض والوطن، والكفاح والنضال للشعب الجزائري والأمة العربية، إضافة إلى « قضايا كثيرة تتصل بالأرض والمرأة، وبنضال الإفراد من أجل الحياة والمستقبل، كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره، ثم تعرض لجانب الشر في الإنسان وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي، ومحاولاته للتفوق على نفسه، ولكنه يساق إلى نهاية لا يريدها»[2]، وقد كانت الرواية العربية تتفاعل مع تطورات الوضع في الجزائر بعد الاستقلال، كالفكر الاشتراكي، والثورة الزراعية ومرحلة البناء وكل

1- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص 199.

2- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، ص 201.

التحولات الاجتماعية والثقافية في مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر وتاريخ الرواية العربية في الجزائر.

5- مفهوم النقد وشروطه عند عبد الله ركيبي:

يخرج المبدع عمله الأدبي إلى القارئ والباحث، فيتناوله كل منهم بوسائله، ويبقى متابعاً من قبل أهل النقد للتقويم والتقديم، حيث « اجتهد أعلام النقد وأئمة البلاغة في التقنين والاستنباط، وخرجوا بأصول، قالوا إن في المقدور أن نقيس بها الخلق الفني؛ فنعرف جيده من رديئه، ونميز معدنه الطيب من معدنه الخبيث، ولو صدق هذا الاختراع في الفن كما صدق في التعدين، وكانت لهذه الأصول التي تقاس بها أعمال الفن والأدب، دقة ذلك الجهاز الحساس الذي يعرف منجم الذهب من منجم النحاس، لهان الأمر على النقد والنقاد والأدباء والفنانين»[1]، ولكن يبقى النقد الأدبي مهنة الناقد الذي تشبع بفنون الأدب وتمرس قواعد النقد، و« الناقد يبصر الأديب بأخطائه وحسناته، وينبهه إلى ما يقع من حوادث، ويوجهه الوجهة الصحيحة»[2] التي تمكنه من إخراج عمله إخراجاً يخدم الأدب والإنسان والمجتمع.

ولأداء مهمته الفنية في إعادة تشكيل هذا العمل الإبداعي، وكما يرى سيد قطب فإن وظيفة النقد « تتلخص في : تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية، وقيمته التعبيرية والشعورية، وتعيين مكانه في خط سير الأدب، وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفي العالم الأدبي كله، وقياس مدى تأثره بالمحيط، وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية

1- توفيق الحكيم : المرجع السابق، ص16.

- محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1989،ص 192.

والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك»[1]، وهكذا يمرّ العمل الأدبي على يد الناقد وفق آليات ومناهج معينة، أو طرق محددة تتبنى الأسس والشروط المتفق عليها في صناعة العمل الأدبي الجيد، « ولعل خير منهج للناقد أن يجمع في نقده بين شتى الاعتبارات ويؤلف بين مختلف النظرات، فيختار الأثر من بين مختلف الآثار بذوقه، كاشفاً عن نواحي الجمال، ثم يحلله بغربال علمه، ليخرج لنا ما انطبق منه على الأصول وما لم ينطبق، وذلك لمجرد التحليل والبحث والدرس، لا لإصدار الأحكام بناء على هذا الاعتبار وحده، فإذا فرغ من ذلك بقى أمامه الشطر الأجلّ من عمله النقدي، وهو تقييم الأثر بقيمته في المحيط الأدبي القومي أو الإنساني»[2]، وبهذا وعلى رأي توفيق الحكيم فإن الناقد قد أدى مهمته من بداية العملية النقدية التي جعل التذوق أولها، وجعل القضايا الإنسانية العامة هي آخرها، مروراً بالذوق السليم والتوافق مع القواعد العلمية الأدبية منها واللغوية.

ولنجاح العملية النقدية، وحتى يصبح الناقد ناقداً متمرساً، يُشترط في هذه العملية على حسب الناقد أحمد كمال زكي عدة شروط تتجلى في ما يلي:

« – الثقافة الواسعة التي تساعد الناقد على فهم وتحليل العمل الأدبي، وهي مزيج بين تخصصات عدة، كالآداب المختلفة، والفلسفة والتاريخ والفن والعلوم الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من التخصصات التي تهم الفرد والمجتمع على السواء.

– الإلمام والإحاطة بالمذاهب والتيارات الفكرية العالمية في الأدب ومدارسه النقدية المعروفة.

1– سيد قطب: المرجع السابق، ص07.

2– توفيق الحكيم: المرجع السابق، ص 17–18.

– الالتزام بالحيادية والموضوعية في العملية النقدية، والابتعاد عن الميول الشخصية وإقحام ذاتية الناقد وانتماءاته الفكرية والسياسية»[1].

وبهذا فإن العملية النقدية تتم وفق شروط محددة، تمكن الناقد من تناول العمل الأدبي وإبراز مميزاته وخصائصه بعيداً عن ذاتيته وميولاته الخاصة، لأن النقد مهمة تتطلب ذوقاً راقياً، وحساً دقيقاً ودربة كبيرة على الوسائل والآليات النقدية بتنوع المذاهب والمدارس، « والحكم النقدي ضروري لأن النقد إبراز لقيمة العمل الأدبي، فهو ليس مبدأ يقوم على نفسه كحكم مستقل بل نتيجة تأتي في أخر العملية النقدية»[2]، وبهذا تكون العملية النقدية في طريقها الناجح، بتوفر عدة شروط في الناقد و وسائله ومناهجه النقدية.

إذن فالنقد عملية صعبة المراس، ودقيقة تتطلب فهماً جيداً بآلياتها وخصوصياتها، ولا يمكن تحديد المفهوم الواضح لهذه العملية عموماً، لأنها تنطلق من نهاية العملية الإبداعية المتطورة والمتغيرة والمتجددة، فالعملية النقدية تتطلب عناية دقيقة وخاصة لأن « العناية بالنقد تعني الاهتمام بالمستقبل، وتعني أيضا عدم الرضا بالواقع وترمي إلى النزوع نحو الأفضل والطموح إلى الأرسخ، ذلك أن الحديث عن النقد حديث عن حقيقة الحياة بمعنى من المعاني، وحديث عن الإنسان، وغاية الأدب والنقد والفن هي حرفة الإنسان ومعرفته وفهمه، ولم تزدهر الحضارات سوى بالنقد والتمحيص والبحث عن الجديد دائماً»[3]، فالنقد على رأي ركيبي هو عملية بحث وتنقيب في العمل الأدبي عن خطوط المستقبل، والكشف

1– ينظر: أحمد كمال زكي: أراء في الشعر والقصة، دار المعارف، بغداد، العراق، ط01، 1965، ص 24–25.

2– إبراهيم رماني: إضاءات في الأدب والثقافة والأيديولوجية، دار الحكة للنشر، الجزائر، 2009، ص27.

3– عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 258.

الجديد من الفكر والثقافة بالفهم والاستيعاب الشامل لهذا الإبداع المتجدد، والسعي إلى بناء مستقبل أفضل.

وبالحديث عن النقد الأدبي في الجزائر فإننا نلحظ أنه لم يكن سابقاً على نظيره في المشرق العربي، إلا أنه حاول على يد ثلة من الدارسين أن يرتقي إلى مرحلة النضج وخاصة بين الحربين العالميتين.

وبعد أن كان ظهوره بسيطاً غير ناضج في بداياته، ولم يستطع التخلص من تلك الجزئية والسطحية إلا أنه كان يقترب بخطوات إلى النقد العربي في المشرق متأثراً باتجاهاته وأعلامه، وهذا الضعف والتذبذب والتقليد الواضح أمر طبيعي لأن الحركة الأدبية في الجزائر في تلك الفترة لم تكن كما هي في المشرق العربي، فبتطور العمل الإبداعي يتطور العمل النقدي، أي إن النتاج الأدبي في كل مراحل تطوره « لابد أن يصاحبه أو بالأحرى يسبقه نقد بنَّاء، يضع يده على جوانب الضعف ليتم تجاوزها، كما يضع يده على جوانب القوة ليتم تطويرها، لذلك حين نمتلك القدرة على النقد الذاتي في حياتنا وفي أدبنا نستطيع النهوض بأنفسنا وبإبداعنا، أي نستطيع تغيير مجتمعنا وإنتاجنا الأدبي نحو الأفضل »[1]، وهذا ما يلاحظ في الحركة الأدبية في الجزائر آنذاك.

ومن خلال ما لاحظنا في رأي ركيبي أنه يتخذ موقفاً واضحاً في النقد الأدبي، حيث يعد النقد حاسة فطرية مثله مثل الإبداع، وإذا تغلبت إحدى الحاستين فقد تجعل منه مبدعاً أو ناقداً، كما أن المبدع هو أول ناقد لعمله، فلا يخرجه إلا بعد

1- ماجدة حمود: علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ط1، 1997، ص10.

تعديله وتنقيحه، إذاً فهو يرى بأن النقد إبداع ثان[1]، من خلال ما يقدمه الناقد في هذه العملية من خلق جديد لهذا العمل الأدبي.

وبهذا فإن ركيبي يجعل من الأديب ناقداً والناقد أديباً، « فالأديب كما يقال ينتقد نفسه قبل أن يخرج عمله ويبرزه لعالم الواقع، كذلك الناقد أديب بهذا المعنى، فعمله خلق جديد للمادة التي ينقدها وإعادة لها على نحو تظهر معه قدرته على التذوق والفهم وتوصيل ذلك للآخرين»[2]، وفي هذه العملية الثنائية بين الإبداع والنقد تتجسد الثقافة في العمل الأدبي و النقدي، لذا فالمبدع يعد ناقداً بالقوة على رأي عبد الله ركيبي، « فهو لو لم يكن يمتلك حاسة نقدية وثقافة عميقة في النقد لما استطاع أن يبدع أو يستمر في الإبداع عن طريق تطوير نفسه الأمر الذي يؤدي إلى تطوير أدبه فذوقه النقدي يدفعه إلى تصحيح إبداعه قبل نشره، كما أن ثقافته النقدية تحفزه إلى هذا الإبداع وكذلك الناقد مبدع بالقوة، إذ يمتلك رهافة حس تجعله يتذوق الإبداع ويتصل بمواطن الجمال فيه بفضل ذائقته المصقولة بالشفافية والثقافة»[3]، فركيبي هنا يقدم شروطه في العملية النقدية والتي تراوحت بين رهافة الحس والتذوق السليم للإبداع والقدرة على اكتشاف مواطن الجمال فيه، إضافة إلى موهبة الناقد الفذة وقدراته الجيدة المزودة بسعة اطلاعه وثقافته الواسعة.

ومن خلال هذا نلحظ بأن ركيبي رغم أنه نبّه إلى دور النقد في إبراز الأعمال الأدبية والكشف عن أصحابها، والبحث فيها عن سمات وخصائص تميزها، فإنه قد جعل من النقد عملية تفسيرية للنتاج الأدبي، تتجلى مهمة الناقد فيها إلى الأخذ بيد القارئ إلى فهم هذه النصوص وتفسيرها، وفي هذا يرى رابح طبجون أن «

1- ينظر عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص209-210.

2- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث،ص 239.

3 - ماجدة حمود: المرجع السابق، ص19.

مهمة التفسير عملية أساسية عند الناقد (عبد الله ركيبي) لأنها ضرورية للوصول إلى أبعاد المعنى الذي يبدأ من معرفة الدلالات الحركية للنص الأدبي، لأن الأعمال الأدبية تتسم تارة بالغموض، وتارة أخرى باستعمال الرموز التي يجد القارئ عاجزاً عن أمامها»[1] دون محاولة إعادة القراءة وفق وعيه وثقافته.

إلا أننا نرى أن ركيبي لم يعط للمتلقي الحق في إعادة بناء هذه الأعمال، وإعادة تشكل المقروء وفق ثقافته التي تتطور وتتجدد، كما أنه جعل من العمل الأدبي أحادي المدلول، يتفق الجميع في فهمه وتفسيره، وهذا ما يتنافى وما تحمله الإبداعات الأدبية من تعدد المفاهيم والقراءات، كما تتعدد العمليات النقدية وفق مناهجها واتجاهاتها الفكرية، فالنص يتصف بالانفتاح على تعدد القراءات وتنوعها.

ومن جهة أخرى فإننا نجد بأن ركيبي كان كثير الاهتمام بقضايا النقد ومشكلاته في الساحة النقدية الجزائرية والعربية، حيث اهتم بالواقع النقدي متحدثاً عن أسباب ضعفه وتدهوره، كما كان يقدم بعض الأسباب في ذلك، كالهوة التي كانت تفصل الدرس النقدي العربي والمذاهب والمدارس النقدية الغربية، وفي هذا كان يدعو إلى « تأصيل منهج عربي مستقل عن المناهج الغربية التي تأثرنا بها في بحوثنا ودراساتنا العلمية، سواء في الأدب أو العلوم الإنسانية»[2]، ومن الملاحظ في هذا الرأي أن ركيبي تارة يدعو إلى الاستفادة من المناهج الغربية الحديثة، وتارة أخرى يحذر منها ويدعو إلى الابتعاد عنها، ونحن نحسبه في هذا أنه يدعو إلى المزاوجة بحذر بين تراثنا النقدي وخصوصياته وبين المناهج النقدية الغربية، لأنه يرى بأن الأفكار والمناهج النقدية الغربية من الصعب إن لم نقل من المستحيل تطبيقها على واقعنا وثقافتنا العربية الإسلامية، وما تحمله من خصوصية، وهذا ما

1- رابح طبجون: النقد الأدبي مناهجه وقضاياه عند الدكتور عبد الله ركيبي، ص 333.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص141.

جعله كما رأينا سلفاً يدعو إلى اتجاه ورؤية نقدية قومية عربية إسلامية تمثل ثقافتنا وإيديولوجيتنا.

كما أننا ومن خلال تتبع شروط ركيبي في الناقد فإننا نرى بأنه يشترط فيه أن يحيط ببيئة الكاتب وحياته، وان يستمد مبادئه النقدية من العمل الفني في حد ذاته بالاستفادة من بقية العلوم، ودعوته « لمنهج متكامل في النقد الجزائري يستفيد من العلوم الإنسانية كلها، ولكنه يراعي النص بالدرجة الأولى، لا معزولاً عن صاحبه وبيئته، ولكن معزولاً عن المؤثرات الشخصية الذاتية، بعيداً عن الأهواء والأحكام العامة المسبقة، فالمهم هم إحساس الأديب في هذا النص وما يعكسه من شعور صاحبه ما يوحي به من أفكار وقيم إنسانية، وما يدعو إليه من قضايا تفيد الإنسان وتعكس مطامحه وأشواقه»[1]، وفي هذا عدة شروط طالب بها ناقدنا، الاهتمام بالنص وبسياقاته، ومراعاة الفائدة التي يقدمها النص، وكذلك تناوله القضايا الإنسانية العامة وخروجه من دائرة المحلية.

وبعد أن تناول ركيبي موضوع النقد وشروطه حدد لنا أهم المعايير التي يجب أن يزاوج الناقد فيه بين الموضوعية والذاتية، وهذا من خلال تمكن الناقد من آليات النقد وقواعده التي تفتح أمامه النص بكل محمولاته ومعانيه، كما تفتحه أمام القارئ لتلقيه واستيعابه، فركيبي يركز على دور الناقد الواعي بقواعد العملية النقدية التي تتراوح بين الاهتمام بالجوانب اللغوية والفنية والموضوعية للنص، وهذه هي الثقافة النقدية.

كما نلاحظ بأن ركيبي يعطي للذوق أهمية كبيرة كذلك، فالعملية النقدية عنده لا تتم إلا بالمزاوجة بين الذاتي والموضوعي وهذا ما سماه بالأصول النقدية، وهي

1- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 25.

ما يحتاجه الناقد من خبرة ودراية لغوية، كما لا يمكن أن تكون هذه الدراية اللغوية هي المرجع الأخير في العملية النقدية، بل لابد من تدخل الذوق، ذوق الناقد الذي يستعين ببعض الأصول السليمة التي تمكنه من الوصول إلى أحكام إن لم تكن سليمة، فعلى الأقل يمكن أن تكون قريبة من الأحكام الصحيحة[1]، وفي هذا نجد محمد مصايف يوافق ركيبي في قضية الذوق في قوله: « فالذوق في نظر الركيبي مما لا يستغني عنه الناقد في ممارسته النقدية، لأن الأصول أو القواعد اللغوية والفنية تساعده على إدراك طبيعة العمل الأدبي إدراكاً علمياً موضوعياً، ولكنها لا تسعفه في تحديد نفسية الأديب بطريقة عميقة، ولعل هذا من الجوانب القليلة التي يتفق فيها الناقد التأثري والناقد الواقعي عند النظر في العمل الأدبي، فكلاهما لا يستغني عن إحساسه في الاتصال بروح الأديب ونفسه وعواطفه »[2]، وما أراد أن يشير إليه مصايف هو اهتمام ركيبي بمسألة الذوق، حتى أن ركيبي كان يبحث على مؤيدين لرأيه، وهذا ما أشار إليه مصايف في قوله: « ويلح ركيبي على هذه الوسيلة النقدية حتى في الاستجوابات التي كان يقوم بها لبعض الأدباء والنقاد العرب عندما كان محرراً بجريدة الشعب، كما فعل مع فاروق منيب الأديب المصري الذي أكد له أن عملية النقد تحتاج إلى تخصص عميق ودراية طويلة في التذوق الفني والأدبي»[3]، وبهذا ينتقل ركيبي من الحديث عن الجانب الموضوعي إلى التطرق إلى الجانب الذاتي في الناقد، ألا وهو الذوق الذي يمكن الناقد من تذوق العمل الأدبي والتفاعل معه.

1- ينظر عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، ع: 974، فبراير 1966، ص04.

2- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 406.

3- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 406.

وهذا لا يعني عنده الانغماس في الذوق الشخصي الذي يصدر أحكاماً ذاتية بعيدة عن النقد السليم، بل نراه يدعو إلى التأمل في العمل الإبداعي والتعمق في تفاصيله من أجل فهم التجربة التي يحملها هذا العمل، « ومجاراة العصر والذوق_ في نظر عبد الله ركيبي_ تتطلب نقل التجربة الواقعية بتصوير الثورة والحرب ومعاناة الإنسان (الفلسطيني) خاصة في أسلوب راق غير مبتذل»[1]، يسمو ويرقى بالعمل الأدبي إلى مراتب القضايا العادلة وهموم الإنسانية كافة والسعي إلى مطالب الحرية، « فالنقد الأدبي يتميز من بين جميع الأنظمة الفكرية الأخرى المكرسة لدراسة الفنون، بأنه يلجأ إلى الأداة نفسها التي يعتمدها الفن الأدبي الذي يمثل موضوعه، إنه لغة تتناول بالتمحيص لغة أخرى»[2]، أي أنه يوظف قواعد الأدب واللغة في الكشف عن هذا النتاج والبحث فيه عن شفرات المؤلف وفق ما تمليه القواعد، وما يمليه الواقع الذي أنتج هذه الأعمال الأدبية، أي إنه يرى بأن على الناقد خلال ممارسته النقدية مراعاة الواقع الذي أنتج هذا العمل الإبداعي.

وخلاصة رأيه في شروط الناقد، أنه يدعو إلى التمييز بين ذلك النقد الذاتي الصرف والذي ينتج نقداً سطحياً باهتاً لا يخدم العملية النقدية الناجحة، والنقد الموضوعي المؤسس على قواعد سليمة وأصيلة، المستمدة من الذوق السليم المبني على المعايشة الصحيحة التي تكشف لنا النص وما يحمله.

كما يؤكد ركيبي على أهمية العملية النقدية التي تتناول النص وفق نظرة كلية، خلافاً للنظرة القديمة التي اتسمت بالجزئية، « فهو إذن يعني جزئية النظرة في النقد، ولذلك يستدل على عدم صلاحية هذا الأسلوب بميل النقد القديم إلى الحكم على

1- حميدات مسكجوب: اتجاهات نقد القصة القصيرة في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011، ، ص48.

2- خلدون الشمعة: المرجع السابق، ص09.

القصيدة باعتبار بيت واحد، ويقصد بالنظرة الشكلية أن يصدر الناقد حكمه بناء على النظر إلى الشكل وحده، وأياً ما كان فإن من الأساليب المعيبة التي يحذر منها النقاد الواقعيون كثيرا في المغرب العربي النظرة الجزئية والشكلية للعمل الأدبي، فالمطلوب هو أن ينظر إلى العمل نظرة كلية»[1]، فمحمد مصايف هنا يشير إلى الأسلوب النقدي الذي عده ركيبي أسلوبا ضاراً بالعملية النقدية، رغم أن ركيبي قد جعل – على حسب مصايف– من النظرة الشكلية و المعايير والمقاييس الجزئية شيئاً واحداً على العكس من نظرة ركيبي، إذ يوضح مصايف « أنهما أسلوبان لا أسلوب واحد»[2].

وبهذا فإننا نلحظ بأن ركيبي عند تتبعه لتطورات الفنون الأدبية في الجزائر، وخاصة الفن القصصي، قد أثرى البحث النقدي بتتبعه تطورات القصة الجزائرية من المقال القصصي إلى الصورة القصصية إلى القصة الفنية، وخلال هذا الرصد فإنه قد اهتم بالجانبين؛ الجانب الفني وجانب المضامين، حيث ركز على المضامين الإصلاحية والنضالية والثورية التي عرفتها القصة الجزائرية، أما حين كان يشترط الموضوعية والاهتمام بالمضامين، لاحظنا أنه حين تناول الكتابات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية كان ميالاً إلى التي كتبت باللغة العربية.

إذ إننا نرى بأنه كان أكثر من غيره ممن عاصروه تحكماً في مصطلحاته النقدية بامتلاكه للأدوات الإجرائية والمعرفية التي ساعدته على تتبع تطورات الأدب، وهذا ما لاحظناه كذلك في نقده للشعر بدراسة تطوراته وأنواعه، فكانت دراساته التطبيقية تعتمد على منهجه التاريخي الذي أراد من خلاله أن يثبت بأن الشعر الجزائري تأثر بالبيئة المحلية بتأثر الشعراء بها، ورغم أنه كان كثيراً ما

1– محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 412.

2– محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 412.

يتحيز إلى الجانب الاجتماعي في الشعر الذي يعود إلى اقتناعه بأن للشعر دوره الإنساني والاجتماعي.

كما كان ركيبي أكثر وعياً كذلك بتطورات الواقع والحياة الاجتماعية، والذي يصاحبه تطور في الأدب والممارسة النقدية كذلك، وهذا ما جعله يطور ويغير كذلك في مناهجه النقدية، و في قوله: « لعل الوقت قد حان كي نأخذ بالمنهج النقدي الجمالي الاجتماعي، فنهتم بالنص من حيث إنه تعبير عن تفرد الأديب وعن مزاجه ووعيه وثقافته ورؤيته الخاصة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الفرد يعيش في مجتمع هو جزء منه، يحيا لحظة حضارية معينة لها مستواها الفكري والثقافي والاقتصادي والاجتماعي فكيف عبّر عنها؟ وبأي لغة أو بأي أسلوب؟ بأي محتوى؟»[1] نرى بأن ركيبي يوسع من مجال منهجه النقدي ليشمل عدة جوانب، وهذا ما اشترطه في الناقد بصفة عامة.

وإن كان ركيبي قد بدأ بالمنهج التاريخي نجده هنا يراعي المنهج الجمالي والاجتماعي، وهو هنا لم يبتعد كثيراً في توجهه ومنهجه، بوصف أن المنهج الاجتماعي ينطلق من منطلقات المنهج التاريخي نفسها، فكان المنهج التاريخي الغالب في الدراسات النقدية العربية والجزائرية إلى غاية أواخر السبعينات وظهور البنيوية، وكذلك المنهج النفسي، حين رأى بأن هذه الأعمال تعبير عن تفرد الأديب وعن مزاجه ووعيه، إلا أنه لم يغفل الجانب الفني وهذا جلي من خلال اهتمامه بالمنهج الفني في دراساته للشعر الجزائري وتقديمه لمجموعة من الإبداعات بدراسة جوانبها الفنية التي ميزتها.

1- عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994، ص 185.

وفي خلاصة هذا الفصل، ومن خلال تتبعنا مسار ركيبي النقدي، ومجمل المفاهيم الأدبية والنقدية في هذا المسار، فإننا نخلص إلى أن عبد الله ركيبي قد عمل خلال مسيرته الأدبية، والفكرية والنضالية على البحث في الثقافة الجزائرية والعربية على أهم الأعمال الأدبية التي تخدم الأدب وتحدد دوره، والكشف عن خصائصها ومميزاتها، والأهداف المرجوة من هذه الأعمال ووظائفها السامية، ومن خلال دراستنا هذه لمفاهيمه الأدبية والنقدية، لاحظنا أنه يوجه المبدع والناقد إلى المسار الصحيح الذي يجعل من هذه الأعمال ذات غاية وهدف في ذوق جميل وإبداع فني جيد، يؤدي مهمة التأثير في القلوب والعقول.

كما وجدناه قد تطرق في خطابه النقدي هذا إلى الأدب مفهوماً ووظيفة، ثم إلى مفهوم النقد وشروطه، ولأن الآراء تختلف والنظريات تتعدد في رؤيتها إلى الأدب مغزاه وجدواه، بتعدد الأهداف والغايات بين الفنية والجمالية، والاجتماعية والسياسية وغيرها.

وكما قلنا، فإن الأدب يُعد تصويراً للواقع وتمثيلاً له، ونقلاً للحقائق بطريقة الأديب وأسلوبه ورؤيته، فإن ركيبي يدعو إلى عدم الإفراط في هذا النقل للواقع، محذراً من النقل الحرفي والآلي، بل يشترط في الأديب أن يتجاوز المنظور الواقعي الاجتماعي الصرف، وبالسعي إلى خلق عالم أدبي فني يكون الواقع متضمناً فيه، وفي هذا نجد ركيبي يشير إلى هذا التجاوز حين دعا الكتاب إلى التمسك بالتجربة الإنسانية، والسمو بالأدب إلى ما اسماه بالتبشير بالمعركة وبيوم النصر ولاسترجاع الأمجاد، وهذا الأدب هو تلك الوسيلة الفعّالة لتطوير المجتمع، وتشجيعه الإنسان ودفعه إلى البحث عن وسائل وآليات أخرى للكفاح المستمر من أجل الحقوق.

ليكون هذا الأدب بداية الرفض وبذرة من بذور الثورة في أذهان الشعوب، والشرارة الأولى التي تشعل فتيل المقاومة والنضال، فالأدب يوقظ الهمم ويرفع المعنويات، وفي المعركة يصور الإبطال والبطولات، وهذه فكرة ركيبي التي يسعى إلى تأكيدها.

أما ما يشترطه ركيبي في الأديب هو عدم ابتعاده عن واقع شعبه، وأن يعايش همومه ويعاني معه تجربة الإنسان في هذه الحياة بكل ما فيها من ألم وفرح، وما يجب عليه من واجبات ككل فرد، كما نجد ركيبي في شرط آخر يؤكد على مهمة الأديب النقدية، ليجعل منه الناقد الأول لعمله قبل أن يضعه بين يدي المتلقي، فلا يخرجه إلا بعد تعديله وتنقيحه وتصحيحه، وهذا التمييز بين العمل الجيد من الرديء

يمكنه أن ينتج عملاً مميزاً، ويرى ركيبي كذلك بعد تحديده لمفهوم الأدب و وظيفته بوصفه نشاطاً وجهداً إنسانياً هدفه خدمة الإنسان، وحتى يستطيع الأدب أن يحقق هذا الهدف لابد أن يكون ثورياً وجديداً في الوقت نفسه ، فشرطا الثورية والجدة ضروريان على حسب ركيبي، لأنه يرى بان وظيفة الأدب أسمى من تلك الوظيفة التي تتلخص في المتعة والجمال.

وعند بحثه في مفهوم الشعر والشعر الجزائري بالخصوص، والبحث في علاقته بالحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للشعب الجزائري خاصة، فقد اعتمد في بحثه البداية من محطات متقدمة من تاريخ الشعر الجزائري، وفي كل هذه المحطات يؤكد ركيبي على علاقة الشاعر وتفاعله مع أهم القضايا المصيرية الوطنية والعالمية، وهذا هو الشعر الذي يرتبط بهموم الوطن والمجتمع، والشعر الجزائري كما يرى ركيبي لم يشذ عن قاعدة أساسية تحكم أي شعر وهي المضمون الاجتماعي المستمد من الواقع، الزاخر بالمتناقضات والمتناسقات، ليسوده التغني بالهوية الوطنية و داعياً إلى الارتباط بالأرض، وتمجيد بطولات الشعب الجزائري والتعبير عن طموحاته، وهذا هو الشعر النضالي المقاوم الذي يعد صورة أخرى من الشعر الحماسي الذي عرفه العرب قديماً مع شيء من التغير في لهجته وأهدافه، وهذا ما جعل ركيبي يركز على شرط الأصالة والشاعرية التي تثبتها قدرة الشاعر على معايشة الأحداث وفهمها فهماً صحيحاً، والقدرة على التعبير عنها بأسلوب شعري مؤثر ودقيق في صورة جمالية راقية.

وهذا ما ينطبق على ما جاء به رواد الشعر الجديد، عند تناولهم أهم القضايا الجديدة، حيث يعد الشاعر المجدد أكثر الشعراء إدراكاً لهموم وآلام الشعب والوطن، فالشعر الجديد يقول ركيبي هو خيار فرضته الظروف السائدة، وأوجدته الأوضاع

الفكرية والسياسية والاجتماعية، رغم أن الشعر الحر وانطلق في الوطن العربي متعثراً متثاقلاً، أما الميزة الأهم في هذا الشعر فهي تأثره بالثورات العربية عامة والثورة الجزائرية خاصة، وهذا ما جعل الشعر الجديد ينصَبّ في مجمله في قالب القومية والوطنية.

ومن أهم أعماله النقدية دراسته للقصة الجزائرية القصيرة ، بتتبعه تطوراتها، وأهم خصائصها الفنية في كتابه (القصة الجزائرية القصيرة)، ومجموعة من الدراسات والمقالات الأكاديمية والصحفية، ويرى ركيبي أن الأهم في العمل القصصي هو مدى واقعية أحداثه، حيث نجده يركز على القصة الواقعية ويظهر هذا في تجربته في كتابة القصة، والتي يثبت من خلالها بأن للعمل القصصي أصولاً مهمة، حيث إذا توفرت هذه الأصول في القصة الفنية أصبحت أكثر واقعية يمتزج فيها الوعي بالواقع من خلال أحاسيس الكاتب.

أما في تناوله لموضوع النقد وشروطه يرى ركيبي بأن العناية بالنقد تعني الاهتمام بالمستقبل، وتعني أيضا عدم الرضا بالواقع وترمي إلى النزوع نحو الأفضل والطموح إلى الأرسخ، ذلك أن الحديث عن النقد حديث عن حقيقة الحياة بمعنى من المعاني، وحديث عن الإنسان، وغاية الأدب والنقد والفن هي حياة الإنسان ومعرفته وفهمه للوجود.

هذا رأي ركيبي الذي يتخذ فيه موقفاً واضحاً في النقد الأدبي، حيث يعده حاسة فطرية مثل الإبداع، وإذا تغلبت إحدى الحاستين فقد تجعل منه مبدعاً أو ناقداً، والمبدع هو أول ناقد لعمله، فلا يخرجه إلا بعد نقده بتعديله وتنقيحه، ومن جهة أخرى فهو يرى بأن النقد إبداع جديد، من خلال ما ينتجه الناقد في هذه العملية من خلق جديد لهذا العمل الأدبي.

ومن جهة أخرى في موضوع النقد فإننا نلحظ بان ركيبي كان كثير الاهتمام بقضايا النقد ومشكلاته في الساحة النقدية الجزائرية والعربية، حيث اهتم بالواقع النقدي، متحدثا عن أسباب ضعفه وتدهوره في الساحة العربية، وفي هذا كان يقدم بعض الأسباب التي يراه مهمة في ذلك، كالهوة التي كانت تفصل الدرس النقدي العربي والمذاهب والمدارس النقدية الغربية، لذا كان يدعو إلى تأصيل منهج عربي مستقل عن المناهج الغربية التي تأثرنا بها في بحوثنا ودراساتنا العلمية، وبهذا يكون ركيبي قد قدم تصوراً مهماً في موضوع النقد الأدبي، كما قدم بعض المفاهيم والشروط والوظائف.

الفصل الثالث:

حضور المقاومة في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي

1- المنهج النقدي عند عبد الله ركيبي

2- دراسته للشعر الجزائري المقاوم

أ- شعر الانطواء

ب- الشعر الإصلاحي

ت- شعر اليقظة والثورة

3- القصة الجزائرية المقاومة

أ- المقال القصصي

ب- الاتجاه الثوري في القصة الجزائرية القصيرة

ت- القصة الجزائري المكتوبة باللغة الفرنسية

ث- البطل المقاوم في القصة الجزائرية

ج- الصورة القصصية

خلاصة

1- المنهج النقدي عند عبد الله ركيبي:

لكل عمل نقدي منهجه، ولكل ناقد طريقة ومنهج في عملية البحث والكشف عن مواطن القبح والجمال، وعن المكشوف، وعن المخبوء في النصوص، لذا فإن المنهج أداة الدارس المختارة في تناول هذا العمل أو ذاك، ولفهم أي ناقد وأي خطاب نقدي لابد من فهم وسيلته ومنهجه الذي اعتمده، ومنه رأينا أهمية الكشف عن المنهج النقدي الذي يتبناه ركيبي إذا أردنا تتبع وفهم خطابه النقدي.

لعل الباحث في الدرس النقدي الجزائري عبر كل مرحل تطوره، سيلحظ ذلك الضعف الذي كان يميز بعض الدراسات التي حاولت أن تؤسس نقداً جزائرياً يساير النتاج الأدبي في مرحلة معينة، ولاشك أن أي عمل نقدي يجب أن يؤسس على ضوابط وقواعد منهجية تحددها آليات منهج معين، ففي الساحة النقدية الجزائرية ظهرت عدة جهود تحاول أن تقدم نقدها من خلال ما كان ينشر هنا وهناك في بعض الدوريات والمجلات المحلية، من آراء كانت تعد نوعا من النقد، فقد ظهرت في الأوساط الأدبية في فترة الاستعمار الفرنسي وخاصة قبيل الثورة التحريرية مجموعة من الرواد الذين حاولوا التأسيس لنقد جزائري، أو على الأقل تقديم أعمال نقدية وفق أي اتجاه أدبي عالمي أو أي منهج معروف، ومن بين هؤلاء نذكر(أبو القاسم سعد الله و صالح خرفي ومحمد مصايف وعبد الله ركيبي).

كان عبد الله ركيبي من الجيل الطلائعي في النقد الجزائري، حيث « تمثل الدراسات النقدية للدكتور عبد الله ركيبي، وكتب النقد للنقاد (أبو القاسم سعد الله، محمد مصايف، صالح خرفي، وغيرهم) خطوطاً عريضة في النقد الأدبي الحديث في الجزائر»[1]، عبد الله ركيبي الذي قدم آراء مهمة حول النقد الجزائري وحول المنهج

1- أحمد دوغان : المرجع السابق، ص477.

النقدي الذي أولاه اهتماماً بالغاً في بحوثه ودراساته، حيث نجده دائم التذكير بأهمية منهج البحث في العمل النقدي، ودائم التركيز على ماهية المنهج الذي يجب أن يطبق على هذا العمل الأدبي المحلي، وما مدى ملاءمته لهذه النصوص، وأكثر من هذا فقد أبدى الناقد عبد الله ركيبي كثير الآراء حول معظم المناهج النقدية وخاصة تلك الحديثة منها والتي بدأت تطفو على السطح في تلك المرحلة، فكان لا يخفي امتعاضه وقلقه من هذه المناهج الوافدة إلينا، فهي في رأيه الخطر القادم من الخارج والذي هو تهديد واضح لهويتنا العربية إذا لم نتحكم فيه وفي آلياته، إذ يقر« بكل موضوعية..إنني استخدمت منهجاً في دراساتي وهو المنهج التاريخي النقدي، وأنا مقتنع به للظروف التي عشتها داخل الوطن وخارجه»[1]، ويوضح موقفه من المدارس الحديثة في قوله: « أقرأ هذه التجارب الجديدة المتصلة بالحداثة، لكن أميل إلى الوضوح لا الغموض أو التهويمات المجنحة..عندما تقرأ ناقداً أو عالماً من أصحاب الأسلوبيين والشكلانيين وما شابههم تجدهم يقطعون النصوص بطريقة آلية، وفي النهاية يخرجون بنتيجة جزئية بحيث يحذفون الإنسان، عواطفه، بيئته..فإذا كانت هذه هي الحداثة فانا لا استطيع أن أدخلها، وغير مستعد لأن أخوض التجربة فيها»[2]، فنلاحظ أن ركيبي لم يكن يتحفظ من هذه المناهج والنظريات الحديثة تعصباً أو جهلاً بها، ولكن من باب الدعوة إلى عدم إغفال الجانب السياقي الذي يرى أنه مهم جداً في العملية النقدية الكاشفة، كما يمكننا القول إنه كان حري به أن يذكّر بمحاسن هذه المناهج في جانب معين منها.

ولهذا فإننا نجده لا يتوانى في دعوة النقاد إلى رؤية نقدية عربية، والالتزام بها لتعكس هذه الأعمال النقدية صورة الحياة العربية الأصيلة وفق ثقافة معاصرة، وفي رده على سؤال حول رأيه في (البنيوية) يقول ركيبي: « أنا لست ضد هذا الاتجاه إذا

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 243.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 244.

كان يخدم الأدب بوصفه تجربة وأسلوباً معاً أو شكلاً ومضموناً، لكن إذا كان هذا الاتجاه أو هذا النوع من الدراسات يهدف إلى نوع من الإحصائيات كما قرأت بعضها لتخرج بنتيجة لا تسهم لا في تطور الأديب ولا في تطور الأدب فلست معها»[1]، فمن خلال هذا الرد فإننا نلحظ بأن ركيبي يتحفظ في موضوع هذه المناهج والنظريات رغم أنه لم يكن قد تحدث عنها كثيرًا، بل اطلع عليها مجرد اطلاع وأراد أن يجعل منها على حسب قوله هذا، أشبه بالمناهج السياقية الخالصة، إلا أننا نشير دائما إلى أن بعض آراء ركيبي كانت على حسب المراحل التي سجلت فيها.

كما يدعو الناقد بأن يستفيد من مبادئ العمل الفني بالإحاطة بحياة المبدع ومحيطه، هذا ما يعبر عنه في دعوته « لمنهج متأمل في النقد الجزائري يستفيد من العلوم الإنسانية كلها، ولكنه يراعي النص بالدرجة الأولى، لا معزولاً عن صاحبه وبيئته، ولكن معزولاً عن المؤثرات الشخصية الذاتية، بعيداً عن الأهواء والأحكام العامة المسبقة، فالمهم هو إحساس الأديب في هذا النص وما يعكسه من شعور صاحبه وما يوحي به من أفكار وقيم إنسانية، وما يدعو له من قضايا تفيد الإنسان وتعكس مطامحه وأشواقه»[2]، أي إنه يدعو إلى منهج نقدي متكامل، لا هو منهج نصاني خالص ولا هو سياقي خالص، بل هو منهج يجمع بين المناهج اللازمة لهذه الدراسة أو تلك، لذا يجب أن يبتعد عن الذاتية والخلفيات الخاصة.

وعلى خلاف أغلب الدارسين الذين لم يهتموا كثيراً بقضية المنهج في ما قدموه من دراسات نقدية، فإن الناقد عبد الله ركيبي يقدم صورة جلية للمنهج الذي حاول أن يجمع فيه بين المنهج النقدي والمنهج التاريخي، ويقصد بالتاريخي تتبع وبيان خط

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص 131.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة ، ص211.

تطور القصة عبر الزمن ومسارها العام، وبالنقد « الاعتماد على النص وما يصوره من تجربة إنسانية وما يعبر عنه من مضمون وواقع معاش »[1]، وأيضا نجده مرة أخرى وفي كتاب آخر يتبنى منهج « النقد والتحليل والاستعانة بالتاريخ إلى حد ما»[2]، وإذا تتبعنا آراء ركيبي حول المنهج النقدي وما تبناه من مناهج واليات الدراسات النقدية فإننا نلحظ أنه يؤكد على أهم الجوانب التي يجب أن تتناولها هذه الدراسات النقدية حيث يجب « أن تتناول العناصر المختلفة التي يتكون منها العمل الفني، سواء من حيث الموضوع أو الشكل أو المضمون حتى تكون الدراسة وافية متكاملة»[3]، أي إن قضية الشكل والمضمون كانت جوهر العمل الأدبي في نظره، لأن « الشكل الفني هو الذي يقوي من إنسانية العمل الأدبي»[4]، لينتج فناً يستطيع الأديب فيه التعبير« عن هذه المواضيع تعبيراً فنيا مقنعاً»[5]، لا تعبيراً جافاً لا يمتع القارئ ولا يقنعه، لذا فإن المنهج المطلوب هنا على حسب ركيبي هو ما سماه بالمنهج المتكامل.

وبهذا فإن ركيبي قد تبنى المنهج التاريخي في كثير من دراساته النقدية، موضحاً أن هذا المنهج ما هو إلا ممارسة تفرضها العملية النقدية مؤقتا، دون اعتبار هذا المنهج مسلمة لا بديل عنها، ويؤكد هذا في كتابه (فلسطين في الأدب الجزائري الحديث) بقوله:« ولعل تطورات هذه القضية التي مرت بمراحل مختلفة تدفع الباحث إلى أن يختار المنهج التاريخي أكثر من المنهج النقدي تقويماً وتفسيراً ومقارنة، ويستعرض الإنتاج الغزير الذي ظهر في الشعر الجزائري منذ ما يقرب من نصف قرن. ولكي

1- عبد الله ركيبي: القصة القصيرة الجزائرية، ص 06.

2- عبد الله ركيبي: القصة القصيرة الجزائرية، ص6.

3- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص254.

4- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع:997، 1966، ص04.

5 - عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 908، 1965، ص04

يتضح هذا المنهج فلابد من مسايرة القضية وتطوراتها زمنياً»[1]، وهذا ما تتطلبه هذه الدراسة فعلاً، لأنه هنا يوضح المنهج الذي ينطبق على البحث في مراحل التطور وتتبعها عبر الزمن، أما حين أراد أن يطبق المنهج النقدي على الظاهرة الأدبية اختار المزاوجة بين المنهجين، فيقول في هذا :« اخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ فالتاريخ هنا ليس مقصودا لذاته وإنما هو بيان خط تطور القصة ومسارها العام، وكيف تطورت وما هي الأشكال التي ظهرت فيها لان الأدب يتطور بتطور حياة الإنسان، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور»[2]، وهذه المزاوجة على حد رأيه كانت بسبب عدم كفاية المنهج التاريخي وحده لاستكمال الدراسة من عدة جوانب.

ومن جهة أخرى فإنه يلوم بعض الدارسين الجامعيين الذين قدموا أعمالهم في رسائل جامعية طبعت فيما بعد في كتب نقدية اهتمامهم بالجانب التاريخي وحده، فكان يغلب عليها « طابع التاريخ الأدبي أكثر مما ينطبق عليها الوصف بأنها نقد جمالي لأن العناية فيها انصبت على المراحل الأدبية وعلى المضامين وعلى صلة هذا الأدب بالحياة، بينما أهمل الجانب الجمالي أو الشكلي نوعاً ما»[3]، وهاهو مرة أخرى يدعو إلى المزاوجة بين المنهج الاجتماعي والمنهج الجمالي حين تطرق إلى الجانب الاجتماعي وعلاقته بحياة المبدع ورؤيته الخاصة لهذا المجتمع الذي هو جزء منه « ولعل الوقت قد حان كي نأخذ بالمنهج النقدي الجمالي الاجتماعي، فنهتم بالنص من حيث إنه تعبير عن تفرد الأديب وعن مزاجه، ووعيه وثقافته ورؤيته الخاصة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الفرد يعيش في مجتمع هو جزء منه، يحيا لحظة حضارية معينة، لها مستواها الفكري والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، فكيف عبر عنها وبأي لغة وبأي

1- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 28.

2- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 06.

3-عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث،ص 254.

أسلوب؟ وبأي محتوى»[1]، ورغم هذا فإن ركيبي لم يخفِ قصور الساحة النقدية في تنوع المناهج المتاحة والتي كان من الممكن أن تثري الدراسات النقدية بتنوعها.

وهاهو يعترف بإسرافه في تطبيق المنهج التاريخي والإسراف فيه في مرحلة سابقة من تاريخه، حيث قال في تقديمه لكتاب (دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة) لصاحبه حاج محجوب عرايبي: « ورغم أنه لا يتعاطف مع المنهج التاريخي الذي ينتقده فإنه استخدمه في هذا الفصل وفي الفصل الثاني ولكنه لم يغرق فيه كما فعلنا نحن حين بدأنا نكتب عن القصة أو الشعر ولم نجد نقداً منهجياً سابقاً نؤسس عليه»[2]، كما نجد ركيبي يحاول المزاوجة بين المنهجين التاريخي والنقدي في عدة دراسات رغم تغلب المنهج التاريخي في بعضها، وهذا ما نجده في دراسته " فلسطين في الأدب الجزائري الحديث" في قوله: « إن تطورات القضية الفلسطينية التي مرت بمراحل مختلفة تدفع الباحث إلى أن يختار المنهج التاريخي أكثر من المنهج النقدي تقويماً وتفسيراً ومقارنة، ويستعرض الإنتاج الغزير الذي ظهر في الشعر الجزائري منذ ما يقارب من نصف قرن، ولكي يتضح هذا المنهج فلابد من مسايرة القضية وتطوراتها زمنياً وسياسياً»[3]، كما نجده يحذر من اختياره المنهج التاريخي لأسباب غير مقبولة، أو لنقل ميل بعض النقاد لتبنيه وهو أن « الدافع أحياناً يكون وطنياً لدى الكاتب في عودته إلى التاريخ وأحياناً يكون الدافع الفكرة القومية المتعصبة التي هي اقرب إلى الشعوبية منها إلى الوطنية الصادقة، إلى جانب الدافع الأدبي وتحقيق الوجود»[4]، فكان المنهج التاريخي لتتبع التطورات ورصد المراحل التاريخية

1- عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية، ص 185.

2- عبد الله ركيبي : من مقدمة كتاب: حاج محجوب عرايبي (دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة)، دار إبداع، الجزائر، ط1، 1993، ص09.

3- عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص28.

4- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص06.

دون الانغماس في المبالغة والشعوبية التي تفقد النص سمته التاريخية الموضوعية وقيمته الفنية.

ومن الملاحظ أن ركيبي لم يكن ناقداً أدبياً أكثر منه مؤرخاً أدبياً على حسب رأي بعض النقاد، ودليلهم في هذا ما نجده في تتبعه لأهم المراحل التاريخية التي عرفتها الحركة الأدبية في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى، وخاصة عندما نجده يهتم بالجوانب التاريخية دون الفنية في دراساته للشعر الجزائري والحركات الإصلاحية في تلك الفترة، فكان يغلب على دراساته الجانب التاريخي واللغوي فقط، وهو القائل: « فمن الناحية التعبيرية رأينا من النماذج التي سقناها كشواهد للتمثيل لا الحصر، أن الشعراء اعتنوا بألفاظهم اعتناء يبدو في بعدهم عن الألفاظ الجوفاء الفارغة المألوفة، فالألفاظ بسيطة منغمة والموسيقى تشيع في القصيدة والوحدة الموضوعية توافرت بشكل ملحوظ، وقلت الأخطاء اللغوية والعروضية بصورة واضحة»[1]، ورغم أن أغلب الدارسين والباحثين في منهج ركيبي النقدي لم يتطرقوا إلى قدراته النقدية والفلسفية، والتي من خلالها يمكننا الكشف عن وعيه النقدي في كل ما قدمه من دراسات تطبيقية، إلا أننا نجد ما ندر منها عند الناقد محمد مصايف الذي حاول الكشف مستوى العملية النقدية و الكشف عن كيفية توظيف ركيبي لهذه المناهج النقدية، وهنا نجد محمد مصايف يقول: « إن ركيبي يحدد منهجه باختصار فيقول في الواقع إن المنهج الذي اخترناه منهج النقد والتحليل والاستعانة بالتاريخ إلى حد ما، هو منهج نقدي تاريخي إذن، وإذا كان المؤلف يريد في هذا التحديد أن يقلل من اعتماده على التاريخ، فإنما ذلك الذي يهمه بالدرجة الأولى ليس هو التاريخ في حد ذاته، بل هو العلاقة العضوية بين

1- عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1962، ص09.

التاريخ وبين الأشكال الأدبية التي يدرسها»[1]، لأن هناك فرقاً واضحاً كما يرى مصايف بين الدراسة التاريخية للعمل الأدبي وبين النقد التاريخي للأدب.

وما نلحظه عند ركيبي في كتابه (تطور النثر الجزائري الحديث) حيث اعتمد في دراسته للأدب على بعض المعطيات التاريخية، ولم يكن يريد التأريخ للأدب مباشرة، بل كان يريد الإحاطة ببعض الظروف والملابسات التاريخية التي أنتجت هذا الأدب وبهذه الكيفية، لذا فقد كان « منهج ركيبي في كتابه (تطور النثر الجزائري الحديث) واضحاً وهو هذا المنهج الذي أوضحه لنا المؤلف عندما حدد لنا ما يعنى بالحداثة والتطور فهو يريد أن يدرس الأشكال الأدبية النثرية من سنة 1830 إلى 1974، أي يريد أن يوضح لنا كيف كان الأديب الجزائري يعالج هذه الفنون في الظروف المختلفة، وهذه الظروف هي التي سيلح عليها المؤلف إلحاحاً شديداً في كل مرة، ويستفيد منها في تحديد سمات كل فن من الفنون النثرية أو خصائص كل أديب في إطار الفترة التي يعيش فيها»[2]، وفي هذا نلحظ بأن مصايف يثبت بأن ركيبي قد استفاد من توظيف المعطيات التاريخية التي ساعدته في العملية النقدية الناجحة، وهذا من خلال تتبعه لطبيعة المنجزات الأدبية بين التقليدية والحديثة عبر فترات زمنية متتالية.

وإذا بحثنا في رأي مصايف في المنهج النقدي عند ركيبي فإننا نجده يشيد بأسلوبه ودراساته الموضوعية، وخطوات دراساته المنطقية، وفي هذا يقول مصايف: « إن ركيبي قسم مادة كتابه تطور النثر الجزائري الحديث إلى بابين، عالج في الأول ما سماه " الأشكال النثرية التقليدية" وهي الخطابة والرسالة وأدب الرحلة والمقامة

1- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983 ص143.

2- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث ، ص129.

والمناظرة والقصة الشعبية، وتناول في الباب الثاني ما أطلق عليه اسم " الأشكال النثرية الحديثة" وهي المقال الأدبي والقصة القصيرة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي، ويتضح أن الدكتور ركيبي يهتم بجميع الفنون الأدبية النثرية في الجزائر، كما يهتم بما طرأ على هذه الفنون من تطور في المضمون، وما اكتسبه من سمات جديدة في الأسلوب واللغة»[1]، وكما لاحظنا فإن ركيبي يحاول في أغلب أعماله أن يوضح ماهية هذا الفن الذي يدرسه، ثم يتطرق إلى مراحل تطوره، وأسباب تأخر ظهوره في الجزائر، وسماته التي ظهر بها في العالم العربي، وفي تناوله لهذا الفن فإنه يركز على تطوراته وعلى علاقته بالظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها وأثرت في طبيعته واتجاهه.

إضافة إلى هذا لم يغفل ركيبي المناهج السياقية الأخرى، حيث نجده قد اهتم بالجوانب الاجتماعية في دراساته، فيقول: « على أن اهتمامنا انصبّ في تحليلنا للنصوص الشعرية على الجانب الاجتماعي، وركزنا عليه وربطنا بين الشاعر وبيئته، وبين المنشئ وجمهوره، واعتبرنا الشعر لدى المنشئ تعبيراً عن ذاته، وفي الوقت نفسه تعبيراً عن ظروف المجتمع ومعطيات العصر، وما وجد فيه من أزمات روحية وفكرية وسياسية واقتصادية، وإذا كنا نلحّ على التغيير الاجتماعي للأدب دون إهمال الجوانب الأخرى، فلأننا نؤمن بأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث و وقائع ومفاهيم»[2]، وهكذا كان إيمان ركيبي بدور الأدب في الحياة الإنسانية، ودوره في التعبير عن الظروف الاجتماعية لأي شعب، لذا فإن اهتمام ركيبي بالمنهج الاجتماعي له أهمية بالغة في الكشف عن الملابسات الاجتماعية التي ولّدت هذا الأدب، والأهداف المرجوة من هذا العمل ومغزاه.

1- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، ص144.

2- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ص08.

2- دراسته للشعر الجزائري المقاوِم:

لدراسة الشعر الجزائري ومراحل تطور، لابد من معرفة الظروف والملابسات التي عرفتها الجزائر في تاريخها قبيل الاستعمار الفرنسي وأثناءه وبعده، وهنا نجد ركيبي يتطرق إلى أهم مراحل تطور هذا الشعر الذي واكب التطورات والمتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية للشعب الجزائري، والشعر الذي كان اشد ارتباطا بالشعر العربي القديم، ففي ظل هذه الظروف تطور الشعر الجزائري ليعبر عن واقع الشعب ومعاناته، فبدا متذبذبا متقطعا، يخبو تارة ويظهر أخرى في حلل متنوعة.

وفي دراسة الشعر الجزائري نجد محاولات ركيبي الدائمة لإبراز الفعل المقاوم في مضامين الأعمال التي تناولها في دراساته النقدية، وكما قلنا فإنه كان دائم السعي إلى البحث في كل عمل إبداعي بين يديه على سمته الثورية والمقاومة للفعل المضاد والرأي المهيمن المستبد، وقد ظهر هذا في عدة أعمال نقدية كدراسته للشاعر جلواح، وللشعر العربي الذي تحدث عن الأوراس، وبهذا فإن ركيبي كان الباحث عن كل وسائل المقاومة ودوافعها وآلياتها من خلال ما قدمه من أعمال تنقيبية في خطاب نقدي سمته المقاومة والثورة، وقد « كان الشعر الجزائري منذ مطلع هذا القرن، وبداية النهضة الأدبية في الجزائر، معبراً عن قضايا الشعب، مصوراً لأحداثه، كما كان الأديب شاعراً وناثراً، مواكباً لحركة النضال الوطني والعربي، ومسهماً فيها بقلمه وروحه .. وكان يتحسس في كل ذلك عروبته ويستلهم منها قيمه ومثله ومطامحه»[1]،

1- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص27.

وهذه مهمة الأدب المقاوِمة والمرافقة للشعوب التي يبحث عنها ركيبي، لأنه يرى بأن « الأدب الثوري هو ما يعبّر عن المستقبل غير مرتبط بظرف، فهو كان بالأمس وكائن اليوم ويكون غداً.. يمكنك ألآن أن تكتب أدباً ثورياً حينما تجعل الفرد متطلعاً إلى الغد والمستقبل الأفضل، وهي القيمة الخالدة لهذا الأدب»[1]، ومن هنا يظهر هذا الشعر الجزائري المقاوم مقاومة هذا الوطن عبر كل الأجيال كلمة خالدة وصوتاً عالياً.

ولقد سعى ركيبي إلى البحث في الموروث الشعري الجزائري في مراحل تطوره، وانتقاله من غرض إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى، في عدة أبحاث تناول فيها الشعر الجزائري بداية من القصائد التي بدت في أغلبها نسخة مكررة للشعر العربي القديم، متأثرة بالقصيدة العربية شكلاً ومضموناً، غير أنه ينطلق في دراساته من شعر الانطواء إلى الشعر الديني والإصلاحي وصولاً إلى شعر الجيل الجديد وما حمله إلى الشعر الجزائري من مواضيع ومعانٍ جديدة، فكان ركيبي باحثاً عن أهم القصائد التي تميزت في مضامينها بشيء من الوعي بارتباط الشاعر الجزائري بشخصيته ودينه و وطنه، « وأعتقد أن الشعر الجزائري الحديث –وخاصة في القرن الماضي– يتفرد بميزة معينة وهي أن كثيراً منه ينطلق من الدين، سواء ما كان بمفهومه التقليدي مثل الشعر الصوفي، أو بمفهوم جديد ينظر إلى الدين نظرة واعية مدركة لأثره القوي في الوجدان يفهمه كما فهمه الأسلاف ديناً ودولة، عقيدة وشريعة تنظم حياة الناس وعلاقات بعضهم ببعض»[2]، ومن خلا هذا نجده قد قسم هذا الشعر إلى عدة مراحل على حسب تطوره.

أ– شعر الانطواء:

1– عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص206.

2– عبد الله ركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، ج:01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص07.

يحدد ركيبي بداية هذه المرحلة التي كادت أن تفقد الساحة الأدبية فيها شعرها، من بعد الأمير عبد القادر الذي سجل في شعره محطات تاريخية ونضالية أثناء مقاومته للمستعمر، إذن فبعد مرحلة الأمير دخل الشعر الجزائري في مرحلة الانطواء والركود، ويرجع ركيبي هذا إلى أسباب عدة مردها إلى الاستعمار الفرنسي وسياساته الرامية إلى إبعاد الجزائر ثقافة وشعباً عن انتمائها العربي الإسلامي، وتشجيع الفكر الطُرقي الذي أسهم في تغذية الروح الانهزامية، ففي حادثة عاشها ركيبي أيام الثورة التحريرية يقول في حوار مع أحد الشيوخ الطرقيين: « ذات يوم كنت أمشي بالسوق وأوقفني أحد الشيوخ الذين ينتمون إلى ((الطُرقية)) واسمه الشيخ الحسين... كان رجلاً طيباً كريماً لكنه كغيره ممن ينتمون إلى هذه الطرق الكثيرة- كان يؤمن بقوة فرنسا ولا يرى مجالاً لحربها وإخراجها من الجزائر، قال لي ونحن نشاهد طائرة تحلق في الجو: هل عندكم طائرات كي تحاربوا فرنسا؟. نعم لدينا..أين هي؟ نحن لم نرها. كيف تراها وأنت لم تذهب إلى الأوراس ألم تسمع بالمعارك من الإذاعات؟»[1]، وهذا الحوار رغم أنه بعد أن اندلعت الثورة التحريرية، ورغم انتشار الوعي الوطني والإيمان بالثورة، إلا أن الفكر الطُرقي الرجعي مازال يفعل فعله كما فعل في الأمة من قبل، فما كانت فرنسا تُرغّب في الماضي إلا ما كان يخدم مصالحها الاستعمارية، « فبالإضافة إلى خنق الحريات، وكم الأفواه الوطنية، والضرب على أيدي الذين تنزع أنفسهم للماضي، أقول بالإضافة إلى كل هذا فتح المدارس الفرنسية ليفرنس الجزائر، وسن القوانين الجائرة التي تجعل الجزائر جزءاً من فرنسا. وسلك سياسة البطش والدمار تارة، وسياسة الإغراء والوعد تارة أخرى، فكان نتيجة كل هذا: خمود في القريحة وركود في الفكر، وهمود في

1- عبد الله ركيبي : ذكريات من الثورة الجزائرية (1954-1958)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص40-41.

الأرواح »[1]، مما اثر سلباً على الشعر الجزائري ليدفع به إلى الانطواء مثله مثل كل الشعراء.

ثم أننا نلحظ أن ركيبي في هذا الصدد يؤكد على عدم تأثير هذا الشعر في الواقع الجزائري، وخاصة ما يتعلق بالجانب الثوري مهما كان شكله، وهو الذي يقول هنا: « وبالرغم من أن الشعر في هذه الفترة.. قد فتر، وخمدت روحه فإن روح الشعب لم تخمد.. ولم تفتر، بل تفجرت، وقامت ثورات شتى في مختلف جهات الجزائر »[2]، وحين كانت هذه المقاومات الشعبية تندلع هنا وهناك كان الشعر الجزائري قد اتجه إلى وجهة أقل انتشاراً، بل لم يعد يفارق الصوامع والمساجد والمدارس القرآنية كالعابد الزاهد، « هذا ما وقع بالجزائر في هذه الفترة حيث اتجه الشعر إلى التقرب إلى الله، والى مدح الأولياء الصالحين، والتغني بالتقوى.. ونِعم الآخرة »[3]، فكانت هذه السمة البارزة في شعر هذه المرحلة التي انطوت فيها روح الشعر وانزوت هروباً من الواقع البائس نشداناً للخلوة والمناجاة « وتمشياً مع هذه الروح التي مثلها شعراء آخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي يعثر الباحث في أشعارهم على مدائح نبوية على نسق البردة والهمزية، وعلى روح دينية قانعة بالعيش في المأساة التي كان يعانيها الشعب الجزائري»[4]، هذه المرحلة التي يتحدث عنها أبو القاسم سعد الله والتي أشار إليها في قوله (أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي) فهو يقصد نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لأن الشعر في هذه المرحلة قد استفاد من التغيرات الفكرية والسياسية التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى « وهكذا تطور الشعر السياسي-

1-عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص11-12.

2- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص12.

3- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص12.

4-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 33-34.

الوطني في المقاومة الجزائرية للاستعمار تطوراً جعل الشعر يتقدم خطوات بالمفهوم الكفاحي، وقد ظهرت هذه الظاهرة بوضوح عشية الحرب العالمية الأولى»[1]، وعلى الرغم من أن هذا الشعر في هذه المرحلة لم يكن له أي اتجاه سياسي، إلا أنه انظم في الأخير إلى اتجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحي، الذي تبنى من خلال هذا الاتجاه طريقة أخرى للمقاومة، مقاومة تلك البدع والخرافات وما يشوه الثقافة العربية الإسلامية للشعب الجزائري.

ب- الشعر الإصلاحي:

مرحلة أخرى يشهدها الشعر الجزائري، مرحلة يمكن أن نؤرخ لها بداية من ظهور الفكر الإصلاحي المرتبط بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذه المرحلة التي توجه فيها الشعر الجزائري إلى وجهة ترتبط بروح المقاومة والنضال من أجل فكر جديد، فكر أكثر وعياً بما تستدعيه هذه المرحلة، ففي « المرحلة الأولى قبل الثورة نجد أن الشعر الجزائري ارتبط بالحركة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1931، وهي جمعية تستمد أفكارها من الدين الإسلامي، كما جاء في القران والسنة من البدايات الأولى للإسلام، وتستمد أفكارها أيضا من الحركة الإصلاحية الإسلامية، كما ظهرت عند الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم من المصلحين في العالم العربي والإسلامي»[2]، كما لم يكن هذا التأثر بالحركة الإصلاحية في المشرق العربي دينياً فقط، بل تعداه إلى الجانب الأدبي، وخاصة بعد تلك الحركة التجديدية ومدارسها، والصراع الفكري الذي ظهر عند (العقاد) و (المازني) و (شوقي) و(حافظ إبراهيم)، وتلك الأفكار التي جاء بها (طه حسين) حين

1- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص34.

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص66.

أبدى مبدأ الشك في الشعر الجاهلي، قد جعلت الحركة صلاحية « تقف موقف الحيطة والحذر من المدارس الحديثة والتيارات التجديدية بينما كانت تتابع وتؤازر الاتجاهات الأدبية المحافظة الرصينة وتوجه الشباب بالتالي إليها، اختيار مبني على فكرة الحركة الإصلاحية واختياراتها الأساسية فهي تربط قضايا الفكر والثقافة بالدين الإسلامي»[1]، هذه النزعة المحافظة التي كانت رداً على الحركة التجديدية التي اتخذت موقفاً من التراث، جعلت هذا الاتجاه الإصلاحي يتبنى أفكار المصلحين المشارقة من أمثال (المويليحي) و (الرافعي).

وهاهي الحركة الإصلاحية التي مثلتها جمعية العلماء تتخذ من اللغة العربية والدين الإسلامي سلاحاً في وجه حملات المستعمر الرامية إلى عزل الشعب الجزائري عن لغته ودينه، فبدأت بفتح المدارس الخاصة للبنات والبنين وإصدار الصحف والمجلات باللغة العربية فكانت صحافة الجمعية « مدرسة كبرى للوطنية، ومصلحاً عظيماً للمجتمع، ومثقفا كفء للشعب ومنبراً للخطباء والأدباء»[2]، فبعد ما شهدته الجزائر من أفكار رجعية جامدة مستسلمة جاء هذا الفكر الإصلاحي الذي « خطا بالفكر الجزائري خطوة هائلة»[3]، وبهذا سخرت جمعية العلماء شِعرها لخدمة اللغة العربية والدين الإسلامي، وكل القيم والمبادئ والأخلاق السامية.

وكانت هذه الحركة نهضة شاملة لإعادة الفكر والثقافة إلى أصولها العربية الإسلامية، « ومن هنا جاء الشعراء بهذه الحركة، وعبروا عن مفهومها للنهضة والتقدم في السياسة والدين معاً»[4]، وشمل هذا الشعر كل الموضوعات التي ترتبط بالأمة،

1- محمد ناصر: المرجع السابق، ص42-43.

2- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1967، ص 51.

3- عبد الله ركيبي : عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات و وثائق)، ص57.

4- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص66.

فكانت أفكار أدباء هذه الحركة وطنية قومية، « أيضا من حيث الثقافة فإنهم درسوا في "الزيتونة" بتونس أو في " الأزهر" بمصر أو في " القرويين" بالمغرب أو بسوريا أو في الحجاز»[1]، لذا كان تمسكهم بشكل القصيدة العربية القديمة واضحاً، « ومن هنا كانت عنايتهم بالصياغة وبالبيان والبلاغة، كما هي معروفة في الشعر العربي التقليدي، وكان شعرهم يعتمد على بحور وأوزان الخليل والتزام القافية والبحر الواحد كما يعرف في الشعر العمودي وعدم العناية بوحدة الموضوع في القصيدة أو الوحدة المعنوية في بنائها الفني»[2]، وإذا كان هذا الطابع الشعري يعد ضعفاً على حسب ركيبي، فإنه يعترف له بالدور الفعال الذي قام به شعراء هذا الاتجاه، يقول ركيبي: « وعلى أية حال فإن دورهم الرائد هذا في الدفاع عن العروبة والإسلام في الجزائر يشفع لهم في وجود هذا الضعف الذي نلحظه في بعض القصائد»[3]، إذاً فركيبي يولي اهتمامه أكثر إلى مضامين هذه القصائد دون الاهتمام بالتجديد أو التقليد في هذا الشعر.

ونرى في هذا أن المرحلة التي ظهر فيها هذا الشعر لم يكن التركيز فيها إلا على المواضيع المطروقة، وما مدى معالجتها لقضايا المجتمع والأمة، فتجند مجموعة من الشعراء بكل ما ملكوا من وسائل وما أتيح لهم من فرص في خندق الإصلاح الفكري والأدبي، « ونجد من بين هؤلاء الشعراء الرواد: بلقاسم خمار، وسعد الدين، وعمر بن قدور الجزائري، والمولود بن الموهوب، وعبد القادر المجاوي، وغيرهم؛ فقد عكست أشعار هؤلاء آلام وآمال الشعب الجزائري، وعكست في الوقت ذاته قضايا الأمة؛ فحورب الجهل، ومدح التقدم العلمي، وأهيب بالمقومات الشخصية للأمة، غير

1- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص67.

2- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص67.

3- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص67.

أن الموضوع الذي استحوذ على اهتمام هؤلاء الشعراء هو محاربة الخرافات والشعوذة والبدع التي تفشت في أعقاب انتشار الطُرقية»[1].

أما مهمة هذا الشعر فكانت تطهير العقول من دسائس الاستعمار والميت من الأفكار، ولهذا فإن البحث في هذا الشعر يكشف عن الدور الذي أداه في هذه المرحلة من تطوره، « ولكي تدرك مهمة هذا الشعر يجب أن تتبع المدى الذي كانت عليه الجزائر آنذاك من الشعور بالخيبة والاستسلام للخرافات والأوهام والعقد النفسية المتراكمة»[2]، لذا فقد كان هذا الشعر وسيلة جديدة لمقاومة الفكر الرجعي الذي كان سائداً في تلك الفترة من تاريخ الجزائر، وإعادة الثقة في النفوس التي تشعر بالهزيمة والذل، والشعر الإصلاحي وسيلة أخرى من وسائل النضال ومقاومة خطط الاستعمار الرامية إلى سلخ ومسخ ثقافة الجزائر وقطع أواصرها.

ت – شعر اليقظة والثورة:

ولا شك في أن الشعر الجزائري قد كان متابعاً للتطورات الحاصلة في الجزائر عموماً، وكان المرافق لكل المستجدات السياسية والاجتماعية، وكانت الثورة الجزائرية نتيجة حتمية لما مرت به الجزائر من معاناة وضغط رهيب، و« حين اشتعلت الثورة أذكت العواطف، وهزت المشاعر والأقلام التي كانت من قبل مكبوتة، وفتحت أمام الشعر آفاقاً ما كان يستطيع أن يهم بها لو لا الدم والنار والحديد، وقد تفجرت نتيجة لذلك عواطف الشعراء، بشعر ثوري عارم يسجل انتصارات الثورة، ويبشر بالاستقلال

1– بوفسيو عيسى : مظاهر حضور التراث النقدي في الأدب الجزائري الحديث، حوليات الآداب واللغات(عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري 22/21ماي2006)، جامعة المسيلة، الجزائر، ع:02، ديسمبر2013، ص207.

2– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص36.

والغد الحر ويتغنى بالوطن والحرية»[1]، وهذا ما شهدته جل أعمال الشعراء الجزائريين، حضوراً قوياً، وتسجيلاً حرفياً لخطوات الكفاح، فمثل ما كان هذا الشعر ملهما للثوار ومشجعاً لهم ومتتبعاً لخطواتهم، كان كذلك ملهماً للنقاد والدارسين للبحث عن تفاصيل الثورة فيه وعن تاريخها ويومياتها، وهذا ما جعل ركيبي أكثر اهتماماً بدراسته.

ففي كتابه (الأوراس في الشعر العربي) تناول ركيبي قضية اللغة والقومية، كما عدَّ الصراع بين الجزائري والمستعمر محور قضيتين، الهوية والانتماء، ويرى أن الشعر العربي عامة والجزائري خاصة قد توجه إلى خدمة المقاومة المسلحة بالموازاة مع مقاومة الشعب وثورته الفكرية، وهذا ما مثله مجموعة من الأدباء والشعراء الجزائريين من أمثال محمد الصالح باوية* والشاعر بلقاسم خمّار، ومفدي زكريا في تغنيهم بجبال الأوراس واتخاذها رمزاً ثورياً يرمز إلى رفض الشعب الجزائري لكل أشكال الاحتلال... وهي رمز البطولة والتضحية والفداء « يقول مفدي زكريا في ربط واضح بين الفداء واللغة فكلاهما قد نطق بصوت جهوري واحد صوت العروبة وصوت البارود:

مِن منبرِ الأوْرَاسِ حَي المَجْمَعا / فالضّاد والرَشّاش قد نَطَقا مَعاً»[2].

1- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص45-46.

*- وُلد محمد الصالح باوية بمدينة (المغيّر) تلقى مبادئ التعليم في مسقط رأسه، ثم في معهد ابن باديس، ثم انتقل إلى تونس، والكويت، وسوريا، وأخيراً سافر في بعثة دراسية لإتمام دراسته الطبية بيوغسلافيا، بدأ حياته الشعرية منذ (1952)، له ديوان وحيد جمع فيه بين الشعر العمودي والحر، ويعد باوية من رواد الشعر الحر في الجزائر، إلا أنه انصرف عن الشعر سنة 1972 لانشغاله بالطب: ينظر محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص670.(اختطفته مجموعة إرهابية في منتصف التسعينيات ولم يعد بعدها).

2- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي، ص15.

هذا الاهتمام بالشعر العربي في الجزائر من قبل ركيبي، مرده إلى إيمانه بوحدة موضوعه، وهذا ما أيده فيه كثير من النقاد والدارسين، إذ يمكننا أن نقول إن الشعر الجزائري الناطق باللغة العربية الفصحى، قد سار هذه المسيرة الداعية إلى المقاومة من خلال شكل تقليدي يتغني بالجهاد والنضال والأبطال، ويدعو إلى وحدة الجزائر ثم يواكب الأحداث السياسية ويتخذ منها لدعوته[1]، كيف لا والشعر رفيق الثورات والبطولات عبر تاريخ الشعوب والحضارات، والشعر العربي أكثر ارتباطاً بالثقافة الجزائرية وتاريخها، وفي أحد الحوارات الصحفية* يقول ركيبي: « أنا أعتقد، وهذا حكم يحتاج إلى أدلة وشواهد ليس هنا محلها، بأن للشعر دوراً كبيراً في مجال الدعاية لا في مجال الخلق والإبداع، لقد كان الشعر أثناء الثورة بمثابة منشورات سياسية أو نضالية، تدعو الثورة وتحث الشعب على مقاومة المستعمر المحتل وقهره، وحسبه هذا الدور في تلك الفترة»[2]، و وإذا كان الشعر هو الباعث على استنهاض الهمم بكلمته المعبرة، وصوت الشعراء الذي رافق السلاح في ثورات الشعوب العربية، فإن ركيبي يرى بأن « الشعراء الجزائريين أثناء الثورة، كانوا يمرون بفترة انفعالية تقتضيهم أن يسهموا في الثورة بهذه القصائد الحماسية والمشاعر المتفجرة، ولم يكن لديهم وقت لإنضاج التجربة، ولا التنقيح»[3]، فكان الشعر ثورياً منفعلاً انفعال الشعب، دون الاهتمام بشكله.

1- ينظر:عبد العزيز شرف:المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص42.

*- حوار أجراه معه الأستاذ عاطف يونس لصالح جريدة (المجاهد) الأسبوعية، ونشر على صفحاتها تحت عنوان (مدخل إلى دور الكلمة في حرب التحرير) بتاريخ: 1975/11/02

2- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص34.

3- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص37.

وفي كتابه (الشاعر جلَواح من التمرد إلى الانتحار) نقل لنا ركيبي صورة أخرى من صور التمرد والمقاومة والثورة في شعر مبارك جلواح*، الذي ظهر في مرحلة تميزت بالفكر الإصلاحي وبالأدب الكلاسيكي، ولم يكن اختيار ركيبي لهذا الشاعر في بحثه من باب المصادفة وحدها، بل كان في طريق بحثه عن ملامح المقاومة في كل مساراتها، فما لفت انتباهه في هذا الشاعر المغمور سوى نزعته الرافضة لكل أصناف الذل والهوان والقهر الذي عرفه وعرفته الجزائر في تلك الفترة ، والتي لم تلق المقاومة الكافية من أصحاب الفكر الإصلاحي، فما كان على هذا الشاعر إلا أن يثور ويتمرد كذلك على هذه الحركة التي لم تعد قادرة على مواجهة الاستعمار، وفي هذا يقول ركيبي: « ولما اطلعت

على الديوان وجدت شعراً ما تعودت على قراءته في قصائد الشعراء الإصلاحيين من معاصري جلواح »[1]، ورغم أن الشاعر جلواح تتلمذ على الإصلاحيين وانتمى إلى هذا التيار في بداية مشواره النضالي، إلا أنه تشبع بالأفكار الجديدة في الاتجاه الرومانسي المتمرد على الأفكار الكلاسيكية، « فالشعراء الجزائريون كلاسيكيون في أسلوبهم ونظرتهم ومثلهم، وخاصة أولئك الذين ارتبطوا بالحركة الإصلاحية مثل الشاعر "جلواح" ولكنه كما قلت، تمرد على هذا الموقف، ومن ثم فإن اتجاه الشعراء إلى الرومانسية لا يمثل رؤية للطبيعة أو للأسلوب في التعبير، وإنما هو شبيه بهذا، فقد أحسوا بواقع سيء فثاروا عليه كما ثار الرومنسيون»[2]، وعلى رأي ركيبي فإن جلواح

---

* – وُلد جلواح بقلعة بني عباس سنة 1908، تلقى مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن على يد والده، وأجبر على الخدمة العسكرية الفرنسية في المغرب فاستفاد من المكتبات المغربية ليثقف نفسه منها، وفي أواخر الثلاثينات اتصل بالحركة الإصلاحية ليعمل في التدريس بمستغانم، سافر إلى فرنسا ليقوم بنشاطات توجيهية للمهاجرين، لكن وُجد ميتاً في نهر (السين) سنة 1943، حيث يُعتقد أنه انتحر. ينظر محمد ناصر: الشعر الجزائري المعاصر، ص680.

1- عبد الله ركيبي :الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، ص06 .

2- عبد الله ركيبي :الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار،105.

يمثل التفرد في الجوقة الإصلاحية برومانسيته رغم أنه أسهم في الاتجاه الإصلاحي بعدة موضوعات إصلاحية، لكن نظرته في عمومها كانت نظرة رومانسية ثائرة متمردة[1]، لا تغيب عنها السمة الثورية ولا الروح الرافضة.

ويستمر ركيبي في البحث عن الشاعر الثوري المقاوم مهما كان شكل مقاومته، وأينما كان موطنه، وهاهو "السياب" الشاعر الثوري في أرض عربية أخرى، وفيه يقول ركيبي: « السيّاب الشاعر القومي الثوري الملتزم بقضايا الجماهير العربية.. بقضايا الإنسان وعذابه وأشواقه أينما كان»[2]، أما شعره فإنه كما يرى ركيبي يشكل صوتاً آخراً من أصوات الثورة، ورغم أن الشاعر كان رومانسيا في بداية مشواره الشعري إلا أنه استطاع أن يكتب شعراً واقعياً ثورياً، إذ يؤكد ركيبي على أن « شعر السيّاب (...) من حيث مضمونه شعر إنساني واقعي ثوريّ.. شعر يلتصق بجماهير الشعب.. يذوب فيها.. يعبّر عن حقها في الحياة والحرية والخبز غير الممتهن.. شعر يتدفق دفاعاً عن الإنسان»[3]، والشاعر "مالك حداد" الذي كتب ركيبي في شعره مقالات عديدة، لا لأنه الشاعر الثوري الوحيد في الجزائر، بل لأنه يرى فيه الأنموذج الفريد من الشعراء الجزائريين لتميزه بالكتابة باللغة الفرنسية وفي الوقت نفسه يدافع عن القومية وعن اللغة العربية، وبهذا يعده رمزاً للشاعر الثائر، ولا يفوته أن يعترف له بما قدمه من شعر وطني ثوري رغم الغربة والعذاب وكل المحن، « تحية إلى مالك حداد الذي تغنى بالثورة وغنى للثوار وأشاد بنضال وطنه.. تحية لأغانيه التي بددت الشقاء وأشادت بالحرية والسلام»[4]، وكثير من الشعراء الذين أشاد ركيبي بثوريتهم ونضالهم الشعري المرافق لكل الثورات داخل الوطن وخارجه، أيام الاستعمار وبعده.

1- عبد الله ركيبي :الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، 105.

2- عبد الله ركيبي : أحاديث في الأدب والثقافة، ص 84.

3- عبد الله ركيبي : أحاديث في الأدب والثقافة، ص 85.

4- عبد الله ركيبي : أحاديث في الأدب والثقافة، ص 29.

وبالعودة إلى مراحل تطور الشعر الجزائري التي تحدث عنها ركيبي، نجده يركز على الجانب الثوري في هذا الشعر، بل يجعل منه شعراً ثورياً خالصاً مهما تعددت مواضيعه ومزاياه، فبذِكره لهذه المزايا التي عُرف بها الشعر عامة يذكّر بأن « هناك إلى جانب هذا كله ميزة أخرى في الشعر الجزائري، هي أنه شعر حماسي. فالحماسة تطغى عليه في كل مراحله، ما عدا المرحلة الأولى التي كان الشعر فيها – إن صح أن نسميه شعراً– شعراً انطوائياً سلبياً..يدعو إلى العزلة والفرار من الواقع، والهروب إلى الصوامع والمساجد »[1]، هذه المرحلة التي سبق وتحدثنا عنها قد رأى فيها ركيبي شيئاً من الرفض ومقاومة كل أشكال التطبيع مع المستعمر، « وفيما عدا هذه المرحلة، نجد الشعر الجزائري..كله حماسة، وثورة وغليان. ثورة على الجهل والفقر والمرض، ثورة على الحياة الاجتماعية العفنة، ثورة على الظلم والاضطهاد، ثورة على أعداء الجزائر. فروح الثورة أصيلة في الشعب العربي في الجزائر وهي ليست بنت اليوم فقط وإنما هي تجري فيه منذ الأزل»[2]، فسمة الثورة في الشعر كما يؤكد ركيبي هي ثورة الشعب عبر العصور والشعر المعبر الأول عن هموم هذا الشعب الثائر.

ومن خلال هذه المراحل نلاحظ بأن ركيبي أراد تتبع تطورات الشعر الجزائري، واستكشاف ميزاته، وقضاياه بحثاً عن ميزته الثورية التي يعتقد بأنها هدف الشعر الجزائري الأول والأكبر، وهذا ما نجده في ربطه شعر الحب بالمقاومة والكفاح حين قال: « وهكذا نرى أن شعراءنا قد ربطوا الحب بالكفاح»[3]، فالثورة هي التي ميزت هذا الشعر وإن كان غزلياً، وجعلت منه شعر ثورة الحب أو الحب في الثورة على حسب رأي ركيبي، « الثورة التي غيرت مفاهيم كثيرة، ومنها مفهوم الحب والغزل»[4]، هذا ما

1- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص09.
2- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص09.
3- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص78.
4- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص80.

كان يهدف إليه ركيبي في تتبع مراحل تطور الشعر الجزائري وأهم مواضيعه، محاولاً التأكيد على أن الشعر الجزائري تصويراً حقيقياً للواقع المعيش، وتعبيراً صادقاً على مشاعر الجزائري الذي يحمل هموم وطنه في كل أحاسيسه التي يمتزج في الحزن بالإيمان وبالحب، وتشتعل ثورة الوطن باشتعال إرادة الثائر وصوت الشاعر.

3- القصة الجزائرية المقاوِمة:

قبل الحديث عن القصة الجزائرية، وعن مراحل تطورها، يجب الإشارة إلى أنها من « أبرز الفنون الأدبية رواجاً ونضجاً في الأدب الجزائري المعاصر، وذلك بعدما تقلص سلطان الشعر عقب الحرب العالمية الثانية فاسحاً المجال للأنواع الأدبية الجديدة، وخاصة القصة لتقوم بتصوير حياة الإنسان الجزائري في تطوره الفكري ونموه الاجتماعي والحضاري خلال حرب التحرير وعهد الاستقلال »[1]، فكان ظهور القصة الجزائرية في الأدب الجزائري حدثاً أدبياً هاماً يستدعي البحث في تطوراتها، ودراسة بنياتها الفنية.

وفي هذا الباب من الأدب الجزائري يتناول ركيبي القصة القصيرة الجزائرية بتتبع أسباب تأخر ظهورها ومراحل تطورها، مبرزاً في ذلك أهم اتجاهاتها المرتبطة بمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة بداية الوعي بالفكر النضالي، وفي رده على أراء الذين يرون أن الجزائر لم تعرف من الأدب سوى ما كتب باللغة الفرنسية من أعمال نثرية، يقول إن للجزائر أعمالا نثرية تعد البواكير الأولى في هذا الفن، ورغم تأخرها في الظهور مقارنة بمثيلتها العربية إلا أنها كانت أصدق تعبيراً وأدق تصويراً للحياة الحقيقية التي كان يحياها الشعب الجزائري، وكانت تعبر « عن أدق

1- شريبط أحمد شريبط: تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص05.

خلجات شعبها وعن نضاله، أدباً يستحق التقدير لأنه كافح واستطاع أن ينطلق وأن يرى النور وسط الظلام »[1]، فكانت بداياتها في أشكال متعددة، كالمقال القصصي والصورة القصصية ثم القصة.

وأهم ما كان يؤكده ركيبي خصوصية القصة الجزائرية بصفة المقاومة والكفاح، فـــ« إن القصة الجزائرية بصفة أخص، هي المعبرة عن مدى الالتزام الشخصي لرجال ملتزمين بالتضامن في الكفاح المشترك داخل مجتمع مستعمَر، وهي أيضا قصة الإحساس العاطفي لهؤلاء الرجال عندما يتحدثون عن تاريخ بلادهم، ومن هنا كانت القصة الجزائرية، في هذه الفترة التاريخية، تصور شكلاً خاصاً نجده لدى قصص المقاومة بشكل عام في العالم »[2] وكان ركيبي من الأوائل الذين أرخوا لهذا الفن، وكانت له عدة دراسات تبحث في ظهوره وتطوره، ومن خلال هذه الدراسات النقدية نلاحظ أنه قد قسم وصنّف القصة الجزائرية إلى أشكال تختلف حسب مراحل تطور هذا الفن، فكان من أهمها، المقال القصصي والصورة القصصية، ثم القصة القصيرة باللغة العربية وباللغة الفرنسية.

أ- المقال القصصي:

شهدت الساحة الأدبية العربية جمعاء تأخراً في ظهور القصة بشكلها الفني، مقارنة بظهورها في العالم الغربي، وكان هذا التأخر لأسباب تاريخية وسياسية عديدة، أما القصة المغاربية فقد كانت أكثر تأخرا منها في المشرق العربي، و« حتى الجزائر التي تأخر مولد القصة فيها عن سائر الأقطار العربية لظروف خاصة بها»[3]، إلى أن

1- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص151.

2- عبد العزيز شرف:المرجع السابق، ص 84.

3- نعمات أحمد فؤاد: خصائص الشعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1980، ص94.

شهدت الحركة الأدبية في الجزائر عدة تطورات، بداية من الثلاثينيات، فكانت هذه التطورات « انبثاقاً من حركة الإصلاح التي شقت الظلام في تلك الفترة متمردة على فرنسة الجزائر، ولعل هذا هو السر في أن القصة الجزائرية الأولى كانت مقالاً قصصياً لو صح هذا التعبير، ثم انتقلت إلى شكل اقرب إلى القصة فكانت (صورة قصصية)»[1]، وبهذا فقد مرت القصة الجزائرية بعدة تطورات قد رصدها عبد الله ركيبي في دراساته حول القصة وتطوراتها التاريخية والفنية.

و في كتابه " القصة الجزائرية القصيرة"، فقد تتبع ركيبي تطور الأشكال القصصية مقدما ما عرفته الساحة الأدبية الجزائرية في مراحلها الأولى، حيث تناول المقال القصصي، « فالشكل الذي جاء عليه(المقال القصصي) لا يعدو أن يكون"صورة بدائية" للقصة ذلك أن العناصر الفنية فيه غير منضبطة بقواعد هذا الفن تماماً كطول الزمن فيه والذي قد يمتد شهوراً عديدة، وتنوع عنصر البيئة وحشد الأفكار الكثيرة والاستشهادات العديدة وبث الحكم والإقناع في النص»[2]، كما أن هذا الشكل القصصي يتميز بعدة ميزات فنية قد تناولها ركيبي في بحثه حول القصة الجزائرية القصيرة عموماً.

إذ يرى بأن كاتب المقال القصصي يركّز على الفكرة حيث « يبدأ بمقدمة خطابية وعظية ويتبعها بسرد للحوادث، وقد يعكس هذا فيبدأ بسرد وبوصف للمناظر أو الحوادث ثم يعقب ذلك بخطبة أو بمقال قصير يؤكد فيه الهدف والفكرة التي يكتب من أجلها. وقد يعمد الكاتب إلى أسلوب المحاضرات والمحاورات»[3] ويرُد ظهور المقال القصصي وتطوره إلى تأثره بالمقامة تأثراً كبيراً، لأنه يحمل جل مواصفاتها وملامحها

1- نعمات أحمد فؤاد: المرجع نفسه، ص 94.

2- شريبط أحمد شريبط: تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص 48.

3- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 51.

« غير أن الفرق بين المقال القصصي والمقامة إنما هو في وظيفة كل منهما. فلم يكن الهدف في المقال هو الترفيه أو التسلية أو تعليم اللغة والتلاعب بالألفاظ والجري وراء البديع وان كان أحياناً يأتي عفوياً لا يقصد إليه الكاتب قصداً كما هي الحال في المقامة»[1]، ومن هنا فإن ركيبي يفصل بين المقامة والمقال القصصي الذي ظهر بفكرة الإصلاح وارتباطه بالحركة الإصلاحية التي تبنتها جرائدها في النصف الأول من القرن الماضي، إذ كان رجال الحركة الإصلاحية يدعون من خلال مقالاتهم القصصية إلى إصلاح المجتمع والعقيدة مركزين على الفكرة قبل كل شيء.

فكان المقال القصصي أكثر انتقاداً لبعض المظاهر الاجتماعية منتقداً ما يعيق تطور هذا المجتمع من أسباب التخلف والابتعاد عن مقومات الشخصية الوطنية واللغة العربية « ولا شك أن المقال القصصي قد قام بدور بارز في الحياة الأدبية والفكرية »[2]، فكان خطوة أولى في بناء الفن القصصي ونشر الوعي وتغذية الفكر بإسهاماته في الحركة الأدبية.

وبهذا فإن ركيبي يعد المقال القصصي في هذه المرحلة شكلاً من أشكال مقاومة الأساليب القديمة، أو لنقل هو مرحلة جديدة في الأدب الجزائري الذي مهدت له عدت ظروف قبل هذا، « وعندما ظهر المقال القصصي في الصحف كان الشعب الجزائري يعيش في غليان عنيف وصراع حاد. صراع بين عهد الركود وبين عهد البحث عن الذات»[3]، فمن الملاحظ أن ركيبي في حديثه عن المقال القصصي قد جعله الفيصل بين مرحلتين من النتاج الأدبي من حيث المضامين والتوجهات، « أما مضمون المقال القصصي _ في نظر الناقد_ فهو يبلور أفكار الحركة الإصلاحية، وأسهم في المعركة

1- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 51.

2- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 52.

3- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 52.

بين أنصار هذه الحركة وأنصار الإدماج والرجعية الدينية، وأما شكله الأدبي فقد قسمه الناقد إلى مرحلتين؛ فالمرحلة الأولى سجل حولها الملاحظات التالية التي قامت على تتبعه لبناء المقال القصصي شكلاً ومضموناً:

- المقدمة الوعظية الطويلة.
- المناظرة للفكرة الإصلاحية وبروز الهدف التعليمي.
- الاستطراد المخل بالفكرة الأساس، عدم الاعتناء بالشخصية الإنسانية.
- عدم الاحتفاء بالترابط بين البداية وبين النهاية، الألفاظ ضخمة جزلة والتعابير قوية.
- طريقة الوصف تعتمد أكثر على أسلوب ألف ليلة وليلة، التركيز على التفاصيل والإطناب وعدم الإيجاز، الاهتمام بالجانب اللغوي، والحوار المباشر والصريح»[1].

أما مخلوف عامر فقد أضاف بعض الخصائص التي تشترك مع ما سبق ذكره:

« – كان الكاتب يميل فيه كثيراً إلى الوصف إلى حد إثقال النص.

- انصب الاهتمام على الأحداث والميل إلى النقل الحرفي للواقع.
- كان المقال القصصي عبارة عن مزيج من القصة وغير القصة.
- إنه مزيج من المقالة والرواية والمقامة والحكاية.
- النبرة الخطابية المحملة بالوعظ والإرشاد لأهدف إصلاحية»[2]

ليجعل من هذا الشكل رغم هذه الميزات رؤية جديدة للواقع والتعبير عنه بهذا الأسلوب الذي أسهم في الحركة الإصلاحية وغذى الفكر الإصلاحي.

أما المرحلة الثانية التي قدمها ركيبي، فهي مرحلة تاريخية تعنى بتتبع التطور الفني عبر المسار التاريخي، حيث يرى أن نطاق المقال القصصي قد اتسع، وأصبح

1- حميدات مسكجوب: المرجع السابق ص 21-22.

2- مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989، ص 50-51.

الكُتّاب لا يتقيدون بموضوع واحد في المقال القصصي ولا بفكرة معينة، وإنما تناولوا عدة موضوعات، ذلك لأن كتاب المقال القصصي قد وعوا أهمية الأدب وضرورة وجود القصة، وقد أدى هذا إلى وضوح شخصية الكاتب في المقال القصصي، واختفاء تلك المظاهر والميزات التي ظهر في بدايته، وبهذا فإن ركيبي قد وضعنا أمام التطور التاريخي والفني للمقال القصصي[1]، والذي يعد بدوره مرحلة مهمة من تاريخ تطورات القصة الجزائرية.

لذا فإننا نجد ركيبي يؤكد على الدور الفعال للمقال القصصي الموازي للحركات الإصلاحية والوطنية التي تقف في وجه الاستعمار ومعاونيه، « وظهر المقال القصصي ليبلور أفكار هذه الحركة الإصلاحية ويسهم في المعركة بين أنصار هذه الحركة وبين أنصار (الإدماج) والرجعية الدينية المتمثلة في رجال الدين الرسميين وفي أصحاب

(الطرق) و(الزوايا) »[2]، ليعمل هذا المقال القصص في محاربة ازدواجية، بين رغبة الاستعمار وأتباعه في سلخ المجتمع الجزائري وإبعاده عن ثقافته الأصيلة، وبين الأفكار الرجعية المتخلفة التي كان يدعو إليها من ساعدوا الاستعمار بأفكارهم وخرافاتهم التي غذاها الاستعمار، فكانت للمقال القصصي وظيفته في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر والتي لم تكن قد عرفت الشكل الحقيقي للقصة الفنية، وكان مرحلة من مراحل نشأة هذا الفن.

ب – الصورة القصصية:

1– ينظر: حميدات مسكجوب: المرجع السابق، ص22.

2– عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص 53.

أما الصورة القصصية فإن ركيبي يرد نشأتها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، ويرى بأنها « تهدف إلى رسم صورة إلى الطبيعة أو صورة (كاريكاتورية) لشخصية إنسانية أو التركيز على فكرة معينة، فالغرض منها إعطاء صورة لتنطبع في ذهن القارئ، كما انطبعت في ذهن الكاتب»[1]، وبعد أن قدم في كتابه القصة القصيرة الجزائرية، عدة مفاهيم للصورة القصصية ومميزاتها، تناول كذلك أسباب عدم الإقبال على هذا الشكل السردي، حيث رده إلى البيئة الثقافية والاجتماعية التي لم تكن « مهيأة لتلقي هذا النوع من الأدب وإنما كانت مهيأة لتلقي الشعر وحده على اعتبار أنه هو الفن العريق في تاريخ الأدب »[2]، ويضيف أن الصورة القصصية رغم افتقادها إلى التركيز وميلها إلى الوعظية أكثر من ميلها إلى الإيحاء إلا أنها عرفت تغيراً وتطوراً في مراحلها المرتبطة بتطورات الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر إلى أن ظهرت الصورة القصصية بعد قيام الثورة التحريرية والتي« تتحدث عن النضال والواقع الثوري الجديد»[3]، لتكون خطوة أخرى في مسار الأدب الجزائري بصفة عامة، وفي بناء القصة الجزائرية بصفة خاصة، باعتبارها مرحلة أولية من هذا الفن.

ويمكن أن نحصر ملامح الصورة القصصية في النقاط التالية:

- تهتم الصورة القصصية بعنصر القص، وبالحدث كما هو وليس بتطوره.
- الشخصية في الصورة القصصية نموذجية لعينة من شرائح المجتمع، ولهذا فهي ثابتة. غير نامية، كما أنها لا تتفاعل مع الحدث القصصي.
- الحوار لا تديره الشخصية الأدبية، وإنما تطغى عليه شخصية الكاتب، ويحس القارئ بالتدخل المباشر للكاتب الذي يكشف عن مراده وثقافته.

1- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص79.

2- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص77.

3- عبد الله ركيبي: : القصة القصيرة الجزائرية، ص78

– نقص التركيز وكثرة الحشو، والاستطراد والتفصيل.

ومن خلال تتبع ركيبي لتطورات الصورة القصصية فإنه يرى بأن « عناصر القص فيها غير مكتملة، فهي تهتم بالحدث لذاته دون محاولة تطويره، تغفل عن رسم المعالم الشخصية التي لا تتطور بل تظل ثابتة فيها، لا تتفاعل مع الحدث مما يفقدها عنصر الصراع، يكثر فيها الاستطراد، والسرد يميل إلى الوعظية، أما الحوار فيعبر عن أفكار الكاتب لا عن آراء الشخصيات، وقد أكد ركيبي أن الصورة القصصية التي عالجها ذات صلة وثيقة بالواقع»[1]، وبعد أ تتبع ركيبي تطور هذه الأشكال القصصية يرى بأنها الممهد لظهور القصة الفني التي كانت بدورها نتيجة لمحفز آخر، وهو الفكر الثوري في تلك الفترة، حيث « نقف عند القصة الفنية التي أجمل ركيبي أسباب المساهمة في تطورها الفني في اليقظة الفكرية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، والبعثات الثقافية نحو الشرق، وأما الحافز الموضوعي لكتابة القصة فهو ثورة التحرير»[2] التي أشعلت فتيل المواهب الإبداعية، وكانت مادة الكتاب و وسيلتهم وغايتهم في هذا الفن.

ت– الاتجاه الثوري في القصة القصيرة:

بتطور هذا الفن من خلال الأشكال المتعددة التي ظهر عليها من قبل، وبمميزاته التي لم تنفصل عن المؤثرات التاريخية والاجتماعية، وبسبب الوضع الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري، شعبا ومثقفين، بدأ الوعي الفكري والثقافي في النمو في الأوساط المحلية، و« للسبب نفسه انكب الأدباء على حمل تلك النظرة القاعدية في أعمالهم، كتمهيد للفعل الثوري المنظم المسلح، فربط مسار التعبير بسابقه، وبتناوله من باب طغيان الموضوع وارتباط القصاصين الجزائريين بالثورة ارتباطاً قوياً

1– حميدات مسكجوب: المرجع السابق، ص23.

2– حميدات مسكجوب: المرجع نفسه، ص23.

لما لها من رؤية وطموح مستقبلي فتولد لدى جيل الثورة تراكمات نابعة من واقع مأساوي واضطهادي طيلة الوجود الاستعماري»[1] دفعهم إلى التعبير عن مأساتهم وعن واقعهم المتردي متأثرين بكتاب القصة العالمية.

وبهذا فقد « ظهر في أثناء الثورة التحريرية عدد من كتاب القصة، يعود إليهم الفضل في تطوير الفن القصصي الجزائري المعاصر، وإثراء الحياة الأدبية بعد الاستقلال. ومثلما عبروا في أثناء الثورة التحريرية عن المعارك التي خاضها المجاهدون الجزائريون ضد جيش المستعمر، فقد عالجوا بعد الاستقلال الموضوعات التي أفرزتها ظروف الحياة، الجديدة، أما موضوعات الثورة فقد بقيت إلى الآن منبعاً لا ينضب للأفكار الثورية وللبطل المناضل الذي يضحي بما ملك في سبيل الوطن »[2]، فكان هذا التأثير واضحاً في أحداث القصة وشخصياتها ومواضيعها.

وبتتبعه تطور القصة القصيرة الجزائري في مراحلها الأولى، يرد أسباب هذا التأخر في الظهور إلى جملة من الأسباب السياسية والفكرية، وإن ظهرت القصة فإنها لم ترق إلى مستوى القصة القصيرة الناضجة، فكانت قصصاً إصلاحية تفتقد إلى الأصالة والموهبة، وهذا لافتقادها « الدوافع الفنية لكتابة القصة وكان الدافع الأساسي – إلا ما ندر– هو الشعور بالفراغ»[3]، وهذا في مرحلة متقدمة من تاريخ القصة الجزائرية.

ومن أهم المراحل التي تحدث عنها ركيبي، مرحلة قبيل الثورة التحريرية والتي كانت بوادرها من أهم أسباب تطور القصة القصيرة، فمرحلة الضغط الذي وصل إليه الشعب الجزائري، والوعي الثوري الذي بدأ ينمو و« أمام صور الفتك بالنساء والشيوخ

1– حاج محجوب عرايبي: دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، إصدارات إبداع، الجزائر، ط01، 1993، ص 49.

2– شريبط أحمد شريبط: تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص106.

3– عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 159.

والأطفال تفاقم الشعور بالظلم، وتطور إلى أن بلغ القمة تحول بعد ذلك داخل النفوس المضطهدة إلى وعي ثوري، وقد أسهمت التجربة الإبداعية في تتبع هذا الوعي ومسايرته جنباً إلى جنب، وكان من الطبيعي أن يختلف الكتاب في تجسيد تطور ذلك الوعي مع الإشارة إلى أسبابه الداخلية والحوافز الخارجية، إذ ربط بعضهم الوعي الثوري بالنزعة الدينية لانتمائهم إلى الحركة الإصلاحية حيث يستمدون منها أفكارهم ومواقفهم»[1]، وبعد اندلاع الثورة فرضت أحداثها و واقعها على الكُتّاب.

وقد توفرت مجموعة من الشروط، دفعت بالأدباء إلى تبني وسيلة أكثر نضجاً للتعبير عن ظروف الشعب بعد اندلاع الثورة التحريرية، « ومعها كان ميلاد القصة الجزائرية بمفهومها الفني السليم، بل كانت الطفرة التي نقلت القصة من الموضوعات المادية المستهلكة إلى مضامين الثورة المنفعلة بالواقع الجديد»[2]، ولكن لم تكن الثورة وحدها هي ما جعل القصة القصيرة تصل إلى تلك المرحلة من التطور، بل كانت هناك جملة من الأسباب التي لم يعرها ركيبي اهتمامه، كتأثر الكتاب قبيل الثورة بعدة اتجاهات عالمية في كتابة القصة واطلاعهم على عدة أعمال كانت تحمل أحاسيس الغبن والمعاناة والقهر، كما أن بعض التجارب الأولى في الكتابة القصصية مثل محاولات عبد القادر حاج حمو وسليمان بن إبراهيم وأحمد رضا حوحو وعبد الحميد الشافعي وغيرهم كانت تصور بصدق الحياة الاجتماعية في الجزائر قبل الثورة، وكانت مرحلة مهمة في التأسيس للكتابة السردية في الجزائر.

ويرد ركيبي هذا التطور في القصة القصيرة الجزائرية إلى دخولها مرحلة جد مهمة في مسيرتها، وهي مرحلة الفكر الواقعي الذي جعل القصة أكثر قرباً من الواقع والمجتمع ومشكلاته وقضاياه الجوهرية، التي ألهمت كتاب تلك المرحلة ووجهتهم نحو

1- أحمد طالب: المرجع السابق، ص73.

2- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص148.

طريق النضال والكفاح من اجل مستقبل أفضل، « وهكذا التزمت القصة الجزائرية بالثورة وبواقع الثورة وتبنت قضية الشعب وصورت كفاحه العادل من أجل قيم ومُثل إنسانية عليا»[1]، شملت أهم القضايا المحلية والعربية والعالمية كذلك، من خلال أعمال عديدة وإن تفاوتت مستوياتها الفنية.

ويبقى ركيبي يرد تطور القصة القصيرة إلى أسباب تتعلق بالثورة والنضال وكأنه يريد أن يجعل من ثورة نوفمبر ونتائجها المحرك الوحيد الذي يدفع بالكتاب الشباب للكتابة والإبداع، ورغم ظهور تيارين في القصة القصيرة الجزائرية، التيار الرومانسي والتيار الواقعي، وتأكيده على ظهورهما، إلا أنه لم يركز في حديثه إلا على التيار الواقعي رابطاً إياه بظهور الفكر الثوري في تلك المرحلة، حيث يرى ركيبي أن « الأوضاع التي تغيرت بعد قيام الثورة مما اوجد نزعة إلى الواقع والتعبير عنه بحيث سيطر الاتجاه الواقعي بعد أن انحسر التيار الرومانسي وبعد أن ارتبط الكتاب بالنضال الوطني من أجل الحرية و الدفاع عن الأرض والشرف والكبرياء القومي»[2]، فكان للقصة الجزائرية الدور الفعّال في الحياة الاجتماعية للجزائري بتصوير يومياته ونقل معاناته بين أحداثها، وكانت قد مهدت لقيام الثورة التحريرية بنشر الوعي والفكر التحرري في الثقافة المحلية، « ثم خاضت القصة الجزائرية معركة التحرير: تحرير الأرض من الغريب، وتحرير المجتمع من الفقر والتخلف، وتحرير الإنسان من الخوف، وتحرير المواطن من الضياع بإعادة الثقة إليه في يومه وتبشيره بمكانه الطبيعي في غده »[3] بتصويرها لواقع الشعب الجزائري في يومياته ومعاناته في صراعه مع الاستعمار الفرنسي.

1- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص148.

2 - عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص161.

3- نعمات أحمد فؤاد: المرجع السابق، ص94.

ويقول بعد أن اندلعت الثورة التحريرية: إننا « رأينا الكتاب يبحثون عن الموضوعات الجديدة، مثل الحديث عن الاغتراب وعن الهجرة إلى أوربا والى فرنسا بالذات ثم الاهتمام بتأثير الحرب وأهوالها في حياة الناس كما اهتم الكتاب بالجيل الذي أدى دوراً بارزاً في النضال القومي »[1]، حاملين رسالتهم ومسمعين صوتهم الذي كان مكتوماً ومكبوتاً طوال سنين الاستعمار الفرنسي، فقد أثّرت الثورة الجزائرية اشد التأثير في الكتاب من حيث الدافع والمواضيع والأهداف، « ومن أجل ذلك نلفي ظل هذه الثورة لا يكاد يزايل كاتباً من الكتاب الجزائريين فمنهم من يؤثر فيه أشد التأثير ومنهم من يؤثر فيه تأثيراً عابراً ولكنه ثابت ملموس»[2]، فصارت مقاومة الاستعمار من أهم المواضيع التي تناولتها القصة الجزائرية، وتسابق الكتاب في تصوير هذه المقاومة وتشجيعها في قصصهم وشخصياتها وأحداثها.

وها هو ركيبي يقدم مجموعات قصصية لكتاب تلك الفترة بعد أن اختارها بعناية لتصب في اتجاه واحد، حيث إن هذا الاختيار لا يعني عدم وجود أعمال قصصية تتحدث عن قضايا اجتماعية أخرى أو حتى قصص مغامرات وقصص حب أسطورية أو غيرها، وهذا ما أشار إليه ركيبي من جهة أخرى حين وجد « مجموعات قصصية كاملة معظمها طبع في الجزائر، ومجموعات صَورت في كاملها أو في معظمها واقع الثورة وتجارب النضال تصويراً صادقاً واكب مراحل الثورة وعبّر عن أهدافها»[3]، وهذا ما جعل الأدب الجزائري في هذه المرحلة يتميز بصفة المقاومة، « والمتتبع للأدب الجزائري الحديث يعرف أنه أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، والثورة ضد الاستغلال، والثورة في مرحلة

1 – عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص160.

2– عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007، ص 41.

3– عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص150.

البناء والتحول الاجتماعي، وهذا يعني أنه لم يكن أدباً محايداً أمام واقعه، بل عمل على تغيير الواقع من خلال التزامه بقضاياه، (...) فإن الرواية الجزائرية استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري إبان الثورة الجزائرية المسلحة، وأثناءها، وفي زمن الاستقلال»[1]، ورغم أن هذا الأدب لم يكن يلقى الصدى الكافي في العالم إلا أنه قام بدوره كما يجب، « وفي ذلك الوقت الذي كان فيه الأدب العربي في الجزائر يؤدي دوره الهام في المقاومة حين التحم نضال القلم بنضال المدفع، لم يكن صوت هذا الأدب_ والنثر منه على وجه الخصوص_ مسموعاً في أقطار المشرق العربي بل كان الصدى الوحيد الذي يتردد هو صدى كتابات الأدباء الجزائريين باللغة الفرنسية من خلال الترجمة لأعمالهم»[2]، إلى اللغة العربية ليُسمع صوتهم في العالم العربي والجزائر.

وفي هذا الصدد لا ننسى ما قدمه ركيبي من مجموعات قصصية على الرغم من قلتها إلا أنها كانت شاهدة على عصرها، فكانت نقلاً حياً له، حيث نلحظ بأنه « قصر همه في القصة القصيرة على معالجة موضوعات الحرب التحريرية، وتصوير حياة المجاهدين في الجبال، ومعاركهم الكثيرة مع الجيش الفرنسي، وقد حدد في مقدمة مجموعته القصصية (نفوس ثائرة) رسالة قصصه بأنها إنسانية صميمية تصف الدواء وتقدم العلاج في الوقت نفسه، رسالة تفتح العيون لتطل على عالم الخير والحق والجمال، وتبعث الأمل والحياة في نفوس عذبها الألم، وأفناها الشقاء وقتلها اليأس»[3]، إضافة إلى كتابه (ذكريات من الثورة الجزائرية)، الذي سجل فيه أحداثاً مهمة من تاريخ الثورة الجزائرية، وقد أخرجه ركيبي في أسلوب أدبي يميل إلى فن السيرة، إذ لم

1- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، ط1996،1، ص86.

2- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص168.

3- شريبط أحمد شريبط: تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص114.

يكن يجد تصنيفاً لهذا العمل، ففي قوله: « والحقيقة أنني وقفت حائراً أمام الأسلوب الذي يمكن أن تكتب به هذه الذكريات والشكل الذي يمكن أن أستخدمه في نقل هذه الأفكار أو الوقائع أو المشاهدات التي قد يعيشها الكاتب أو الفرد أثناء الحرب فتكون مذكرات أو مفكرات»[1]، والمهم في هذه الذكريات أن ركيبي استطاع أن يسجل جانباً مهماً من تاريخ الثورة الجزائرية وبأسلوب أدبي جيد.

ومن خلال هذه الأعمال الإبداعية التي قدمها ركيبي كتجربة رائدة في القصة القصيرة، نجده يحمّلها وعيه الفكري والأدبي، وهذا دليل « على وعي فني كبير، فإثر كتاباته حققت القصة الجزائرية القصيرة تطوراً كبيراً سواء من حيث تنوع أشكالها أو من حيث وعيها بالواقع الجزائري الجديد، فقد عبرت عن الحياة الواقعية وعن تطلعات الفئات الدنيا وآمالها، وهي رغم بساطة وضعها الاجتماعي، وإحساسها ببؤس وضعها، وحقارة حياتها في ظل المحتل وأعوانه الإقطاعيين والخونة.. فإنها لا تخلو من وطنية فطرية صادقة، ترى في الجبل حياة جديدة، تحقق آمالها وتطلعاتها وتطور نظرتها للحياة، بحيث تمحي الشخصية الفردية، وتنصهر في الشخصية الجماعية »[2]، وهذا ما ميز كل التجارب القصصية التي قدمها ركيبي في فترة معينة من تاريخ الجزائر، حيث كانت تحمل بصدق ما تحمله نفوس الجزائريين الثائرة التي تهفو إلى المقاومة وتحقيق استقلال الجزائر، ولأنها كانت صورة صادقة، كانت هي القصة الجزائرية الحقيقية.

ث- القصة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

أما ما كتب باللغة الفرنسية، فعبد الله ركيبي ينحاز إلى الرأي الذي يقول بجزائرية هذه الأعمال من حيث مضامينها والقضايا التي تناولتها، وباعتبار أنها كانت

1- عبد الله ركيبي: ذكريات من الثورة الجزائرية، ص07-08.

2- شريبط أحمد شريبط: المرجع السابق، ص114.

وسيلة مقاومة بكشف المستعمر وتعريته أمام شعبه وأمام العلم أجمع، فهي تتحدث عن الواقع الجزائري وهمومه، فابن الفقير جزائري وهمومه جزائرية، ونجمة ابنة الجزائري وقبيلتها جزائرية، كما كانت زهرة زوجة المنجمي جزائرية، و« يبقى الأدب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أداة للتعبير، وقد سبق لي أن ناقشت هذا الموضوع في مناسبات مختلفة عندما أثيرت قضية هذا الأدب وعندما رفضه البعض وقلت أنه أدب قومي قام بدور في مرحلة معينة بروح ومضمون جزائري »[1]، ورغم هذا الاعتراف بجزائرية هذا الأدب إلا أن ركيبي يقلل من فاعليته ويدعو كتابه إلى العودة إلى اللغة العربية التي هي أقرب إلى المجتمع الجزائري.

وفي هذا ذهب ركيبي إلى أبعد من ذلك حين دعا الكتاب الجزائريين إلى العودة إلى لغتهم الأم التي فارقوها مرغمين، وعلى هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية « إذا أراد أن يستمر دوره وتستمر رسالته أن يعود إلى أحضان اللغة العربية الأم..إلى العربية..على الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية تحت ضغط القهر الاستعماري أن يدرسوا ويتعلموا الآن لغتهم القومية التي تحمل خصائصهم الروحية والفكرية والعاطفية وتعبر عن هذه كلها وهي قادرة على أن تعطيهم الأداة التي يحتاج إليها الأدب الجزائري حاضراً ومستقبلاً»[2]، وفي قوله: « أقول إن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وإن وجدنا فيه بعض القيم التي تباشر بالثورة وتدعو إليها في غير صراحة أحياناً أخرى إلا أن هذا الأدب بالنسبة لنا بقي محصوراً في دائرة ضيقة لم تتعدَّ أفرادا قليلين، ذلك أن الشعب الذي وجهت إليه هذه الكتابات وهذه الأعمال الأدبية كان يجهل اللغة التي كتب بها»[3] نلحظ بأن ركيبي في هذا الرأي ينكر على الأدب الجزائري

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص129.

2 - عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص129.

3- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص129-130.

المكتوب باللغة الفرنسية دعوته إلى الثورة إلا ما ندر منه، ولا يكاد يعترف له بالقيم التي حملتها كتابات رواد الرواية الجزائرية باللسان الفرنسي، وهذا ليس غريباً على ناقد متشبع بالقومية العربية والتحيز للغة العربية مثل ركيبي.

كما نجده في حديث آخر يؤكد على أن هذا الأدب من الأدب الجزائري على الرغم من لغته الأجنبية، وهذه الأعمال في معظمها كانت في الرواية والتي كانت على حسب رأيه أكثر نضجاً وطغياناً، خاصة ما كتبه محمد ديب وكاتب ياسين وأمثالهم، حيث « عبّرت بصدق وانفعال عن واقع الثورة ونضال الشعب وقدمت لنا نماذج إنسانية في مواقف مختلفة وعكست نظرتهم إلى الحياة من خلال الثورة، وصورت ظلم الاستعمار وسيطرته»[1]، ورغم إشادته بهذه الأعمال التي صورت كفاح هذا الشعب، إلا أنه يرى بأن المقاومة الفعلية قد أبرزتها تلك الأعمال الأدبية التي تمثل القومية العربية بلغتها العربية الفصحى.

إلا أن ركيبي يعترف بما كتب باللغة الفرنسية في مرحلة ما من تاريخ الأدب الجزائري بوصفه أدباً وطنياً أدى الدور المهم والفعّال، لكنه لم يكن وحده في الساحة الأدبية الجزائرية، وفي تلك الفترة كان « الأدب العربي في الجزائر يلعب دوره الهام في المقاومة حين التحم نضال القلم بنضال المدفع»[2]، إذاً فإن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كأعمال (محمد ديب) و(كاتب ياسين) و(مولود فرعون) « لم يكن وحده في الميدان بل كان هناك سيل فياض من أدب المقاومة –شعراً ونثراً– باللغة الأم العربية الفصحى»[3]، ورغم أن ركيبي كان متحيزاً إلى الأعمال المكتوبة باللغة العربية

1 – عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص152.

2 – عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص168.

3 – عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص168.

بعدّها أصل الثقافة العربية الإسلامية، إلا أنه لم ينف عن بقية النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية جزائريتها مركزاً على اتجاهها الثوري المقاوم.

وما نلحظه في حديثه عن الشاعر الجزائري (مالك حداد)، أنه يركز في بداية حديثه عنه على ارتباطه باللغة العربية رغم أنه لم يكتب بها، وكأن ركيبي يريد أن ينقل لنا أحاسيس الشاعر البائسة بسبب عدم قدرته على التعبير بلغته الأم، حيث يرى ركيبي أن « الشاعر الجزائري مالك حداد، هو(...) من القلائل الذين انشدوا للعربية وتغنوا بها وبالجزائر إبان مرحلة الكفاح التحريري..هو خير من تغنى بالعربية وإن لم يعبر بها..إن التغني بالعربية هو الإلحاح الدائم الذي يبرز في شعره كله»[1]، وحتى في تحليله لقصائد مالك حداد نجد ركيبي يسوق لنا نماذج من شعره تعبر عن سخطه وغضبه من مصيره المحتوم للتعبير باللغة الفرنسية التي يعدها منفاه، والحرب المعلنة مع لغة الاستعمار.

لقد حاول ركيبي من خلال دراسته للنثر الجزائري عامة، والقصة خاصة، تتبع الاتجاه العام للقصة الجزائرية، كما حاول حصر اتجاهاتها ومدارسها الأدبية، المتأثرة بمناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع الجزائري في فترات مختلفة، والملاحظ في دراساته هذه هو تركيزه على القصص ذات الطابع الاجتماعي لما لهما من دور في الإصلاح الاجتماعي واستنهاض الهمم، والدفاع عن القيم الاجتماعية الأصيلة، والإسهام في بلورة الوعي الجمعي للشعب بالقضايا الوطنية والحقوق العامة، من أجل انطلاقة جديدة تعيد للشعب كرامته وحقوقه المشروعة، وبهذا فـــ« إن تاريخ القصة الجزائرية القصيرة سواء الفرنسية أو العربية لا يزال ناقصاً لم يكتمل، فالموضوع لم يدرس بعد بالقدر الكافي، لا سيما وأن الكتابات مبعثرة وهذا النوع الأدبي لا زال فنياً وأن الاهتمام به مازال حديثاً إضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الكتاب

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص09.

لم ينتجوا العدد الكافي من القصص بالقدر الذي يمكن الباحث باقتفاء مدى تطورهم وبتحديد اتجاههم، وفي غمرة هذه الصعوبات يعد كتاب عبد الله ركيبي القصة القصيرة، مرجعاً بالغ الأهمية وهو رائد في هذا المجال لاسيما فيما يتعلق بالقصة القصيرة العربية التي يوليها أهمية اكبر من دراسته للقصة القصيرة الفرنسية»[1]، ورغم كونه ليس المرجع الوحيد في القصة القصيرة إلا أنه من أهم المراجع التي تناولت هذا الموضوع.

ج- البطل المقاوم في القصة الجزائرية:

بعد الذي مرت به القصة الجزائرية من تطورات، وما شهدته القصة في حد ذاتها من تدني في مستواها الفني، وبعد أن شهدت مرحلة الثورة تأثرت بها، حيث « إن الثورة كانت من أقوى عوامل تطور القصة وازدهارها، وخروجها من دائرة المألوف والمتشابه والموضوعات الجاهزة إلى دنيا فسيحة رحبة يبدو الإنسان كما هو على حقيقته، وقد وجد الكتاب فيها المنبع الخصب الذي يغترفون منه فاستمدوا منها (أبطالهم)، من دنيا الواقع وسط الدم واللهيب، فهم أناس بسطاء عاديون لكنهم عرفوا الطريق إلى الحرية»[2]، ليتغير البطل من ذلك الموقع الذي يدور في حلقته المفرغة بين الأدوار الساذجة إلى الأدوار الفاعلة، والمشاركة في بناء الحياة الجديدة في واقع جديد يتسم بروح جديدة بدأت تسري في روح الشعب وروح الكتاب لينعكس ذلك على شخصيات أعمالهم وأبطالها.

إذا كان البطل في العمل الأدبي هو أحد العناصر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها، فإن ركيبي كذلك يجعل منه ذلك المحرك الرئيس للأحداث والمتفاعل

1- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص17.

2- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص167-168.

معها، وهو ذلك « النموذج الإنساني.. الذي يحب ويكره.. يتألم ويشتاق ويحقد.. يضحي بنفسه من أجل هدف أكبر آمن به ومن أجل أن تختفي الغربان السوداء التي شوهت وجه الحياة»[1]، فبعد تطور الوعي الاجتماعي وتطور الكتابة القصصية التي أولت اهتماماً آخر بشخصية البطل « كان هذا منعطفاً جديداً في شخصية (البطل) القصصي الذي هبط من فوق منبر الوعظ والخطابية، ليصبح إنساناً له مشاعره ومخاوفه وآماله، إنسانا تتصارع في نفسه شتى المشاعر من كره وحب وخوف وخجل وفرح وحزن وغير ذلك»[2]، إنساناً فاعلاً بشخصيته ووجوده بوصفه عنصراً أساسياً، يقاوم كل الظروف ويقاوم الواقع المر، وليس ذلك الذي يكمل الأحداث ويقدم الدرس الجاهز بناء على معطيات جاهزة دون شعور أو إحساس.

ومن الملاحظ فإن ركيبي لم يغفل عن اتجاه الكتابة القصصية، وظهور البطل في هذه الاتجاهات، فقد صنف نوعين أو اتجاهين من القصص؛ « الأول هو الاتجاه الرومانسي الهادئ كما رأينا لدى حوحو والثاني هو الاتجاه الرومانسي العنيف الصاخب الذي يبدو فيه (البطل) متمرداً ساخطاً على الحياة من حوله، وهو ليس في معظم الأحيان السخط الايجابي الذي يدفعه إلى تغيير واقعه، بل هو سخط الاحتجاج فحسب»[3]، ومن هنا وبتعدد صور هذا البطل في الأدب الجزائري عامة وفي القصة خاصة نجد ركيبي

يصنفه في أصناف عدة:[4]

1- شخصية البطل النمطية: وهي الشخصية الثابتة التي لا تتغير ولا تتطور، والتي يرى ركيبي أنها لا تتفاعل مع الأحداث مما يفقدها عنصر الصراع والحركة، وهذا

1- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص168.

2- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص174.

3- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص174.

4- ينظر: حميدات مسكجوب: المرجع السابق، ص76.

يعني أن البطل النمطي في القصة هو من تبقى ذاته غائبة، وتكون تعابيره وأقواله وأفعاله خارجة عن إرادته، بحيث لا تتفاعل معه أثناء قراءتنا القصة، فنجد كل أقواله ملفقة، واستجلى عبد الله ركيبي هذه الشخصية النمطية من الصورة القصصية "عائشة" للزاهري، كما لاحظ أن معظم الكتاب الذين كتبوا في الصورة القصصية وضعوا أفكارهم وعباراتهم التي أرادوا تبليغها على لسان البطل الإنساني فأصبح بذلك مجرد وسيلة ترديد لها.

2- شخصية البطل الثابتة: وهذه الشخصية تحمل وجهين وتبقى على سلبيتها، كما أنها تمثيل لظاهرة من الظواهر الاجتماعية، وهذا ما نجده في شخصية " الشيخ زروق" في المجموعة القصصية "نماذج بشرية" لأحمد رضا حوحو، حيث يرى ركيبي أنها توضح جوانب نفسية البطل الماكرة المنافقة والمتاجرة بالدين، لتبقى هذه الشخصية البطلة سلبية حتى نهاية القصة.

3- شخصية البطل الايجابي: أما هذا البطل فهو ذلك الذي يحدث تغييراً إيجابياً في الواقع، وهذه النظرة تحمل في طياتها اتجاهاً إنسانياً ارتسم على سطور مقالاته من قبل، ونلاحظ الآن من خلال تتبعه لشخصية البطل؛ إذ يحكم على البطل من خلال درجة ارتباطه بقضية وطنه.

فركيبي هنا يبحث عن ذلك البطل الايجابي الذي يستمد ايجابيته من القضايا المصيرية التي يدور في فلكها ويسهم في نضجها، من خلال مشاركته في مسيرة النضال والمقاومة والثورة التي اكتسحت كل المضامين القصصية.

4- شخصية البطل السلبي: وسلبيته تتمثل كما يرى ركيبي في عدم تفاعله مع الأحداث، كما أنه لا يتخذ موقفاً واضحا من الأوضاع المزرية التي يعيشها، ويضرب ركيبي لذلك مثلاً من قصة " الفجر الجديد" لأبي العيد دودو، وذلك البطل الموظف السلبي الهادئ غير المتفاعل مع ما حوله من أحداث.

ولكي يصل الباحث إلى تحديد ولادة هذا الفن وتتبع تطوره، لابد له من البحث والتنقيب في كل ما ورد في الكتب والمجلات والمنشورات، ولا يكون متسرعاً في إصدار أحكامه، وأن يكون ملماً إلماماً كاملا بكل التفاصيل، وبكل الفوارق التي تميز عناصر نشأة القصة القصيرة من مفاهيم فنية تحدد بداياتها مع المقالة القصصية والصورة القصصية وصولا إلى القصة الفنية[1]، القصة التي صورت وتطورت بتطور كل تفاصيل الحياة الاجتماعية في الجزائر، فكانت رمزاً للنضال والمقاومة في تطورها وفي تطور مواضيعها و وعي كتابها، ونمو أبطالها.

وإذا كانت الجزائر حافلة بنضالها ومقاومتها عبر التاريخ، فإن القصة القصيرة الجزائرية مازالت إلى الآن تحمل إلينا صدى النضال فخراً واعتزازاً، وتجعلنا نشم رائحة البارود في جبال الأوراس، ونسمع أزيز الرصاص في حي القصبة، لتعرض لنا ما عزمت عليه إرادة الشخصية الجزائرية، « والمتتبع للأدب الجزائري الحديث يعرف أنه أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، والثورة ضد الاستغلال، والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي، وهذا يعني أنه لم يكن أدباً محايداً أمام واقعه، بل عمل على تغيير الواقع من خلال التزامه بقضاياه»[2] الوطنية المصيرية، وقضايا أمته العربية الإسلامية، كاهتمامه بالقضايا الإنسانية جمعاء.

وليس تتوقف مسيرة الأدب الجزائري هنا فقط، بل مسيرته مستمرة، ولما كان ركيبي قد أعطى لفترة الثورة أهمية بالغة في توجيه الأدب والأديب، لم ينس المقاومة المنتظرة منه بعد الاستقلال، « ذلك أن ظروف حرب التحرير كانت لها معطيات خاصة قد تفرض علينا نوعاً من السرعة فيما نطلق من أحكام وفيما ننتج من أدب

1- ينظر: حميدات مسكجوب: المرجع السابق، ص36.

2- أحمد دوغان: المرجع السابق، ص 86.

وغيره، بينما ظروفنا الحالية تتيح لنا أن ننظر للواقع بمنظار هادئ و واقعي في هذه المرحلة التي نبني فيها مجتمعاً جديداً يبحث عن مكانه بين الآخرين»[1]، هذا المجتمع المتطور والمتجدد في حاجياته والباحث عن غدٍ جديد يهدف إلى مرحلة البناء والتجديد، « وهذه الأهداف والغايات تتطلب أدباً جديداً يعكسها في إخلاص ويصورها في صدق ويعبر عنها في أمانة ووضوح، و إذن فواجب الأديب هو أن يرتبط بالجماهير وبمشاكلها وبمستقبلها وبالواقع الذي تعيشه»[2]، والدعوة هنا إلى المضي قدماً بالأدب والمجتمع، لا البقاء في الماضي بالتغني بالأمجاد والبطولات، ولا البقاء في العالم المثالي البعيد عن الواقع وعن الجماهير.

كل هذا قد دعا إليه ركيبي في قوله: « وفي تقديري أنه لكي يصبح الأدب ثورياً جديداً- بالإضافة إلى ما سبق- لا بدّ أن يكون ملتزماً، أي مرتبطاً بالإنسان، بمصالحه وأشواقه وحياته، ولا بد أن يكون اشتراكياً أي يؤمن بهذا الإنسان ومطالبه الروحية والمادية ويعبر عن حاجياته ويغوص في أعماقه..يتجه إلى الإنسان في الريف..في البادية..في المصنع..في القرية..في المدينة(...) يتجه إلى الفرد العادي لا إلى البطولات الخارقة والطبقات الممتازة»[3]، هذا التأثر الواضح بالفكر الاشتراكي وفي هذه المرحلة التي كتب فيها ركيبي هذا النص كان بديهياً بالنسبة إلى مرحلة ما بعد الاستقلال وتشبعه بهذه الأفكار وهذا التوجه.

1- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص132.

2 - عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص132.

3 - عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، ص132-133.

وخلاصة لهذا الفصل الذي خصصناه لتجليات ومظاهر المقاومة في الخطاب النقدي، وهذا من خلال تتبع ركيبي لصورها في كثير من الأعمال الأدبية، لكن قبل هذا أردنا فهم منهجه النقدي الذي وظفه في عملية الكشف عن أشكال المقاومة.

وبما أن كل عمل نقدي يتبع منهجاً ينظم مساره، ولكل ناقد منهجه في عملية البحث والكشف عن محمولات النص وعن مواطن القبح والجمال فيه، وعن المكشوف الظاهر في النصوص والمخفي فيها، فالمنهج وسيلة الدارس الباحث وآلته المختارة في تناول أي عمل.

هذا ما جعلنا نبحث في منهج عبد الله ركيبي النقدي، ولأنه من الجيل الأول الذي قدم دراسات كثيرة ومهمة في النقد الجزائري وفي المنهج النقدي، حيث لاحظنا أنه أحاطه باهتمام بالغ في أغلب بحوثه ودراساته، كما لاحظنا أنه دائم التذكير بفائدة وأهمية المنهج في النقد الأدبي، وهذا ما جعله يدعو الناقد بأن يستفيد من تلك الأعمال الإبداعية الفنية التي يتناولها موضوعاً لدراسته، وهذا بالإحاطة بحيثيات هذا العمل بداية من المؤلف وحياته ثم محيطه وبيئته، ليتمكن الناقد من ممارسة عملية نقدية ملائمة للإبداع، ونجد هذا في دعوته إلى إنشاء منهج متأمل في النقد الجزائري يأخذ حاجته من كل العلوم وخاصة الإنسانية منها، مع مراعاة خصوصية النص الذي بين يديه، وفي علاقته بصاحبه ومحيطه، دون التأثر بالعوامل الشخصية الذاتية، كالأهواء والأحكام العامة المسبقة، ويركز ركيبي على... إحساس الأديب في هذا النص وما

يعكسه من شعور وما يوحي به من أفكار ومبادئ وقيم أخلاقية وإنسانية، وما يدعو له من قضايا تفيد الإنسان وتعكس أهدافه ورغباته ومطامحه.

أما ما يتعلق بمنهج الناقد عبد الله ركيبي فهو يوضح هذا المنهج الذي يعتمده، والذي حاول أن يجمع فيه بين المنهج النقدي والمنهج التاريخي، وحين اعتمد ركيبي المنهج التاريخي أراد التأكيد على أن هذا المنهج ما هو إلا ممارسة تفرضها العملية النقدية مؤقتا، واعتماده على هذا المنهج إنما جاء لأسباب موضوعية، وهو لا يعده مسلمة لا بديل عنها، وإنما بالإمكان التخلي عنه، أو المزاوجة بين أكثر من منهجين كالمنهج الاجتماعي والمنهج الجمالي عند التطرق إلى الجانب الاجتماعي وعلاقته بحياة المبدع، ورؤيته لهذا المجتمع بوصفه عنصراً فيه.

ورغم أن ركيبي يعترف بإسرافه في تطبيق المنهج التاريخي والغرق فيه في مرحلة سابقة من تاريخه، إلا أنه يعد هذا الاعتماد على المنهج التاريخي في كثير من الأعمال هدفه تتبع التطورات ورصد المراحل التاريخية شرط عدم الانغماس والمبالغة التي تفقد النص مهمته في البحث عن المراحل التاريخية الموضوعية وتفقده قيمته الفنية.

وفي تناوله الشعر الجزائري نجد محاولاته الدائمة لإبراز الفعل المقاوم في مضامين الأعمال التي تناولها في دراساته النقدية، هذا لأن ركيبي يؤمن بمهمة الأدب المقاوِمة والمرافقة للشعوب، فهو يرى بأن الأدب الثوري هو ما يعبّر عن المستقبل غير مرتبط بظرف محدد، فقد كان بالأمس وكائن اليوم ويكون غداً، لذا فقد سعى ركيبي إلى البحث في الموروث الشعري الجزائري وفي مراحل تطوره، وتعدد أغراضه والتحولات التي شهدها في انتقاله ومن مرحلة إلى أخرى، ويرى في كثير من الشعر الجزائري بداية أنه نسخة مكررة للشعر العربي القديم، متأثر بالقصيدة العربية

شكلاً ومضموناً، وأول مرحلة ينطلق منها في دراساته، هو شعر الانطواء الذي تدهور فيه الشعر الجزائري، إلا أن مضامينه التي يؤكد على سمتها الرافض للواقع تبدو انهزاميتها استسلامية، ثم إلى الشعر الديني والإصلاحي الذي عده خطوة إلى الأمام وقاعدة صلبة استطاعت أن تبشر بغدٍ جديد، وصولاً إلى شعر الجيل الجديد وما حمله إلى الشعر الجزائري من مواضيع ومعانٍ جديدة، لذا فقد كان ركيبي دائم البحث عن أهم الأعمال الشعرية التي تميزت في مضامينها بشيء من الوعي بارتباط الشاعر الجزائري بشخصيته ودينه و وطنه.

أما ما شغل بال الشاعر الجزائري خارج حدود وطنه فهي تلك القضايا العربية المصيرية، والمتتبع لإعمال ركيبي النقدية، يلحظ أن جلها تبحث في ذلك الارتباط الشديد بأهم القضايا المصيرية والعادلة في الجزائر والعالم العربي، ويرى أن هذا نتيجة لارتباط الأدب الجزائري بالفكر العربي والعالمي وخروجه من دائرة المحلية إلى العالمية، فكانت قضية العروبة والوحدة في الشعر الجزائري من أهم القضايا المستحدثة في الشعر العربي، إضافة إلى القضية الفلسطينية بعدّها قضية الأمة العربية جمعاء، وقضية الشاعر الجزائري الذي عده ركيبي أكثر إحساساً من بقية الشعب بما يدور في وطنه الكبير، ليجعل من إحساسه هذا وسيلة لمشاركة الأمة العربية في ما تعانيه داعياً إلى الوحدة العربية، مقاوما جنباً إلى جنب مع الأشقاء العرب.

وأهم هذه القضايا التي شغلت الأديب الجزائري، وألهمت الشعراء وحركت أحاسيسهم كما حركت أقلامهم هي القضية الفلسطينية، والمقاومة الباسلة للشعب الفلسطيني، فكان الأدب الجزائري قريباً جداً قُرب الشعب كافة من هذه القضية، ومتابعاً لحركة المقاومة ومسانداً لها، ليرفع صوت الحق منادياً بكل ما يملك من صوت بالحرية رغم النكسات والهزائم المتتالية التي عرفتها الأمة العربية، لذا فإن ركيبي وكما لاحظنا

فإنه قد خصص جانباً مهماً من دراساته للبحث في قضايا الشعر الجزائري وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وكثيراً ما نجده يركز دراساته على البحث والإشادة بمن ناضل وقاوم مع الشعب الفلسطيني من أبناء الأمة العربية بمن فيهم كتاب الجزائر وشعراؤها

كما أن قضية الوحدة العربية قضية مهمة شغلت الأدباء والمثقفين عبر عدة أجيال منذ القدم، تقترب من التحقق وتبتعد، كما كان الأدباء منذ مطلع القرن ومنذ بداية النهضة الحديثة يعبرون عن انتمائهم للشرق العربي وإحساسهم بهذا الانتماء في كل مناسبة، شعراً ونثراً، وركيبي من بين أهم الذين آمنوا بقضايا وطنهم العربي الكبير، وبوحدة كفاح شعوبه ومقاوماتهم المشتركة، لذا فإننا نجده دائم التأكيد على مبدأ المقاومة الشاملة.

من أهم القضايا التي ارتبطت عند ركيبي بوحدة الوطن والأمة العربية وبمقاومة محاولات التغريب والطمس التي سعى إليها الاستعمار الفرنسي وكاد يفلح في مسعاه، قضية اللغة العربية والعمل المستمر بكل الوسائل لحمايتها، وهذا ما بذله شعراء الجزائر وكتابها ومصلحوها ومفكروها من جهود جبارة للدفاع عن هذه اللغة وما البيت القائل:(شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب) إلا دليل على ارتباط هذا الشعب بجذوره العربية، وإثبات هذا الانتماء عند الأدباء واضح، وفي ارتباط اللغة العربية بالقومية والوحدة العربية يرى ركيبي أن الحديث عن القومية هو كذلك حديث عن اللغة لأنها هي التي تصبغ القومية بصبغتها وتسهم في تحديد طابعها الذي يميزها، ودليله في ذلك ربط الشعراء بين اللغة والقومية.

أما في موضوع الشعر الجزائري الجديد فإننا نجد ركيبي يربط تطور هذا الشعر بأسباب كثيرة، منها تأثره بالشعر الجديد في المشرق العربي ثم الاطلاع على الأدب

الغربي وما يحمله من قضايا جديدة، إضافة إلى سبب آخر وهو ربط هذا التطور وهذا الشكل الجديد من الشعر الجزائري بالثورة على تقاليد الكتابة القديمة، وهيكل القصيدة العربية القديمة غير القادرة على حمل هموم الزمن الجديد، والتي لم تعد تخدم تطلعات الشباب الثائر كذلك، وهذا ما دفع شعراء الجيل الجديد إلى التطلع إلى التحرر من تلك القيود القديمة، وهذا ما جعل ركيبي يؤكد على أن الشعر الجزائري الجديد يحمل فكر المقاومة في كل صورها، وفي بحثه في موضوع هذا الشعر، نجده يربط ظهوره بفكر النضال الجديد وروح المقاومة التي عرفها الشعراء الشباب المتأثرون بالنزعة الثورية في فترة الثورة الجزائرية.

وبالانتقال إلى موضوع النثر الجزائري يتناول ركيبي القصة القصيرة الجزائرية بتتبع أشكالها الأولى، والبحث في أسباب تأخر ظهورها ومراحل تطورها، وأهم ما كان يؤكده هو خصوصية هذه القصة بصفة المقاومة والكفاح، لأنه يرى بأنها هي المعبرة عن مدى الالتزام الشخصي لرجال ملتزمين بالتضامن في الكفاح المشترك داخل مجتمع مستعمَر، ومن خلال دراساته النقدية نلحظ أنه قد صنّف القصة الجزائرية إلى أشكال تختلف حسب مراحل تطور هذا الفن، فكان المقال القصصي ثم الصورة القصصية، ثم القصة القصيرة باللغة العربية وأخرى باللغة الفرنسية، كما أن ركيبي يرد تطور القصة القصيرة إلى أسباب تتعلق بالثورة والنضال وكأنه يريد أن يجعل من ثورة نوفمبر ونتائجها المحرك الوحيد الذي يدفع بالكتاب الشباب للكتابة والإبداع.

أما ما كتب باللغة الفرنسية من أدب، فركيبي كما لاحظنا ينحاز إلى الرأي الذي يقول بجزائرية هذه الأعمال، لأنه يهتم بمضامينها والقضايا التي تناولتها، وبعدّ أنها كانت وسيلة مقاومة بكشف المستعمر وتعريته أمام شعبه وأمام العلم أجمع بلغته، فهي تتحدث عن الواقع الجزائري وهمومه، وفي هذا أراد ركيبي من الكتاب الجزائريين

العودة إلى لغتهم الأم التي فارقوها مرغمين، كما رأى أن هذا الأدب الجزائري الأصل والمكتوب باللغة الفرنسية يجب أن يعود إلى أحضان اللغة العربية الأم إذا أراد أن يستمر دوره وتستمر رسالته وعلى الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية مرغمين لفقدانهم اللغة الأم بسبب ضغط القهر الاستعماري أن يتداركوا ما فاتهم من لغتهم القومية التي تحمل ثقافتهم ومبادئهم وخصائصهم الروحية والفكرية وكل مشاعرهم.

وفي الأخير وبالحديث عن أهم العناصر المكونة للنص الأدبي، فإننا نجد ركيبي يركز على البطل في مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر الأدبي، وبهذا فمن الملاحظ أنه يجعل من هذا البطل أحد أهم العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها، فإن ركيبي كذلك يجعل منه ذلك المحرك الرئيس للأحداث والمتفاعل معها، وهو ذلك النموذج الإنساني الذي يحب ويكره يتألم ويشتاق ويحقد، يضحي بنفسه من أجل هدف أكبر آمن به ومن أجل أن تختفي الغربان السوداء التي شوهت وجه الحياة، ليمثل رمز المقاوم والثائر في كل أدواره وتمثلاته.

الفصل الرابع: قضايا الأدب الجزائري عند عبد الله ركيبي

أ- قضية المقاومة الفلسطينية

ب- قضية الوحدة والعروبة

ت- قضية اللغة العربية والتعريب

ث- قضية الشعر الجديد

ج- قضايا سياسية وإنسانية

خلاصة

- قضايا الأدب الجزائري:

الملاحظ في أعمال ركيبي النقدية، أن جل هذه الأعمال دائمة الارتباط بأهم القضايا المصيرية والعادلة في الجزائر أولاً، والعالم العربي ثانياً والعالم بأسره ثالثاً، وهذا نتيجة لارتباط الأدب الجزائري بالفكر العربي، والعالمي وخروجه من دائرة المحلية إلى العالمية، كما أن ركيبي يتوجه دائماً إلى البحث عن الامتداد الثقافي الجزائري في الأمة العربية والإسلامية من جهة، وفي القارة الإفريقية من جهة أخرى، والباحث في رصيده النقدي يجد أنه أثرى المكتبة العربية والجزائرية بعدة مؤلفات نقدية مهمة، ومقالات ومحاضرات تبحث في أهم القضايا الإنسانية والاجتماعية والوطنية، المرتبطة بالمصير والهوية والمقاومة والثورة لدى كل الشعوب المضطهدة.

ومن أهم مؤلفاته النقدية في هذا الموضوع كتابه (قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر) حيث تناول ركيبي في هذا الكتاب عدة قضايا، على الصعيد المحلي والقاري، والعربي والعالمي، وفيه بحث عن ارتباط الشاعر الجزائري بكل هموم الوطن العربي، وتحدث عن أهم قضاياه الوطنية والقومية، رغم ما كان يعانيه الشعب الجزائري من حصار مادي ومعنوي في وطنه، و« قد واكب الشاعر الحركات السياسية والإصلاحية وناقش موضوعات كثيرة كانت محل أخذ ورد بين الكتاب والأدباء، تحدث عن الفرنسة والاندماج ورفضهما في قوة (...) وأشاد بكفاح الشعب وبثوراته ونضاله التاريخي المستمر»[1]، كما تناول ركيبي في هذا الكتاب قضية العروبة والوحدة العربية في الشعر الجزائري والتي عدّها نقطة تجديد في الشعر الجزائري، إضافة إلى قضية فلسطين بعدّها قضية الأمة العربية والإسلامية جمعاء.

فالشاعر هنا كما يرى ركيبي قد شارك في كل محن وطنه، وهذا ما جعله أكثر إحساساً بما يدور في وطنه الكبير، ليشارك كذلك الأمة العربية في ما تعانيه داعياً إلى الوحدة العربية، مقاوماً جنباً إلى جنب مع الأشقاء العرب، فالشاعر الجزائري

1- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 20-21.

« لم ينس – رغم المحن والآلام التي مرّت به وبوطنه – عروبته ولا قضايا وطنه الكبير»[1]، في دليل على الارتباط بشخصيته الحقيقية من جهة، والتعبير عن إحساسه بمعاناة الشعوب الأخرى من جهة أخرى، فكان صوته إلى جانب الأصوات الداعية إلى الحرية في كل المحافل، وفي هذا الكتاب حاول ركيبي « أن يكشف عن جانب من الشعر الجزائري الحديث، ويبرز ما في هذا الشعر من قضايا عربية عالجها الشعراء الجزائريون، سرد المؤلف المقطوعات الشعرية، وأعطى عنها خلاصة دون أن يحللها وينتقدها، وفي الفصل الرابع درس الخصائص الفنية لهذا الشعر وحاول أن يحدد مفهوم القصيدة التقليدية، إن هذه المحاولة النقدية مفيدة وإن كان ينقصها العمق والدقة»[2]، إلا أنه استطاع أن يجمع أهم الأعمال الشعرية التي تجاوزت الحدود المحلية إلى القضايا العربية والقومية، وبهذا يرى ركيبي بأن الحرب مستمرة، وما يحدث في فلسطين معركة خسرناها ولم نخسر الحرب كاملة.

أ- قضية المقاومة الفلسطينية:

من القضايا البارزة التي شغلت الأديب الجزائري، وأسالت من حبره ما أسالت، القضية الفلسطينية، والمقاومة الباسلة للشعب الفلسطيني، ولأن « من القضايا الإنسانية ما يبرز مرة ثم يختفي، يتفجر في فترة ثم ينحسر مع مرور الزمن.. فتخبو ناره أو تتلاشى نهائياً، ولا يبقى سوى الرماد علامة على ماضٍ عظيم أو العكس، ما عدا قضية واحدة، هي قضية فلسطين.. إنها الوحيدة التي لا تخبو نارها ولا تذوب آثارها، ولكنها تتجدد مع الأيام ويستمر زخمها صاعداً مع الزمن»[3]، فكان الأدب الجزائري مواكباً لهذه القضية ومتابعاً لحركة المقاومة ومسانداً لها بكل ما يملك من صوت، رغم

1- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 21.

2- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر من 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14.

3- عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 05.

النكسات والهزائم المتتالية التي شهدتها الأمة العربية، « وإذا كنا قد خسرنا معركة فإننا لم نخسر الحرب بعد... وهذه هي مهمة الأديب في أن يعمق هذا المفهوم لا بالنسبة للجماهير العربية فحسب ولكن بالنسبة للعالم أجمع»[1]، فدعوة ركيبي للأديب دعوة وعي، ودعوة لنقل الحقائق للعالم أجمع، فهو يحث الأديب على « أن يعي هذا ويفهمه جيداً لأن مسئوليته كموجب ومبشّر ومعبّر عليه أن يرفع القلم ويدعو إلى هذا كله، وليس هذا سلاحه فقط، بل عليه أن يرفع أيضاً بندقيته ويكافح بها مثلما يكافح بقلمه من أجل هذه القضية»[2]، ولأهمية هذه القضية وخطورتها، ولاهتمام الأدب الجزائري بها، نجد ركيبي قد أولاها اهتماماً بالغاً من خلال تناول كثير من الأعمال في الأدب الجزائري والتي تناولت هذه القضية.

ففي الصحافة الوطنية والعربية شارك بعدة مقالات وحوارات صحفية حول هذه القضية، وفي كتابه (فلسطين في الأدب الجزائري الحديث) تحدث ركيبي عن فلسطين في الأدب الجزائري قبل النكبة وأثناءها وبعدها، لأنها « ليست قضية حرية فحسب ولكنها قضية الإنسان وضمير الإنسانية.. هذا الإنسان الذي ظُلم في حقه في الحياة والوجود، وجرح في كرامته ومشاعره بصورة لم يسبق لها مثيل إلا نادراً في التاريخ القديم والحديث، وجرحه هذا لن يندمل إلا بتحقيق العدل واسترداد كرامته التي أهدرت ومازالت تُهدر على أرضه»[3]، وبهذا الشعور القوي والصادق الذي يبديه ركيبي تجاه هذه القضية فإننا نجده يجعل منها قضية من أهم قضايا الأمة العربية، باحثاً فيها وداعياً إليها وناقلاً لما وجده من كتابات جزائرية وعربية.

وأثناء بحثه في الأعمال الأدبية التي تناولت القضية الفلسطينية، يجد ركيبي أن الأدباء وخاصة الشعراء منهم قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام على حسب أعمالهم واتجاههم

1- عبد الله ركيبي: ما هو دور الأدب في المعركة، جريدة الشعب، الجزائر، ع:752، 21ماي1965، ص04.

2- عبد الله ركيبي: ما هو دور الأدب في المعركة، ص04.

3- عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 05.

في تناول هذه القضية، فيقول: « وإذا كان الشعراء قد اتجهوا إلى تصوير هذه النكبة وظهرت عندهم [ثلاث] اتجاهات..الاتجاه الأول أرخ لهذه النكبة وأطوارها وأحداثها، والثاني بكى على فلسطين الضائعة وصور الحنين، حنين اللاجئين في الخيام إلى العودة، وكان الثالث دعوة إلى خوض المعركة من جديد»[1]، وليس غريباً على ركيبي أن يتبنى اتجاهاً من هذه الاتجاهات، وفي قوله: « الحقيقة أننا كنا قد طالبنا الشعراء بأن يلتزموا هذا الاتجاه الأخير فنحن نطالب الأدباء بأن يعمقوا هذا المفهوم في قصصهم ورواياتهم ومسرحياتهم»[2]، وبهذا نجده قد تبنى الاتجاه المقاوم من خلال دعوته إلى الانشغال بهذه القضية، وتحويل الأعمال الأدبية إلى قضية العرب الأولى، « وليس من شك في أن الطليعة الثورية من الأدباء في العالم العربي مطالبة بالمزيد من توعية الجماهير بقضية العرب الأولى ومطالبة بأن تسهر وتستمر في النضال الدائم من أجل إعادة فلسطين لأن الطريق إلى فلسطين ليس مفروشاً بالورود والرياحين ولكنه مفروش بالنار والبارود »[3]، وفي هذا دعوة صريحة إلى الأدباء بأن يوجهوا أدبهم إلى خدمة القضية الفلسطينية، بالتوعية والتبليغ والتحفيز على العمل النضالي معنوياً ومادياً بجعل الأدب خطوة أولى نحو إعلان المقاومة والقتال.

وفي كتابه (فلسطين في الأدب الجزائري الحديث) نجد ركيبي يبحث في أعماق التاريخ عن الارتباط الجزائري بفلسطين، وعن روح المقاومة المشتركة بين الشعبين، وليعود بنا إلى أسباب اهتمام الأدب الجزائري بهذه القضية، فالأدباء الجزائريين قد نقلوا أحاسيس الشعب الجزائري بما حلّ بفلسطين، فكانت أعمالهم تعبيراً جمعياً لما يحدث في البلدين من استعمار مستبد، « فكلا البلدين عرف الاستعمار الاستيطاني وعرف الإرهاب بشتى صوره، وعرف محاولة الإذابة في جنس آخر، وعرف ما هو

1- عبد الله ركيبي: الأدب ومعركة فلسطين، جريدة الشعب، الجزائر، ع:776، 18جوان1965، ص04.

2- عبد الله ركيبي : الأدب ومعركة فلسطين، المرجع نفسه، ص04.

3- عبد الله ركيبي: الأدب ومعركة فلسطين، المرجع نفسه، ص04.

أخطر من هذا، ونعني به إلغاء وجوده كشعب له خصائص تختلف عن الدخيل الأجنبي، ثم أخيراً انتماء الشعبين إلى جنس واحد..إلى أمة واحدة»[1]، فكان هذا الارتباط على حسب تفسير ركيبي لهذه العلاقة أكثر عمقاً من خلال ما كان يشغل بال المثقف الجزائري في تلك الأرض العربية، التي تشابهت مآسيها بمآسي الشعب الجزائري، « ولم يتوقف الكتاب الجزائريون عن التعريف بقضية فلسطين قبل الحرب الثانية بل ازدادت عنايتهم بها بعد أن تأسست " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" عام 1931 وأصبحت لها جريدة رسمية تعبر عن أفكارها الإصلاحية، وهي جريدة " البصائر" وأخذ الكتاب يحبرون فيها المقالات الضافية عن فلسطين مشيدين بكفاح أبنائها»[2]، فقضية فلسطين قديمة ومعاناة الشعب العربي فيها مع اليهود قبل الوعد البريطاني أليم، وقد تابع الشعب الجزائري تلك الأحداث وتألم كما تألم الفلسطيني.

هؤلاء الكتاب الذين ساق منهم ركيبي أبرزهم، مثل مقالات (محمد الشريف) ومقالات (الطيب العقبي) و(الزاهري) و(عبد الحميد بن باديس) في افتتاحية لجريدة البصائر سنة 1938، كما أن الشعراء لم يبخلوا بشعرهم في هذه القضية تعبيراً على هذا الارتباط الوثيق بالأمة، وشعوراً بمعاناتها التي ماثلت معاناتنا.

ومن أهم الشعراء الذين تحدث عنهم ركيبي، نجده يقدم الشاعر الجزائري (محمد العيد آل خليفة) كأكثر شعراء الجزائر عناية بفلسطين وبالشرق العربي وقضاياه، ليجعل منه صوتاً قومياً يدعو إلى الانتماء إلى الوطن العربي الموحد من خلال قصائده (نبتغي العيش في الجزائر حراً) و (في أذن الشرق) و(العروبة أمنا الكبرى)، والشاعر (الربيع بوشامة) في قصيدته (صوت الجهاد) التي « هي تجسيم لفكرة الاستشهاد التي صورها هذا البطل العربي وصور حالته وهو يقدم روحه قرباناً

1- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص14.

2- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص19.

لوطنه»[1]، إضافة إلى مجموعة كبيرة من أدباء الجزائر الذين انخرطوا في صفوف المشجعين والمشيدين بالمقاومة الفلسطينية منذ بداية الاستيلاء الصهيوني على الأراضي العربية، فكانت الثورة واحدة مثلما كان الشعب واحداً، وخاصة حين « تفجرت ثورة نوفمبر 1954 وانطلق الشاعر يواكبها، ويتغنى بها وبفلسطين في الوقت نفسه ، ويتغنى بالعروبة كفكرة توحد بين الجميع.. وظهرت مواهب شابة جديدة عاشت تجارب فنية متنوعة (...) وعاشوا قضية فلسطين كجيل جديد يعيها ويفهمها فهماً جديداً (...) على أن الجيل السابق لم يسكت ولا توقف هو الآخر- سواء بالنسبة للنكبة أو لثورة نوفمبر أو غيرها من الثورات- وإنما واكب الأحداث وانفعل بها وعبّر عنها هو الآخر»[2]، وعلى الرغم من اختلاف الأسلوب كما يرى ركيبي بين الجيلين إلا أن كلا منهما عالج القضية بطريقته وشارك الأمة العربية همومها ومحنها، وأسهم في مشاركة المقاومة مع الشعوب الأخرى.

ومما لاحظه ركيبي في هذا الشعر أنه لم يكن يجد الوقت ليحتكم إلى العقل والمنطق في معالجة هذه القضية المهمة، بل كان كثيراً ما يحتكم إلى العاطفة في تناولها، وهذه كما يقول طبيعة الإنسان مهما كان، وإن لم يكن شاعراً على الإطلاق « وهذا ما يفسر الطابع الانفعالي الحاد والغضب الجارف في قصائد الشعراء في هذه الفترة؛ ذلك لأن الظروف لم تكن لتتيح للشاعر التأمل والدراسة المتأنية والإمعان في الأحداث وتذليلها وتصويرها في شيء من العمق والاستقصاء، فالمرحلة إذن كانت تدفع الشاعر إلى أن يرفع صوته، ليكون عالياً جهيراً مثيراً للحماسة موقظاً للهمم، فهو أشبه بشعر المنشورات الحماسية الثورية؛ لأنه شعر الغضب، شعر يولد مع المحنة فيعبر عنها ويسجل الانفعال بها دون أن تعنيه أشياء أخرى»[3]، ولأن الشاعر الجزائري

1- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص40-41.

2- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 44.

3- عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 40.

يعي كما يرى ركيبي أن المرحلة مرحلة غضب، وثورة دون الإطالة في التمهيد والتمعن والدراسة، « والشاعر الجزائري يعي هذا جيداً، بناءً على تجربته، ومن ثمة كان سخطه، وكانت ثورته، وكان غضبه، لأن الغضب يولد الثورة»[1]، أما هذه الحماسة والغضب السابق للثورة فهو من طبائع الشعوب مثل الشعب الجزائري الذي شارك شعراؤه الشعوب غضبهم.

فكانت هذه القضية من أهم القضايا التي تناولها الشعر الجزائري، وكانت القضية التي آلمت وألهمت عديد الشعراء في المشرق والمغرب، كما كانت قضيتهم الأولى وشغلهم الشاغل في أغلب قصائدهم، فكان لها في الشعر الجزائري النصيب المهم رغم ما كانت تعانيه الجزائر في فترة الاستعمار وما بعده، لذا فإن ركيبي قد خصص جانباً مهماً من دراساته التي تبحث في قضايا الشعر الجزائري للقضايا العربية ومنها القضية الفلسطينية بالدرجة الأولى، وكثيراً ما نجده يركز دراساته على البحث والإشادة بمن ناضل وقاوم مع الشعب الفلسطيني من أبناء الأمة العربية بمن فيهم كُتاب الجزائر وشعراؤها، « وقد كان ظهور المقاومة الفلسطينية، عاملا قوياً ساعد على وضوح الرؤية بالنسبة للأديب – شاعراً أو قصاصاً– وساعد المثقف العربي عامة على أن ينظر إلى المستقبل نظرة متفائلة »[2]، هذه المقاومة العربية التي غيرت نظرة العربي إلى الآخر والى الأوضاع السائدة، فجددت الفكر وغيرت رؤيته إلى العالم من حوله، وأثبتت أن المقاومة أمر مشروع وأن الأمة العربية قادرة على خوض المعركة.

ب– قضية الوحدة والعروبة:

ما من شك في امتداد الجزائر العربي، شعباً و وطناً وحضارة عبر التاريخ، وقضية الوحدة العربية قضية شغلت الأدباء والمثقفين عبر عدة أجيال، فكانت قضية الأجيال العربية منذ القدم، تقترب من التحقق تارة وتبتعد أخرى بمحاولات الساسة

1– عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 44

2– عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 82.

ورجال الدين، والشعراء والمفكرين، والتاريخ شاهد على ذلك الانتماء الذي يشعر به الجزائري منذ القدم « فحينما قاد بونابرت حملته لغزو الأراضي المصرية أعلنت الحرب ضد فرنسا، وكانت الجزائر الدولة العربية الإسلامية الوحيدة التي سارعت في سنة 1828 لنجدة الأسطولين التركي والمصري حين تحرشت بهما الأساطيل الثلاثة الكبرى: الانجليزي والفرنسي والرومي حين كانت موقعة "نافارين" وشاء سوء الحظ أن تهزم الأساطيل الثلاثة: التركي والمصري والجزائري وأن يبتلعها البحر»[1]، ولكن هذه التجربة المؤلمة أكدت على ذلك الترابط المبني على قواعده الدينية والعرقية.

وعلى الأغلب فإن أساس الوحدة العربية كان في ارتباط دائم بالدين الإسلامي، وكانت اللغة العربية المشتركة وسيلته لدى الأدباء وحجتهم، وهذا حال الأدب الجزائري لأن « التفكير الديني والتعبير عنه ذو صلة حميمة بالتفكير الوطني والقومي لدى أهم الكتاب الجزائريين، كما أن الأثر القرآني في كتابات هؤلاء أو بعضهم على الأقل غير مفصول عن أثر الفكر القومي بعمقه الإسلامي، لاعتبار أساسي وهو أن العروبة والدين لديهم وجهان لعملة واحدة هي (الجزائر) وطناً بهويتها الحضارية عربياً وإسلامياً»[2]، الجزائر التي لم تنفصل عن واقعها الإفريقي والعربي الإسلامي، كان امتدادها تاريخياً وحضارياً وثقافياً وعقائدياً لا ريب فيه، رغم محاولات الحملات الاستعمارية المتتالية لفصله عن انتمائه الأصلي.

وبالحديث عن اهتمام عبد الله ركيبي بهذه القضية، نجده يخصص لها فصلاً مهماً في كتابه (قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر) مؤكداً على « أن الأدباء كانوا منذ مطلع القرن ومنذ بداية النهضة الحديثة يعبرون عن انتمائهم للشرق العربي وإحساسهم بهذا الانتماء في كل مناسبة، شعراً ونثراً»[3]، وبهذا كان الاتجاه القومي هو

1- عبد العزيز شرف : المرجع السابق، ص 26.

2- عمر بن قينة : الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص65.

3- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص11.

السائد، رغم وجود بعض الذين لم يهتموا بالارتباط العربي أو كان شعورهم بالانتماء العربي باهتاً متردداً نتيجة لحملات الطمس والفرنسة، مما أدى إلى تأثرهم بالثقافة الاستعمارية، « ومن يتتبع الحركة الثقافية والأدبية في الجزائر يدرك تماماً أن الأدباء والشعراء كانوا يسعون باستمرار إلى تمتين الروابط مع الشرق العربي، على الرغم من الظروف التي كانت تعيشها الجزائر داخل الأسوار، حيث فرض عليها الاستعمار عزلة لم يشهدها أي شعب من الشعوب المستعمرة، فكل ما يمت للشرق بصلة كان محرماً على الجزائر»[1]، ولكن الصلة لم تنقطع، وصوت الأدباء لم ينقطع، حيث « كان الشعر الجزائري منذ مطلع هذا القرن، وبداية النهضة الأدبية في الجزائر، معبراً عن قضايا الشعب، مصوراً لأحداثه، كما كان الأديب شاعراً وناثراً، مواكباً لحركة النضال الوطني والعربي، ومسهماً فيها بقلمه وروحه.. كان يتحسس في كل ذلك عروبته ويستلهم منها قيمه ومثله ومطامحه»[2]، ويسوق ركيبي في هذه القضية عدة نماذج لأدباء وإصلاحيين كان لهم الدور الكبير في بلورة هذا الفكر العربي القومي، « ومما لا شك فيه أن الكتاب والشعراء الجزائريين قد أحسوا بالمرارة، –قبل أن تتحطم السدود– من هذه الفُرقة وهذا التمزق وتألموا لهذا الانفصال الذي فرضته الظروف وساعد عليه عدم تبلور فكرة القومية العربية في أذهان كتاب عرب كثيرين»[3]، فيذكر ركيبي (فرحات بن الدراجي) الذي كتب مقالا مطولا في (البصائر) عام 1937، تحت عنون (كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين)، و(محمد السعيد الزاهري)، و(عبد الحميد بن باديس) الذي كاد ينشغل بالقضايا العربية ومصير الوحدة العربية عن هموم وطنه الجزائر.

وكما يؤكد (شريبط) فـــإن « فضل شعرائنا لا ينكر في تغذية الروح القومية.. خاصة أولائك الذين ساروا في ركب جمعية العلماء الخالدة.. وتغذوا بمبادئ ابن باديس

1– عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص15.

2– عبد الله ركيبي : فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 27.

3– عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص18.

والعقبي والتبسي وكل الأبرار»[1]، وليس الأدباء وحدهم من كان ارتباطهم قوياً بالقومية العربية حاملين فكرة الوحدة العربية ومدافعين عنها، بل كان كل الشعب الجزائري يحمل همّ التمزق والتشتت الذي عرفته الأمة، وسعى إليه الاستعمار وأذنابه في كل الأقطار العربية.

وقبل هذا فإن ركيبي يشير إلى أن دعوة الأديب الجزائري إلى وحدة عربية، لا تنطلق من فكر عنصري تعصبي، ولا من منطلق جهوي ضيق، « ولكنه في الغالب يرد على المستعمرين لكي يفرق بين الجزائريين وانتمائهم العربي وبين الفرنسيين وانتمائهم الأصلي إلى جنس آخر وقومية مختلفة عن القومية العربية»[2]، فالشاعر الجزائري يشعر بهذا الانتماء وهذه الروابط المتعددة، من دين ولغة وتاريخ مشترك، « فالشاعر يعبّر عن فهمه لفكرة الوحدة بأن الإحساس بالألم والشعور بالانتماء وصلة النسب هي التي جمعت بين الجزائر والبلاد العربية الأخرى، وأن هذا الماضي الطويل ترك بصماته على الشعب فأصبح يتأثر لما يحيق بالعرب فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، وهذا يمثل الضمير الحي الذي يعي ويشعر ويتوجع ويعبّر عن هذا الإحساس وعن هذا التجاوب بين أقطار العروبة في شتى البلدان»[3]، فالدعوة صريحة والشعور عميق بهذا الارتباط في الأدب الجزائري، وبحث ركيبي عن هذه المشاعر ما هو إلا تأكيداً على قناعته باهتمام الأديب الجزائري بالقضايا العربية المشتركة.

وفي حوار صحفي أجراه ركيبي مع القاص (فاروق منيب) نجده يؤكد على تمسك الشعب الجزائري بالعروبة وبالوحدة العربية، في قوله: « ويكفي شعب الجزائر بطولة أنه ظل محافظاً على العروبة والإسلام مائة وثلاثين عاماً دون كلل أو ملل.. إن هويتنا العربية هي الصخرة التي تتحطم عليها كل عوامل الفُرقة والاستعمار والزوابع

1- شريبط أحمد شريبط : الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية زليخا السعودي (1943-1972)، دار هومة، الجزائر، ط2001،01، ص338.

2- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 57.

3- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 59.

العابرة وأنت هنا في الغربة مثلاً يحدث أن تجلس في إحدى الحدائق العامة أو "مترو" الأنفاق حتى ترى في الشارع التونسي أو المغربي أو السوداني أو الليبي..الخ، هنا تنبثق في روحك وفي عقلك الهوية العربية، تختفي الجزئيات بكل تفاصيلها ويشرق الجوهر الأصيل لعلاقة الدم واللغة وكل مقومات القومية الواحدة »[1]، هكذا كان ركيبي يبحث في حديث (فاروق منيب) عن ردة فعل الأديب العربي تجاه الوحدة العربية، وعن موقفه منها في فترة اشتعل فيها العربي حماسة لقضية القومية والوحدة العربية.

ليس غريباً على جيل المقاومة هذا الشعور بالانتماء العربي، ولا هذه الدعوة إلى الوحدة والقومية، رغم حماسته الكبيرة واندفاعه القوي لتحقيق هذا الهدف، فكان هذا الشعور نابع من عقيدة راسخة وفكر متجذر في الأذهان دون مناقشته أو البحث في تلك الروابط، « ولكن الجيل التالي الذي تفتحت مواهبه أثناء الثورة أو قبلها بقليل نظر لهذه القضايا القومية نظرة أكثر فهما ووعياً بها، فأصبحت القومية عقيدة راسخة في الذهن والوجدان وأصبحت الوحدة هدفاً ينبغي أن يتحقق لا عن شعور تلقائي ولكن للمصلحة القومية وتحقيق الوجود للفرد والمجتمع»[2]، هذا التحول في المفهوم الذي يرى ركيبي أنه انتقل بالفكر القومي من الأحاسيس والمشاعر الجياشة، والأفكار والآمال والطموحات إلى ممارسة فعلية مجسدة في الواقع حتى وإن كانت محدودة، « فلم تعد القومية مجرد عاطفة أو إحساس ينبض به القلب بل أصبحت فكرة يقتضيها العقل ويحققها الواقع ويحتمها التاريخ والمصلحة المشتركة، وقد جاء تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا عام/ 1958/ ليزيد تيار الوحدة تدفقاً واتساعاً، وليعطي لفكرة القومية نفساً جديداً بل يعطي لشعرائنا مناخاً جديداً يساعدهم على بلورة أفكارهم من جهة وتعميقها من جهة ثانية»[3]، ولما تجاوز الفكر العربي تلك المرحلة التي ارتبطت بالثورات

1- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، ص346.

2- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 61.

3- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 61.

العربية، والمقاومة الفكرية والثقافية في مواجهة الاستعمار الغربي، ينتقل ركيبي إلى جيل آخر يؤمن بفكر جديد غير فكر الجيلين السابقين، وفي قوله: « فإذا وصلنا إلى الجيل الثالث من الشعراء أي جيل ما بعد الاستقلال فربما لا نجد الحماس الذي عرفناه من شعر الجيلين السابقين وربما لأن انتصار ثورة نوفمبر خففت من حدة الشعور بهذه القضايا، وكذلك رسوخ الفكر التقدمي في الجزائر والوطن العربي أو ربما اتجهت أفكارهم ومشاعرهم تجاه الأمة العربية نحو التحرر والتقدم والعدالة والاشتراكية أكثر من التركيز على فكرة القومية والوحدة وربما كان للنكسات التي مرت بها الأمة العربية في السنوات الأخيرة وأثرها في موقف بعضهم وربما يكون تفكير بعضهم مازال إقليميا لم يرتفع إلى مستوى القضية العربية»[1]، هذه الأسباب التي استنتجها ركيبي والتي أدت في رأيه إلى هذا التحول، لكنه لم يتحدث هنا عن الاستعمار الفكري والسياسي الذي مازالت تعاني منه الأمة العربية إلى اليوم، وهذا سبب مهم جداً في عدم تحقيق تلك الأهداف القومية.

إضافة إلى كل هذا فإنه يرى بأن الشاعر الجزائري قد « صور إحساسه بقضايا الثورة في الوطن العربي، وكان صادقاً في إحساسه؛ لأن شعوره كعربي جعله يحس بوقع الأحداث وكأنها وقعت له، ولم ينس المناسبات السياسية التي لها صلة بقضايا الثورة لأنها تتويج لها، مثل ذكرى الاستقلال في الأقطار العربية..كما سجل تأثره ببعض المناسبات الأخرى، كوفاة زعيم عربي أو إسلامي مثلا»[2]، وبهذا فإن الأدب الجزائري كان حاضراً في كل مناسبات الأمة العربية، متفاعلاً مع كل تفاصيلها، وهذا ما جعل ركيبي باحثاً في هذا الارتباط القومي العربي.

ولم يتوقف هنا عند القضايا المصيرية فحسب، بل تعداها إلى أعمق من ذلك، إلى التفكير العربي، فـــمن « المؤسف حقاً أننا في الوطن العربي لا نفكر عربياً،

1- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص63.

2- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص114.

فتفكيرنا في كافة القضايا، أو معظمها يوشك أن يكون " مستورداً " جاءنا من الغير، وتبنيناه نحن بلا فهم أو تمحيص أو تدقيق ووضعناه في رؤوسنا وحاولنا صبغه بصبغتنا، فلا هو تفكيرنا ولا نابع منا...ولعل هذا هو السبب فيما نعانيه في بيئتنا العربية من اضطراب في الفكر والسلوك معاً»[1]، هذا الاستلاب الفكري الذي يؤدي إلى الانفصام والتناقض الثقافي والفكري على رأي ركيبي يتطلب إعادة النظر في بناء منظومة فكرية عربية مستقلة وحرة، لا تتقيد بما يستورده بعض المفكرين العرب من أفكار محملة بثقافة غريبة عن التفكير العربي.

لذا نجد ركيبي يوجه اللوم إلى المفكرين والباحثين، وخاصة المغاربة منهم لعدم اهتمامهم بقضية الوحدة العربية، وقلة البحوث أو سطحيتها إن وجدت، وحين يقول: « باستثناء ما كتبته لا يوجد في الجزائر دراسات عن الوحدة بالمفهوم الدقيق ولمقوماتها وأسسها جزئية أو كلية، وكأن الموضوع يهم المشارقة وحدهم، صحيح أن هناك مقالات عن العروبة وعن الوحدة فيها تمجيد أو تأييد أو دفاع عنها، ولكن الدراسة المستفيضة والتحليل والمقارنة والنقد هو أمر يكاد يكون معدوماً بالقياس إلى ما قدمه إخواننا في المشرق العربي خاصة في مصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن، أما الخليج فلا أعرف إن كانوا قد ناقشوا الموضوع أصلاً»[2]، ربما يكون ركيبي في هذا يجعل من العروبة بمفهومها الروحي والثقافي، والوحدة بمفهومها المادي شيئاً واحداً، وهذا قد يتعارض مع مفهوم الوحدة التي لا تشترط وحدة اللغة، مثل ما هو مجسد في الاتحادات السياسية والاقتصادية في العالم، أما العروبة فهي لسان وفكر وثقافة ورابطة عرقية، تحتاج إلى الشعور والإيمان بها.

1- عبد الله ركيبي : عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، ص أ.

2- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009، ص 82.

أما ما نفهمه من ركيبي في دعوته إلى العروبة أنه لم يكن ضيق الوعي بالقضية، وهذا ما نلحظه في سعيه إلى توضيح المفاهيم المتعلقة بفكرة العروبة والتعريب، إذ يقول: « وليس معنى عروبة الفكر وتعريبه أن نرفض كل ما أنتجه غيرنا، بل معناه أن يكون لنا رأي فيما هو مطروح من فكر وثقافة ونضعه في المحك الخاص بنا فما لاءم فكرنا ومنهجنا العربي وحضارتنا العربية ومصلحتنا نرفضه حتى لا نستمر في هذه الأزمة الفكرية الخانقة التي يعيشها ويعاني منها المثقف العربي، لأنه لا يفكر بنفسه ولنفسه بل يفكر بغيره»[1]، هذه دعوة رامية إلى الاستفادة من فكر غيرنا، وتكييفه لما يخدم الفكر القومي العربي دون الذوبان أو الميل كل الميل إلى الفكر الدخيل.

ومن الملاحظ إن ركيبي كان يؤمن بقضايا وطنه العربي الكبير، وبوحدة كفاح شعوبه ومقاوماتهم المشتركة، فكان دائم التأكيد على مبدأ المقاومة الشاملة، « وانطلاقاً من مبدئه هذا عمل في كتاباته النقدية إلى انتقاء نماذج شعرية تؤكد تفاعل الشاعر الجزائري مع قضاياه العربية (...) حاول من خلالها الوصول إلى أن تفاعل الشاعر الجزائري معها يوحي بإحساسه العميق بعروبته وقوميته، وبأن الجزائر جزء من الوطن العربي»[2]، حيث قدم عدة دراسات مهمة في الشعر الجزائري تتناول القضايا العربية ككتاب (قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر) و (الأوراس في الشعر العربي) ودراسات أخرى.

ت- قضية اللغة العربية والتعريب:

أما أهم شروط تحقق الوحدة والقومية، نجد اللغة ركيزة أساسية، وشرط ثابت في الفكر القومي العربي، حيث « يكاد الإجماع ينعقد على أن اللغة العربية هي العماد الأول للقومية، إذ هي التي تعبر عن ثقافة العرب وعن حياتهم، وعن أفكارهم

1- عبد الله ركيبي : عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، ص ج.

2- أنيسة أحمد الحاج: المرجع السابق، ص 55.

ووجدانهم، وهي الرابطة الأساسية التي تتضاءل بجوارها الروابط الأخرى حتى روابط الدم والرحم»[1]، فاللغة العربية إحدى أهم مظاهر القومية العربية، وهي شكل من أشكال الهوية منذ القدم و« اللغة العربية للعربي وعاء ثقافته ومحل عنايته وصلة مشاعره المشتركة، وقد عنى بها منذ فجر تاريخه أشد العناية وتأثر بأشعارها وموسيقاها ومفرداتها وأساليبها أبلغ التأثر، ولم يكن من المستغرب أن يصرف العرب من وقتهم وجهدهم ومؤلفاتهم الشيء الكثير لدراستها وبحثها وتطويرها»[2]، هذا البحث والتطوير وسيلة فعالة في الحفاظ على اللغة وحمايتها من الاندثار أو الضعف، وهذا ما يمكننا أن نطلق عليه بالمقاومة اللغوية التي سعى إلى تكريسها عدد كبير من الأدباء والنقاد في العالم العربي، وما دراسات ركيبي وبحوثه في قضية اللغة العربية وكفاحها من أجل البقاء إلا محاولة جادة لإثبات أهميتها في تحقيق الهوية الوطنية، وتحقيق الوحدة العربية، والسعي إلى استكمال الاستقلال الوطني والعربي.

فمن أهم القضايا التي ارتبطت عند ركيبي بمقاومة محاولات التغريب والطمس التي سعى إليها الاستعمار الفرنسي، هي قضية اللغة العربية والسعي المستمر لحمايتها، وما بذله شعراء الجزائر وكتابها ومصلحوها ومفكروها من دفاع وترسيخ لهذه اللغة من منطلق (شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب) إلا دليل على ارتباط هذا الشعب بجذوره العربية، وتأكيداً على ارتباط اللغة العربية بالقومية والوحدة العربية يقول ركيبي: « وبالطبع فإن الحديث عن " القومية " هو بالتالي حديث عن اللغة لأن اللغة هي التي تصبغ القومية بصبغتها وتمنحها طابعها الخاص، وهذا ما يفسر ربط الشعراء بينهما باستمرار، وربما استمدوا هذا المفهوم العام للقومية وللغة من الحديث

1- محمد عيد: قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1989، ص94.

2- محمد عيد: المرجع نفسه، ص 95.

الشريف ((ليست العروبة بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي))»[1]، ويضرب في هذا مثلاً بقول محمد العيد آل خليفة:[2]

تحنّ إلى نَيْلِ الحُقوقِ نُفوسُنـــــــــــــــــــــــا وتَأبَى عَلَيْنَا نَيْلهَا قُوة الغشْـــــــــــــــــــــــــــــــمِ

ونُقصَى عن الفُصْحى ونُلهى بِغَيْرِهَا وليس سِوى الفُصْحى لِسَانٌ لنَا رسْمِي

ومَا نَحْنُ إلاَّ مِنْ سُلالةِ يَـــــــــــــــــــــــعْرُبِ فَمَنْ رَامَ عَنْهَا فَصلَها بَاء بِالرَّغـــــــــــــــــــمِ

سَلامٌ كَأزهارِ الرُّبى طَيِّبُ الشّـــــــــــــــذَى على كُل قُحٍّ في عُروبَتهِ شَهْـــــــــــــــــــــــــم

على العَربِ الأحْرارِ مَنْ كان عَارِباً ومَنْ بَادَ قِدَماً مِن (جَديسٍ ومِن طَسْم)

ومَنْ كان في استِعرابه لاحقاً بِهـــــــــــــــــم نُزوعاً إليهم في الفَصَاحةِ والفَـــــــــــــهْـــــــــــمِ

ويرى ركيبي في قصيدة محمد العيد أن « الشاعر هنا يوسع من مفهوم (القومية) لتشمل كل من تكلم العربية ونشرها، فليس العربي هو من ينتمي للعرب أصلاً وجنساً، ولكن العربي هو من تعلم العربية وتكلم بها ودافع عنها»[3]، ولم يكن محمد العيد وحده من تغنى باللغة العربية ونبه إلى ضرورة حمايتها والاحتماء بها من موجات الاستعمار

1- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص55.

2- محمد العيد آل خليفة : الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2010، ص 188-189.

3- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص56.

الجارفة، ومقاومة محاولاته للقضاء على الحرف وتشويه اللسان العربي في الجزائر، و« لقد اهتم شعراء الجزائر بالعربية أكثر من زملائهم بالفرنسية في تأكيد عروبة بلدهم، وكانت العروبة الحاجز الأكبر بينهم وبين المستعمر»[1]، ليختار ركيبي شاعراً آخر يتقد عروبة وحماسة في الدفاع عنها، إنه شاعر الثورة مفدي زكرياء، الذي « يقول مذكراً باللغة التي هي مقوم من مقومات العروبة:

تِلكَ العُروبة إنْ تُثِرْ أعْصَابَهـــــــــــــــا وَهَن الزمَان حَيَالهَا وتَضَعْضَعَ

الضَّادُ، في الأَجْيَالِ خَلَّدَ مَجْدَهَا والجُرحُ، وَحَّدَ في هَوَاهَا المَنْزَعَا»[2].

ومن بين النماذج المهمة التي قدمها ركيبي، والتي عدّها نماذج بارزة في الدفاع عن اللغة العربية رغم كل الظروف والموانع، قدم الشاعر الجزائري (مالك حداد)، فيرى في هذا الشاعر خير المدافعين عن اللغة العربية، إذ يقول فيه: « هو في اعتقادي من القلائل الذين أنشدوا للعربية وتغنوا بها وبالجزائر إبان مرحلة الكفاح التحريري.. هو من تغنى بالعربية وإن لم يعبر بها.. إن التغني بالعربية هو الإلحاح الدائم الذي يبرز في شعره كله، بل إنه يطالعنا في كتاباته القصصية أيضاً.. وربما يتساءل البعض: نعم لقد تغنى بالعربية وبكى عليها كثيراً»[3]، وبهذا فإن مفهوم العروبة عند ركيبي هو الإيمان بعربية هذا الوطن وإن لم نمارس هذه اللغة فعلياً في كتابات الكتاب والشعراء، « ومالك حداد فنان حقيقي بهذا المعنى..وشاعر أصيل..رغم تعبيره بلغة أجنبية، فشعره عربي الروح والمضمون والانفعال..إنه يأبى أن يتصالح ويتهادن مع اللغة الغربية عنه بل وفي حرب طاحنة معها باستمرار»[4]، فصراع اللغة العربية مع

1- نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط01، 1981، ص337.

2- عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص60.

3- عبد الله ركيبي : أحاديث في الأدب والثقافة، ص 09.

4- عبد الله ركيبي : أحاديث في الأدب والثقافة، ص11.

اللغة الأجنبية الاستعمارية صورة أخرى من صور المقاومة التي تبناها شعراء الجزائر وكتابها، وعاشها المثقف الجزائري مهما كانت ثقافته.

وكما ناضل أدباء الجزائر باللغة العربية وقاوموا محاولات القضاء عليها من خلال ما كُتب طوال سنين من شعر ونثر ومقالات، ناضل كذلك الأدباء باللغة الفرنسية، لغة المستعمر التي عدها مالك حداد منفاه، وعدها كاتب ياسين غنيمة حرب، كما عدَّ عبد الله ركيبي قضية اللغة العربية من أهم الأسباب والوسائل المشروطة لإعادة هذا الوطن إلى أصوله العريقة، فجعل منها قضية مهمة من قضايا الأدب الجزائري، و وسيلة أخرى من وسائل المقاومة من أجل إثبات هوية هذا الوطن.

وإذا كانت الجزائر قد افتكت حريتها، وبدأت مرحلة البناء والتجديد بالتخلص من عوالق الاستعمار الفرنسي، فإنها بدأت كذلك معركة أخرى، هي معركة التعريب التي انخرط فيها أغلب مثقفي الجزائر وكتابها، وعبد الله ركيبي واحد من الذين لم يضعوا سلاح المقاومة بعد جلاء الاستعمار الفرنسي، بل واصلوا الكفاح والنضال من أجل بناء وطن يتمتع بكامل مقوماته، وهذا ما نجده في خطبه الثقافية على كل المنابر، ومقالاته على صفحات عديد من الجرائد والمجلات، وخير دليل على ذلك كتابه (عروبة الفكر والثقافة أولاً) والذي أفرده إلى هذه القضية المهمة، فالعمل من أجل التعريب عند ركيبي لا يساويه إلا الثورة التحريرية، و« لعل الحبر الذي سال عن قضية التعريب في الجزائر لا يوازي أو يماثله سوى ما أريق من الدم دفاعاً عن حرية الجزائر واستقلالها، ذلك أن قضية التعريب ترتبط أساساً بهوية الشعب الجزائري»[1]، فقضية التعريب في الجزائر ليست وليدة اليوم كما يقول ركيبي: « وقضية التعريب قديمة وجديدة في الوقت نفسه: قديمة لأن الاستعمار الفرنسي كما أصبح معروفاً وشائعاً لدى الجميع حاول القضاء على الذاتية العربية الجزائرية المتمثلة في اللغة وبقية الخصائص الأخرى. وجديدة لأنها ظهرت كقضية ملحة عقب الاستقلال الذي صاحبه تغير وجه

1- عبد الله ركيبي : عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، ص29.

الجزائر من بلد استعمر طويلاً إلى دولة حرة مستقلة تسعى لاسترداد مكوناتها ومقوماتها»[1]، هذا السعي الجاد من ركيبي وأمثاله ممن حملوا لواء التعريب في الجزائر بعد الاستقلال، كان ومازال يواجه تحديات ومعارضات كبيرة يقودها خصوم التعريب في الجزائر منذ الوجود الاستعماري.

أما دعاة التعريب لم يستسلموا ولم تتوقف محاولاتهم ومطالبهم، وهاهو ركيبي يواجه المتفرنسين فكراً ولغة، ويكتب ويطالب بالتعريب وهو يعلم في قوله: « أن هؤلاء سيغضبون كما غضبوا منذ خمسة عشر عاماً حين ناديت بتعريب الفكر أولاً قبل اللسان وقبل أي شيء آخر، وحين ترجم المقال إلى الفرنسية ازداد عدد الساخطين ممن تغربت أفكارهم إلى حد عدم قراءة ما يكتب باللغة الوطنية، وسبب الغضب واضح لأن التعريب في مفهومهم ينبغي أن يمس الشكل دون المضمون»[2]، فدعوته هنا إلى التعريب ليست دعوة إلى العودة إلى اللسان العربي فحسب، بل هي أكثر عمقاً وفاعلية، إنها الدعوة إلى مواجهة دعاة التغريب لغة وفكراً، ومقاومة محاولاتهم الداعية إلى هجر اللغة العربية التي يدّعون عدم قدرتها على استيعاب مشكلات الإنسان في خضم الحضارة الجديدة، لأن « اللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيّد به الفكر ويستقيم، وكما يحدث أن يتعاون أصحاب القرار مع فئات محسوبين على النخبة كي يتقلص إشعاع اللغة العربية، ثم يتفتت كيانها تدريجياً»[3]، مثل ما حدث لعدة لغات كاللاتينية مثلاً، التي تقلص استعمالها بالميل إلى استعمال اللهجات، وتشجيع المتكلمين والكتاب والساسة في توظيفها في مؤلفاتهم ومعاملاتهم، بوصف أن اللغة الأم لغة تقليدية ضيقة على العصر.

1- عبد الله ركيبي : عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، ص29.

2- عبد الله ركيبي: الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 145.

3- عبد السلام المسدي : الهوية العربية والأمن اللغوي(دراسة وتوثيق)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01، 2014، ص 263.

و يجمع ركيبي الدعوة إلى التمسك باللغة العربية بكل مقومات الشخصية الوطنية، لأن « التعلق بالأرض والوطن والتاريخ بالنسبة لأي شعب من الشعوب مثل التعلق بلغته وعقيدته وهويته وسماته وطبيعته وإنسانه، فهذه المقومات هي التي تمنحه الوجود والحضور فوق خريطة العالم، إن حب الوطن ليس كلمة نتغنى بها بلا مضمون أو محتوى وإنما هو ارتباط بكل هذه المعاني والقيم والدفاع عنها»[1]، وظاهرة بقاء اللغة العربية محافظة على وجودها طوال هذه القرون، خلافاً لكثير من اللغات الأخرى، لأن اللغة العربية « تلقى بتاريخها تحدياً كبيراً أمام العلم الإنساني، وهذا التحدي يبتهج به العلماء الذين اخلصوا للعلم مهجتهم، ولكنه يغيظ سدنة التوظيف الأممي، ويستفز دعاة الثقافة الكونية؛ ولا سيما منذ بدأت المعرفة اللغوية المتقدمة على المستوى العالمي تكتشف ما في التراث العربي من مخزن هائل يتصل بآليات الوصف اللغوي، ويقف على الحقائق النحوية العجيبة، ويستلهم مكونات المنظومة الصورية الراقية التي انتهى إليها النحو العربي: من حيث هو إعراب، ومن حيث هو منطق قياسي، ومن حيث هو كذلك على بأصول الظاهرة اللغوية الكلية»[2]، كل هذا لم يشفع للغة العربية التي كما يقول ركيبي في صراع دائم مع الفرانكوفونية وحملات الترويج والدفاع عنها من قبل كثير من العرب وخاصة في المغرب العربي.

وفي حربه مع خصوم التعريب يلحظ ركيبي رؤية العرب المشارقة لهذه الحملات التي يشنها دعاة التغريب، فـــ « أشقاؤنا في المشرق العربي يستغربون تعصب البعض منا للدفاع عن الفرنسية، حديثاً وكتابة وقراءة، ودفاعهم عنها أكثر من دفاعهم عن لغتهم القومية، ويندهشون حقاً من هذا الحماس الزائد للدفاع عن الفكر الفرانكوفوني، ويحتارون مثلنا –نحن الذين نقدس لغتنا الوطنية، اللغة العربية ونقدس ثقافتنا القومية– نحتار جميعاً من هذا الموقف الذي يصعب أن نجد له نظيراً في الأقطار الأخرى

1– عبد الله ركيبي: الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 154.

2– عبد السلام المسدي : المرجع السابق، ص 266.

(المشرقية) التي ابتليت بالاستعمار الغربي، ونحتار في تعليل هذه الظاهرة تعليلاً علمياً»[1]، بعدّ أن الفكر العربي واحد والنظرة إلى اللغة الأجنبية يختلف من المشرق إلى المغرب.

ويتساءل ركيبي عن دوافع هذا الموقف، وهذا الدفاع المستميت عن اللغة الأجنبية، وعن أسباب هذه الظاهرة، « فهل دوافعها مصلحية آنية؟ هل سببها التكوين، هل الأمر يعود إلى الأشخاص وأمزجتهم؟ وهل تختلف اللغات في التأثير والسيطرة على العقول بحيث إن بعضها يشلّ التفكير شللاً تاماً؟؟ وهل جنس الاستعمار له دخل في ذلك؟؟»[2]، أسئلة كثيرة طرحها ركيبي في هذه الظاهرة التي ميزت المغرب العربي عن المشرق، ولأسباب تعود في أساسها إلى طبيعة الاستعمار الفرنسي في المغرب والمشرق العربيين، والانجليزي في المشرق العربي، وأسلوبهما في تلقين لغته ونشرها بوسائل وطرق مختلفة بين الاستعمارين.

ويضيف ركيبي إلى طبيعة اللغة الفرنسية، أسباباً رئيسية، يقول: « وفي اعتقادي أن ذلك سببه التكوين منذ البداية، فالفرانكوفونيون في المغرب العربي أو كثير منهم لم تترسخ أقدامهم في العربية عندما أتيح لهم الالتحاق بالمدرسة، حتى أولئك الذين أخذوا قليلاً منها في بيئاتهم الخاصة تركوها فيما بعد واندمجوا في الفرنسية تماماً ونسوا لغتهم القومية»[3]، وتبقى الأسباب كثيرة في طرح ركيبي، فقد وجدناها عنده تتراوح بين السياسية المتمثلة في مناهج التعليم التي تركها الاستعمار، بتركه نخبة من المثقفين بثقافته الفرنسية في دواليب السُلطة، إضافة إلى أسباب اجتماعية تمثلت في طبيعة الشعب المغاربي الذي يحب مزج اللغات الأجنبية بلغته الأصلية ولا يتحرج في ذلك، كما أن التربية العائلية جعلت من الآباء يحدثون أبناءهم بغير لغتهم الأصلية، إضافة إلى

1- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، ص16.
2- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، ص16.
3- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، ص25.

ذلك جغرافية المنطقة التي تميزت بقرب فرنسا من المغرب العربي وأسهمت في انتشار اللغة في اتجاه واحد بحكم أن المغلوب مولع بتقليد الغالب.

قضية التعريب التي شغلت ركيبي طوال حياته، لم تثني عزيمته رغم مظاهر اليأس التي بدت عليه، وعلى كثيرين من أمثاله المتخندقين في جبهة المقاومة الثقافية والفكرية والمدافعين عن اللغة الأم، كيف يملّ ركيبي؟ وهو يقول : « وفي تقديري إن أولئك الذين وقفوا ضد التعريب في المشرق العربي أو في المغرب العربي وخاصة في الجانب العلمي، قد يراجعون مواقفهم أو يخففون من حدة انفعالهم تجاه العربية وتجاه تعريب الطب والعلوم الأخرى، ومع هذا فأنا أدرك أن المقاومة ستستمر لأن تغيير القناعات وتبديل الأفكار الراسخة المسبقة من الصعوبة بمكان»[1]، ويبرر إصراره هذا في الدفاع عن اللغة العربية، وحماسته وانفعاله بقضية التعريب، في قوله: « والحقيقة أن الجيل الذي عاش الثورة – مثلنا- يتأثر وينفعل بكتابات الذين يدافعون عن الهوية العربية أو يهاجمونها، يساندون التعريب أو يعارضونه، لأننا عرفنا الاستعمار ومحاربته لهويتنا ولأصالتنا ولحريتنا، لذلك فإن استجابتنا لما يدور حول هذه القضايا إنما يرجع إلى الوضع الذي عشناه تحت نير الاستعمار الفرنسي كما عاشته ثقافتنا التي حرمنا منها كما حرمنا من لغتنا القومية، فعندما تهاجم العربية – سواء عن نية طيبة أم سيئة- فإننا ننفعل ونتأثر خوفاً عليها من المنتسبين إليها كما خفنا عليها من غيرهم»[2]، وكما قلنا فإن ركيبي المقاوم لا يتوانى في الدفاع عن مقومات الهوية الوطنية، واللغة العربية عنده من أهم هذه الشروط، لذا فدعوته للحفاظ عليها من المد الفرنكوفوني صاحبت كل أعماله ودراساته، وما الدعوة إلى التعريب إلا مقاومة أخرى في وجه ذلك التغريب الذي مازلنا في حاجة إلى مواصلة بذل الجهد لمواجهته.

ث- قضية الشعر الجديد:

1- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، ص 32.

2- عبد الله ركيبي : الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، ص 305.

وفي حديثه عن الشعر الجزائري الجديد فإنه قد ربط تطور هذا الشعر بعدة أسباب، بداية بالتأثر بالشعر الجديد في المشرق العربي والاطلاع على الأدب الغربي وقضاياه الجديدة، إضافة إلى هذا فإن ركيبي قد ربط هذا التطور وهذا الشكل الجديد من الشعر الجزائري بالثورة على تقاليد الكتابة القديمة وهيكل القصيدة العربية القديمة التي لم تعد تخدم تطلعات الشباب الثائر.

أما في حديثه عن شعراء هذا الجيل الجديد فقد قدم الشاعر(محمد أبو القاسم خمّار) أنموذجا عن الشاعر الجزائري الذي تأثر بالثورة التحريرية في دعوته إلى القومية العربية، وها هي قصيدته (هتاف الجزائر) « التي يصور فيها ثورة الجزائر العربية التي تكافح الظلم والاستعمار كغيرها من الثورات التحريرية، وأنها ستسهم في الوحدة العربية »[1]، وفي صميم هموم الأمة العربية هاهو ركيبي يخص القضية الفلسطينية بحديث مستفيض، مقدماً أعمال شعراء الجزائر وكتابها الذين كافحوا مع الشعب الفلسطيني باعتبارهما شعباً واحداً يتقاسم الهموم والمآسي.

وبهذا فإن ركيبي يؤكد على أن الشعر الجزائري الجديد يحمل فكر المقاومة لكل ما يعيق تحرره، لذا فـــ « إن التغيير الجذري الذي حدث في المجتمع بسبب الثورة هو من أقوى العوامل في ظهور هذه التجارب الجديدة في الشعر، حتى أن بواكيره الأولى من القصائد التي قيلت مع بداية الثورة قد حركت أذهان الشعراء إلى البحث عن الجديد»[2]، وفي هذا الصدد نجد ركيبي يولي اهتماما بالغاً بالشعراء الذين اهتموا بقضايا الشعب وركزوا في قصائدهم على الثورة وأحداثها والثوار وبطولاتهم، ولم يكن يبحث في مناسبة القصيدة كثيرا لأن « هذا شيء طبيعي في هذه المرحلة، لأن الأحداث الوطنية قد طغت على سواها بحيث ملأت اهتمام الشعب كله، فعاش فيها ليله ونهاره، واندفع الشعراء بدورهم في هذا الاتجاه نتيجة الحماس للثورة التي حققت الكرامة للفرد

1- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص31.

2- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص69.

والشعب، ونتيجة للشوق العارم إلى التحرر والاستقلال »[1]، وإن كان ركيبي قد تجاهل بعض الأعمال الأدبية والقصائد التي كانت تعالج بعض مشكلات المجتمع، أو تتعلق بقضايا الشاعر الخاصة، فأنه قد أوعز ذلك إلى متطلبات المرحلة التي تمر بها الجزائر في تلك الفترة، وما كان من تأثير الثورة على الشعب والكاتب على السواء وفي كل المراحل.

ومن النماذج التي اختارها في دراساته للشعر الجديد، نجده قد اختار مجموعة من الشعراء على سبيل التمثيل، فاختار الشاعر عبد العالي رزاقي، حيث قدمه في صورة ثورية مقاومة للاستعمار أولا ولكل أشكال الطغيان الأخرى عند الحكام والملوك ورجال السياسة، والشاعر أحمد حمدي المناضل الثائر، وبهذا فإن ركيبي قد خص مجموعة من الشعراء يشتركون في أعظم مهمة منوطة بالشاعر وهي مهمة النضال والمقاومة.

أما الخصائص الفنية في الشعر الجزائري الجديد، فإن ركيبي يرى تميز هذا الشعر الجديد في خصائصه عن الطابع القديم، وهذا بناء القصيدة ومفهوم الوحدة، « وواقع الأمر أن مفهوم وحدة القصيدة يختلف باختلاف تجارب الشعراء ومدى إدراكهم لتطور أشكال القصيدة وبنائها، ولكن يمكن القول بعامة إن شعراء الجيل القديم ساروا على نسق القصيدة العربية التقليدية، أما الشعراء الجدد فقد حاولوا أن يغيروا من نظرتهم لمفهوم القديم وأن يلتزموا بمفهوم القصيدة الحديث»[2]، فعلى خلاف القصيدة القديمة التي لم يهتم الشاعر فيها بوحدة القصيدة، بل نجده ينتقل من موضوع إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى، وكما هو معروف في الشعر العربي القديم، فإن الشاعر يتحدث عن مواضيع كثيرة في قصيدة واحدة، وهذا ما خالفه شعراء الجيل الجديد في الجزائر، حيث كان الاهتمام بوحدة القصيدة في موضوعها.

1- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص71.

2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص145.

وهذا ما جعل ركيبي يؤكد على أن « شعراء الجيل الجديد فقد حاولوا التجديد في شكل القصيدة فالتجأوا إلى طريقة الشعر الحديث الذي يعتمد على التفعيلة في شكل القصيدة، كما حاولوا التجديد في الصورة فعمدوا إلى طريقة القصة لتصوير الأحداث وتنويعها»[1]، وفي الأخير يخلص ركيبي من خلال بحثه في قضايا الشعر الجزائري عند الجيلين، القديم والجديد، ومظاهر الاختلاف بينهما، وتقديهم أهم رواد كل جيل، يقول: « وبالرغم من هذا فإن صدق العاطفة يبدو واضحاً في شعر الجيلين، ومهما يكن من أمر فإن شعراءنا قد أسهموا في توعية الجماهير العربية وأضاءوا لها الطريق، وكيفما كان رأينا في أسلوبهم فإنه يبقى شعراً نضالياً قومياً يفصح عن تعلقهم بالمثل الإنسانية النبيلة»[2]، ولهذا نجد ركيبي يشيد بسمة النضال هذه، ويبحث في هذه النماذج عن الدليل الواضح لما يميزها.

وفي خلاصة بحثه في موضوع الشعر الجديد كما سماه، نجده يقدم مجموعة من النتائج، كان أهمها ربطه ظهور هذا الشعر الجديد بفكر النضال وروح المقاومة التي عرفها الشعراء الشباب في فترة الثورة الجزائرية فيقول: « يبدو من النماذج التي اطلعت عليها والتي سقناها في هذا البحث أن الشعراء في هذا اللون من الشعر أكدوا على الجانب السياسي والنضالي وعنوا به عناية خاصة أكثر مما عنوا بالجانب الاجتماعي»[3]، وفي هذا نلحظ بأن ركيبي في حديثه عن الجانب السياسي في الشعر الجزائري يقدم انتقاده للشعراء الذين أهملوا الجانب الاجتماعي كثيراً، وهذا في قوله: « بيد أننا نلاحظ أيضا أنهم إلى الآن لم يعنوا بالجوانب الهامة لحياة الشعب، ولم يعتنوا بأشياء من صميم الشعب، فلا يزال شعراؤنا تجذبهم الناحية السياسية أكثر مما تجذبهم النواحي الأخرى، فليس هناك حديث عن الفلاح الجزائري الذي غذى الثورة بدمه، ولا

1- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص168.
2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 169.
3- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 95.

حديث عن الفدائي الذي ضرب الرقم القياسي في البطولة النادرة»[1]، ولكن يجب الإشارة هنا إلى أن هذا الكلام الذي وجهه ركيبي للشعراء كان في مرحلة معينة اتسمت فعلاً بالحماس إلى الانخراط في الحركة السياسية والحديث عنها، « فقد تبين أنه في خضم الحركة الوطنية قبل حرب التحرير كانت الأولوية للخطاب السياسي، ولم يكن كتاب وشعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية بقدر ما كانوا يهتمون بالدلالة السياسية»[2]، وقد تلتها مرحلة أخرى انصرف فيها اغلب الشعراء إلى النضال والمقاومة، ولكن هذا لا يعني أن المرحلة السابقة لم تشهد أعمالا تتناول شعرية الحياة الاجتماعية إطلاقاً، وهذا ما لم يشر إليه ركيبي لأنه كان أكثر اهتماما بالقضايا المصيرية.

ويبقى ركيبي في تواصل مستمر بين جيله والجيل الجديد، ويدعو إلى التواصل مهما اختلفت الأفكار، وتغيرت المعطيات والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، وها هو يؤكد على هذا الارتباط بين الأجيال في قوله في هذا التصريح: « ما أقوله في الأجيال الأدبية بصراحة و وضوح وعن دراسة وتجربة، إنني لا أؤمن بالقطيعة بين الأجيال، أو حتى بالصراع الفردي والزمني بين أعمار مختلفة لأن الصراع عادة ينشأ من تعدد الثقافات وتنوع التجربة الأدبية والثقافية بين الأجيال، كل ذلك يساعد على إحداث التطور، ولكل جيل ظروفه الخاصة، لكن رفض الجيل الأول للثاني لا أقبله»[3]، ولأن ركيبي عايش الجيلين وعاش مراحل تطور الثقافة والأدب في الجزائر قبل الثورة التحريرية وأثناءها وبعدها، وكان من حلقات الوصل بين الجيلين، كانت دعوته هذه منطقية ومهمة، « ففكرة التواصل كما ترى هي أساس الحياة، فكما يتواصل الأب بالأبناء وهؤلاء بالآباء والأمهات، تتواصل الأجيال في المجال الثقافي »[4]، هذا

1- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص65.

2- مخلوف عامر: المرجع السابق، ص180.

3- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص200.

4- عبد الله ركيبي : حوارات صريحة، ص201.

التواصل الذي عايشه ركيبي قد شارك فيه بمحاضرات داخل الوطن وخارجه، ومقالات وعدة مؤلفات أثبتت كلها أنه ملأ الفراغ الذي يحتاجه الأدب الجزائري إبداعاً ونقداً ليتطور ويستمر.

وفي قوله: « وهذا ما جعلنا نقدم قضايا الثورة والتحرر في الوطن العربي التي عبر عنها شعراؤنا وانفعلوا بها؛ لأنها تتصل بواقع الإنسان العربي المعاصر الذي ثار على الاستعمار الغربي منذ غزا أرض الوطن العربي في القرن الماضي حتى الآن حيث لا يزال يخوض معركته مع الاستعمار الجديد الذي يتمثل في الصهيونية والامبريالية العالمية»[1]، فمواصلة الكفاح ضرورة ملحة يركز ركيبي على استمرارها بين الجيلين حتى وإن كان هناك فرق بين جيل الثورة وجيل الاستقلال.

ويؤكد ركيبي على هذا الفرق في قوله: « ولعل الفرق بين الجيلين يتضح في الجيل الرائد الذي كافح الاستعمار السافر (قارتينا)* بجيوشه وأساطيله واستغل أوطاننا بالقوة وتحكم في شعوبنا بالحديد وبمنطق القوي المتفوق، بينما الجيل الجديد فتح عينيه على رحيل هذه الجيوش الغازية ولكنه – في الوقت نفسه– مازال يدرك أن الاستعمار الذي انحسر مدة ترك أثاره (...) على الجيل الجديد أن يعيش هذه التجربة ويشاهد هذا الواقع وهو بين أمرين: إما أن يجد الفرصة فيواصل النضال أو تسد الطريق في وجهه فيخضع ويستسلم ويستكين»[2]، وهذا الفرق في الزمن والظروف بين الجيلين لا يعني فرقاً في المشاغل والمشاعر، ولا يشكل قطيعة بينهما، بل تواصل واستمرارية في النضال والمقاومة.

هذا ما عايشه ركيبي ولمسه في احتكاكه بالجيلين، وحين يقول: « من خلال الهاجس الذي أحس به لدى أدبائنا في الجزائر أدرك أن هموم الجيل واحدة ومطامحه

1- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص113.

*- المقصود بقارتينا: أفريقيا وآسيا، وقد ألقيت هذه المحاضرة في مؤتمر كتاب آسيا- وإفريقيا الذي انعقد بمانيلا بالفلبين سنة 1975، حين مثل ركيبي اتحاد الكتاب الجزائريين في هذا المؤتمر.

2- عبد الله ركيبي: الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 51.

متشابهة وآماله متماثلة، فجيل الأدباء الشباب في بلادنا يعيش – كما ذكرت – مرحلة ما بعد الاستقلال ويحاول التعبير عنها بنظرة خاصة وبرؤية جديدة إلى حد كبير، ويسعى جاداً إلى أن يسهم في تطور المجتمع من خلال التعبير الأدبي»[1]، فالجيل الجديد يحمل هموماً كالتي حملها الذين قبله، ولم تنقطع الأواصر بينهما تابع ومتبوع في اختلاف لا يقطع الصلة، « ثم إن هذا الجيل يقوم بمحاولات مختلفة في مجال التعبير ويغامر في مضمار التجديد ويقوم بالتجريب سواء في طريقة البيان أو تشكيل المادة وتطويع الأسلوب لأفكاره الجديدة حسب رؤيته الخاصة للواقع الذي يتحرك من حوله، بل إن بعض المواهب التي تملك الإرادة والملكة تسعى للتعبير عن مضمون واسع يشمل الحياة والإنسان لا في البيئة المحلية وحدها ولكن في بيئات أخرى»[2]، هذا التواصل في الاهتمام بكل القضايا التي تعني الجيلين تعني كذلك كل القضايا المتجددة، لأن ركيبي لا يقتصر في اهتمامه على القضايا العربية والقومية فقط – رغم أنها هدفه الأول– بل تعداها إلى القضايا الإنسانية العادلة.

ج– قضايا سياسية وإنسانية:

وليس بعيداً عن طرحه المعتاد للقضايا الثورية والعربية القومية، فإن ركيبي يبقى منشغلاً بالبحث في الأدب الجزائري عن أهم القضايا الإنسانية والسياسية العامة، لذا فهو يدعونا إلى « أن نفرق بين القضايا الثورية والقضايا الإنسانية التي تبقى مع الإنسان؛ لأنها جزء من أحلامه وآلامه ولأنها تمثل قيماً باقية، كقضايا الحرية والاشتراكية والمساواة والوحدة..وما إلى ذلك من القضايا التي ضحى من أجلها الإنسان العربي..بل الإنسان في العالم منذ كان»[3]، ويبدو أن ركيبي لا يبتعد عن البحث في القضايا المرتبطة بالثورة والنضال، لأنه حين يتحدث عن التفريق بين القضايا

1– عبد الله ركيبي: الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 55.

2– عبد الله ركيبي: الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، ص 55–56.

3– عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص13.

والمناسبات السياسية فإنه يُبقي ذلك الشعور بالانفعال والحماس الذي يدفع الأديب إلى التعبير بتفاعل صادق، وحين يقول : « أقول، لابد أن نفرق بين هذه القضايا وبين المناسبات السياسية التي نتجت عن كفاح الأمة العربية فالحماس الذي يدفع الشاعر ليعبر عن قضايا الثورة، غير الحماس الذي يدفعه ليعبر عن يوم الاستقلال وهو غير الذي يعبر به عن مناسبات أخرى كالأعياد القومية أو الذكريات العزيزة على الوطن»[1]، فإن ركيبي هنا لا يُفرغ هذه القضايا من محتواها القومي الثوري ولا يبعدها عن معانيها، لكن يدعو إلى التمييز بين مستوياتها وأولوياتها وأساليبها الأدبية، فتميزها بالحماس ضروري رغم دعوته إلى تكييف هذا الحماس وفق ما تتطلبه القضية.

هذه القضايا التي يعيشها الإنسان العادي ويتفاعل معها بحكم ممارسته اليومية، يسهم في خلقها ويتأثر بها في محيطه الضيق فقط، « أما الأديب فمن طبعه أن ينفعل بالواقع المعيش، وبالحياة والكون والإنسان، ويسعى إلى التعبير عن هذا الانفعال فيحاول نقله للآخرين، لا مجرد النقل فحسب ولكن للتأثير وإيصال ذلك إلى غيره»[2]، ففي القصة الجزائرية القصيرة، فإن ركيبي يشير إلى بعض القضايا الإنسانية التي تناولتها هذه القصة، وخاصة في ارتباطها بأهم الاتجاهات الفنية، ففي حديثه عن كتاب هذه القصة نجده يقسمهم إلى اتجاهين، « فمنهم من بدأ بكتابة الصورة القصصية التي تتجه إلى وصف الواقع ونقد التقاليد والعادات ونقد الأوضاع الاجتماعية التي تقف حائلاً بين تقدم الفرد والمجتمع بأسلوب مباشر، ثم عالج بعد ذلك القصة الرومانسية»[3]، وهو بهذا يعيب على الاتجاه الرومانسي ابتعاده عن الواقع وعن هموم الإنسان الحقيقية، وغرقه في الذاتية والخيال الذي لا يخدم القضايا المصيرية، « فالأدب ليس ظرفاً

1- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص13.

2- عبد الله ركيبي : موقف الأديب العربي من قضايا وطنه، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 1627، 13 مارس 1968، ص04.

3- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة ، ص152.

أجوفاً فارغاً ولا هو وسيلة أو شكلاً فقط بل أنه روح قبل كل شيء وبعد كل شيء»[1]، أي إن ركيبي يشترط في العمل الأدبي عدم الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، هذا المضمون الذي يحمل الاهتمام بالقضايا الوطنية والإنسانية، « فالكاتب وأسلوبه وأصالته وبيئته والمحيط الذي يعيش فيه والروح التي يصدر عنها أو العواطف التي يعبر عنها.. وعلى أقل انتماؤه للشعب أو للوطن أو للقومية التي يستمد منها نسغ أدبه و[ترفده] في إبداعه الفني.. فهذه العناصر هي التي تكيف نظرته للحياة للإنسان..الإنسان المواطن أو الإنسان في أي مكان من العالم.. وهكذا يأخذ الأدب والفن صبغة محلية أو قومية أو إنسانية حسب نزعة الكاتب واتجاهه »[2]، وهنا يمكننا القول إن ركيبي هنا يجرد الأدب من أدبيته إذا كان بعيداً عن القضايا الوطنية والقومية والإنسانية.

هذه رسالة الأديب الإنسانية التي دعا إليها ركيبي، كما دعا إلى عدم التعصب والشعوبية، بل إلى الحس الإنساني العميق بكل هموم الإنسان المستضعف في كل الأقطار، وعدم الاهتمام بالجانب المحلي فقط، بل تناول كل جوانب القضايا الإنسانية المشتركة، « هذا الجانب هو مشاركته واستجابته لقضايا الحرية والثورة في العالم الكبير من حوله وخاصة في إفريقيا وآسيا... وكان الشاعر كلما اضطهد شعب من الشعوب القارتين تجاوب معه في تطلعه للحرية و الانعتاق وعبّر عن ذلك في شعره وقصائده»[3]، هكذا كان الأمر بالنسبة للشاعر الجزائري الذي ساند وناضل مع هذه الشعوب المحتلة، وكان شاهداً على ما يحدث بالقرب منه في إفريقيا، « على أن لفظ

1- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (الشكل والمضمون)، الشعب، الجزائر، ع: 860، 24 سبتمبر1965، ص 04.

2- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (الشكل والمضمون)، الشعب، الجزائر، ع: 860، 24 سبتمبر1965، ص 04.

3- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 126.

إفريقيا الذي تردد في الشعر الجزائري قبل الثورة كان في الأغلب (...) يعني المغرب العربي أو الجناح الذي يطلق عليه " شمال إفريقيا" (...) ويؤكد هذا قصائد ومقطوعات شعرية كثيرة لا تصور إفريقيا كقارة، وإنما تتحدث عن هذا الجزء منها»[1]، لكن هذا المفهوم الإقليمي لم يكن تضييقاً لرؤية الشاعر الجزائري، وإنما كان مفهوما تاريخياً فقط.

أما المفهوم الجديد والأوسع للقارة الإفريقية فقد تناوله الشعراء الجدد على حسب ركيبي فيقول: « ولكن المفهوم الحديث للقارة نجده لدى الشعراء الجدد الذين عاشوا قضايا إفريقيا وكفاحها الحاضر، وشاهدوا هذا التقارب بين شعوبها والذي توج بإنشاء " منظمة الوحدة الإفريقية" ، وبعد أن استقلت معظم شعوبها و وحد أهدافها الكفاح من اجل الحرية والتخلص من الاستعمار الجديد»[2]، وتبقى إفريقيا الوطن الأكبر الذي عبّر عنه الأدب الجزائري كما يعبّر عن معاناة وطنه، بل هو شعور الانتماء إلى هذا الوطن الكبير، الذي يقاسمه رغبته في الحرية والعدالة لكل الشعوب مهما اختلفت لغاتها، ومهما تعددت دياناتها، ومهما تنوعت أعراقها.

وكما قلنا سابقاً، فإن ركيبي يضرب المثل " بمحمد العيد آل خليفة " كأكثر الشعراء اهتماماً بالقضايا العربية والإنسانية، ولأن الشعور بالانتماء الإفريقي دفع كثيراً من الشعراء إلى رفع أصواتهم في وجه الاستعمار، « فإن "محمد العيد" قد تجاوب مع قضايا الحرية في إفريقيا، وعبّر في قصيدته هذه عن آلامه عندما تعرضت دولة إفريقية لغزو الاستعمار الغربي..ففي مطلعها يصور مأساة الحبشة، ويرمز لذلك بالأسد الذي باغته عدو قوي لا يرحم فأخذ يجري ويزأر»[3]، فعلا هذا الاهتمام بقضايا إفريقيا والأمة العربية يجمعه "محمد العيد" في ما قاله فرحة باستقلال السودان:[4]

1- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 126.
2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص126-127.
3- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص127-128.
4- محمد العيد آل خليفة : الديوان، ص323.

منْ مُبلغ السودانَ عنّا أننا شِيعٌ له بشعورنا خِــــــــــــــــــلّان

نَتبادل القُبلات بِاسْتقـــــــــــلالهِ فَرَحاً وإنْ طَافت بِنَا الأحزان

مُتسائلينَ عن الجزائر هَلْ دَنَا تَحريُرها أَمْ حظّها الحِرمَانُ

وباستقلال بعض الأقطار الإفريقية، يرى ركيبي أن الشاعر الجزائري بدأ يخاطب الشعوب الإفريقية بأسلوب جديد، وهذا حين « يتغير أسلوب الشاعر الجزائري ولهجته من البكاء والنحيب إلى الهجوم والثورة ويدعو إلى تحطيم القيد وطرد الغرب الذي هو سبب فيما تقاسي منه إفريقيا»[1]، فالملاحظ هنا هو أن الشعر الجزائري يساير القضايا الإقليمية في تطوراتها، كما يسايرها في أسلوبه وأفكاره المتجددة، وهذا ما وجده ركيبي في أسلوب الشاعر " مفدي زكريا" الذي يتوجه « بالخطاب – بدلاً من الأرض والقارة – إلى الإنسان الإفريقي، إلى " المارد الأسمر"»[2]، هذا المارد الذي يحثه " مفدي زكريا" على الثورة والتمرد على من جعلوا أنفسهم عليه أسياداً :[3]

أصدع رَفِيعاً أيُها "المَـــــــــــــــــاردُ" واصْعد سَريعاً أيُها الصّـــــــــــــــاعِد

وحَطّم الأغْلالَ، وأقْذِفْ بِها إلى لَظى.. يُصْهر بِهَا الجَــاحِد

وسَطّر اسْتقلال أفريقـــــــــــــــــــــيا يا أيُها ذَا المَحْفَل الحـــــــــــَــــــــــاشِد

وادْفَع بِها للخُلدِ، جَياشـــــــــــَــــــــة يَزحَف بِها جِهادُهَا الخَـــــــــــــــــالِد

1- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص130.

2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص130.

3- مفدي زكريا : اللهب المقدس، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص127.

إلى أن يقول:[1]

جزائر مَـــــــــــــــــــــــــدّتْ إليكِ
يَداً حَمْراء والموتُ بِهَا حـــــــَــــــــــاصِدُ
مُدي يَداً بيضاء، نَبْنِ مَعــــــاً مَجداً يَصْنعهُ شعبنا
الراشـــــــِـــــــــــدُ
وحَرري الميثاقَ، يَشْهد بـــــــِــــــهِ طُول المَدى كِفاحُنا
المَاجـــــــــــــدُ

وليست إفريقيا وحدها التي تناول الشعر الجزائري قضايا المقاومة والتحرر والمساواة فيها، بل ما وجده ركيبي هو « أن شعراءنا وإن تفاوتوا في التعبير عن القضايا الإفريقية أسلوباً ومحتوى، فإنهم فتحوا نافذة على قضايا الحرية في العالم... مثل قضية " الفيتنام " التي أفرد لها شعراؤنا مكاناً بارزاً في قصائدهم وأفسحوا لها في إنتاجهم مجالاً ينم عن تعاطفهم مع كفاح الشعوب في أي بقعة كانت»[2]، إلى جانب هذا هناك العديد من القضايا التي تناولها الشعر الجزائري، وجعلت ركيبي ينقب في هذه القصائد عن مواضيعها التي ارتبطت بأهم القضايا الإنسانية والداعية إلى التحرر.

لذا يمكننا القول بأن الشعر الجزائري لم يقتصر على قضاياه الوطنية فحسب بل تعداها إلى هموم الإنسان كافة، وخاصة الشعوب المضطهدة، والطامحة إلى التحرر والعدالة والمساواة، « وهكذا يتضح مما سبق أن قدمنا من النماذج الشعرية للشعراء الجزائريين، أنهم لم ينعزلوا عن الواقع الذي عاشه المجتمع العربي أو القضايا التي تعيشها الشعوب المضطهدة.. فبرهنوا بذلك على التزامهم بالقضايا القومية والإنسانية، كما التزموا بقضايا وطنهم طيلة أكثر من نصف قرن..واكبوا الأحداث وعبروا عنها

1- مفدي زكريا : المصدر السابق، ص 128

2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 138.

بمستوياتهم المختلفة وحسب تجاربهم المتنوعة ونظرة كل منهم إلى هذه القضايا من خلال فهمه و وعيه بها وأداته التي يعبر بها، وما زالوا يسيرون على نفس النسق حتى الآن»[1]، هذا التنوع في الأسلوب، وهذا التعدد في المواضيع والقضايا، دليل على إنسانية الشعراء الجزائريين وعالمية مواضيعهم، لذا فإن ركيبي قد تتبع هذه القضايا التي حملها الشعر الجزائري رغم أن دراسته لهذه القضايا قد اقتصرت على سرده لبعض النماذج الشعرية الجزائرية دون أن يعمل على تحليلها أو دراستها.

ومثل الشعراء كتاب القصة كذاك، الذين انتهجوا المنهج نفسه، وهاهو ركيبي يشيد بهؤلاء الكتاب وبالقضايا الإنسانية التي ظهرت في القصة، وخاصة الذين تأثروا بالواقعية الاشتراكية، وتبنوا أفكارها التي طبعت أسلوبهم في القصة، فأنتجت هذه الأفكار كتاباً من الجيل الجديد، « فاعتمدوا على الإيحاء والتصوير الحي.. على الصورة الحية المتحركة بدل الكلمة الجافة العادية.. على الهمس بدل الصراخ والطنطنة الفارغة الجوفاء.. على تصوير الإنسان العادي البسيط الفطري الذي يبحث عن لقمة العيش، ولكن بشرف وكرامة لأن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده – كما يقال– والحياة لا تعني المادة وحدها، ففي حياة الإنسان أشواق وتطلعات وله إرادة وحرية وله مصير من حقه أن يقرره بنفسه وان يجد له مكاناً وسط المجموعة الإنسانية دون استغلال ودون اضطهاد »[2]، هذا الاتجاه الذي تبناه ركيبي، قد أكد على ظهوره عند مجموعة من الكتاب العرب كذلك، وفي مرحلة تاريخية معينة عرفت بانتشار الواقعية الاشتراكية، يذكر منهم في قوله: « فظهرت كتابات جديدة للقصة الواقعية ورأينا تجارب في هذا المضمار ناجحة لقصاصين موهوبين مكنوا للأسلوب الثوري الواقعي أمثال الأخوة الدكتور شكري عيّاد وفاروق منيب، يوسف إدريس، والدكتور سهيل

1– عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص141.

2– عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (الشكل والمضمون)، الشعب، الجزائر، ع: 860، 24 سبتمبر1965، ص 04.

إدريس، سميرة عزام وغسان كنفاني في القصة القصيرة»[1]، إضافة إلى نماذج كثيرة في الجزائر والعالم العربي أسهمت في انتشار الوعي بالقضايا الإنسانية، مثلما أسهمت في الكفاح والنضال بالقلم مهما كان اتجاهها وانتماء كتابها الفكري والإيديولوجي.

ورغم هذه الاتجاهات المتعددة، وتلك المذاهب المتنوعة، يبقى الأدب وسيلة الإنسان وسلاحه، وهذا ما لاحظه ركيبي حين قال: « على أن النقطة التي تجمع بينهم جميعاً هي إيمانهم بالحرية والعدالة بين جميع أبناء البشر»[2]، وبهذا كانت بحوث ركيبي ودراساته النقدية عملية كشفٍ عن أهم القضايا التي حملها الأدب الجزائري، وما تركيزه على القضايا المرتبطة بمقاومة الشعب الجزائري، والشعوب المستعمَرة والمضطهدة في العالم إلا دليل على إيمانه القوي بدور هذا الأدب، وبما يحمله من مشاعر وأحاسيس تلخص ارتباطه بالمقاومة في كل صورها ومشاركته فيها، وقناعته بكونية إرادة المقاومة.

1- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (الشكل والمضمون)، الشعب، الجزائر، ع: 860، 24 سبتمبر1965، ص 04.

2- عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص141.

هذا الفصل الذي تناولنا فيه أهم قضايا الأدب الجزائري التي تناولها ركيبي في دراساته، وركز فيها على ربط كل القضايا بالنضال والمقاومة، كما يلاحظ من خلال دراسات ركيبي أنها دائمة الارتباط بأهم القضايا المصيرية في الجزائر والعالم العربي، وكما رأينا فإن ركيبي دائم البحث عن الامتداد الثقافي الجزائري العربي الإسلامي والإفريقي، وقد تناول ركيبي في كتابه قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر إحساس وارتباط الشاعر الجزائري بالواقع العربي.

كما كان لقضية العروبة والوحدة في الشعر الجزائري، عند ركيبي نصيب كبير في عدة مؤلفات، حيث عدّ هذه الفكرة نقطة تجديد في الشعر، ومن القضايا البارزة التي شغلت الأديب الجزائري، وأسالت من حبره ما أسالت، القضية الفلسطينية، والمقاومة الباسلة للشعب الفلسطيني، فكان الأدب الجزائري مواكباً لهذه القضية ومتابعاً لحركة المقاومة ومسانداً لها بكل ما يملك من صوت، رغم النكسات والهزائم المتتالية التي عرفتها الأمة العربية، لذا فإننا نجد ركيبي قد خصها بالاهتمام البالغ، وهذا من خلال تناوله كثير من الأعمال في الأدب الجزائري التي تحدثت عن القضية، وقد وجدنا أنه شارك بعدة مقالات وحوارات صحفية حول هذه القضية قبل النكبة وأثناءها وبعدها، أما في كتابه (فلسطين في الأدب الجزائري الحديث) يبحث ركيبي في رحلة عبر التاريخ عن الارتباط الجزائري الفلسطيني، وعن صور المقاومة المشتركة بين الشعبين، كما يقدم لنا أسباب اهتمام الأدب الجزائري بهذه القضية، ويرى أن الأدباء الجزائريين استطاعوا نقل أحاسيس الشعب الجزائري بمعاناة الشعب الفلسطيني الشقيق، وهذا ما

جعل الأدب الجزائري تعبيراً جمعياً صادقاً لما يحدث في البلدين الشقيقين، هذه القضية التي باتت من أهم القضايا في الشعر الجزائري، و قضية الأديب الجزائري الأولى وشغله الشاغل.

وفي قضية أخرى لا تقل أهمية عن باقي القضايا، يولي ركيبي اهتماماً بالغاً لقضية الوحدة والعروبة، حيث نجده يخصص لها فصلاً مهماً في كتابه (قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر مؤكداً على أن الأدباء كانوا منذ مطلع القرن ومنذ بداية النهضة الحديثة يعبرون عن انتمائهم للشرق العربي وإحساسهم بهذا الانتماء في كل مناسبة، شعراً ونثراً، وكما قلنا فإنه ليس من الغريب أن نجد هذا الشعور بالانتماء العربي والدعوة إلى الوحدة والقومية، عند جيل المقاومة، فكان هذا الشعور نابع من عقيدة راسخة وفكر متجذر في الأذهان.

ومن الواضح أن أهم شروط تحقق الوحدة والقومية كما يراها ركيبي، اللغة، التي تشكل ركيزة أساسية، وشرطاً ثابتاً في الفكر القومي العربي، وهذا لأن الإجماع يكاد ينعقد على أن اللغة العربية هي العماد الأول للقومية، بعدّها أهم وسيلة للتعبير عن الثقافة العربية وخصوصياتها، كما أنها رابطة أساسية تغلب على جميع الروابط الأخرى حتى روابط الدم والرحم كما قال ركيبي.

أما دراساته في الشعر الجزائري الجديد فإنه قد أورد عدة أسباب أدت إلى تطور هذا الشعر، منها تأثر الشعراء بالحركة التجديدية في المشرق العربي، إضافة إلى الإفادة من الأدب الغربي وما حمله إلينا من قضايا جديدة، كما أن ركيبي قد ربط هذا التطور وهذا الشكل الجديد من الشعر الجزائري في عدة دراسات، بروح الثورة على تلك الأعراف والتقاليد التي طبعت الكتابة الأدبية، والثورة كذلك على هيكل القصيدة

العربية القديمة التي أصبحت قاصرة على نقل وتصوير تطلعات الشباب الذي صار ثورياً ومتطلعاً للمستقبل أكثر من ذي قبل.

وتبقى قضية القومية طرحاً استراتيجياً مهماً عند ركيبي، وليس بعيداً عن طرحه المعتاد للقضايا الثورية والعربية القومية،نجده في الغالب كثير الانشغال بالبحث في الأدب الجزائري عن كل القضايا المرتبطة بالإنسانية وبالعمل السياسي الذي يكفل للشعوب حقوقها المشروعة، لذا فهو يدعونا إلى أن نفرق بين القضايا الثورية التي ربما تنتهي بانتهاء الثورات، وبين القضايا الإنسانية الشاملة التي تستمر مع الإنسان عبر الزمن، هذه القضايا التي طالما شكلت الجزء الأكبر من أحلام الإنسان وآلامه، هذا البقاء والاستمرار على حسب رأيه مثلته أعظم القضايا، كالحرية والاشتراكية والمساواة والوحدة، وما إلى ذلك من القضايا التي ضحى من أجلها الإنسان العربي بل البشرية جمعاء منذ الأزل.

خـــــــاتمة

خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث، وبعد أن تناولنا موضوع المقاومة والأدب في الخطاب النقدي عند عبد الله ركيبي، وحاولنا فيه تقديم أهم مفاهيمه للمقاومة بكل أشكالها وعلاقتها بالأدب، شعراً ونثراً، بناءً على رؤيته النقدية والفكرية، وبعد أن حاولنا تتبع كل أعماله النقدية ونصوصه الإبداعية قبل الاستقلال وبعده، رغم ما وجدناه من تنوع واختلاف في وجهات نظره التي لاحظنا تغيرها من مرحلة إلى أخرى، نخلص إلى مجموعة من النتائج تمثلت في النقاط الآتية:

1- تتخذ المقاومة عدة أشكال واتجاهات، كالمقاومة الثقافية، والمقاومة الفكرية، والمقاومة السياسية والمقاومة الأدبية.

2- يظهر الأدب فعلاً مقاوماً فعّالاً في التحريض والتحضير للمقاومة المادية، ويبشر بها، كما يتابع تطورات المقاومة المسلحة، ويسجل مسيرتها ويشيد بها، وهذا ما يعرف بأدب المقاومة.

3- يتمظهر الأدب في شكل استعماري اضطهادي من خلال الإبداع، وما يوجه الكتابات الأدبية، وما يقدم من أدب كولونيالي يستدعي شكلاً آخر من المقاومة، يعرف بمقاومة الأدب، وهذا ما أكد عليه ركيبي حين كان يدعو إلى أدب مقاوم.

4- قلة الدراسات والأعمال التي تبحث في المقاومة والأدب، أو فكر المقاومة في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر.

5- يكشف ركيبي عن أشكال المقاومة الثقافية والفكرية التي ظهرت في الأدب الجزائري والدور المهم الذي قدمته للمقاومة المسلحة، وهذا من خلال نوعين من المقاومة، مقاومة الفكر، وفكر المقاومة، فالأول هو مواجهة تلك الأفكار الاستعمارية

الساعية إلى تثبيط المعنويات ومحاولات التحرر، ونشر الأفكار الانهزامية والرجعية، أما فكر المقاومة هو ما دعا إليه ركيبي، ويتعلق بإنشاء منظومة فكرية من شأنها توجيه العمل المقاوم وتوعيته.

6- يؤكد ركيبي في جل أعماله على خاصية المقاومة التي يتميز بها الأدب الجزائري في كل مراحل تطوره، وعند كل الأجيال وخاصة قبل الاستقلال.

7- ارتباط محاولات التجديد والتطوير في الأدب الجزائري بفكر المقاومة، أي مقاومة التقليد والاتباع.

8- من خلال القضايا التي تناولها خطاب ركيبي النقدي، نستنتج أن الأدب الجزائري لم يقتصر على المحلية فقط، بل كان عالمياً باهتمامه بقضايا مقاومة الإنسان للقهر والظلم وفي مقدمتها المقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني، ومعالجة كثير من المشكلات على الصعيد العربي والعالمي.

9- أراء عبد الله ركيبي النقدية في مجمل أعماله، (الشعر الديني الجزائري)، و(قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر)، و (الأوراس في الشعر العربي)، (ومبارك جلواح من التمرد إلى الانتحار)، وغيرها من الدراسات كانت تعتمد على تفسير الأعمال الأدبية من خلال المضمون الشعري في علاقته بالمقاومة، والعلاقات بين الشاعر والبيئة مما أدى إلى المطابقة بين التجربة وحياة الشاعر.

10- بروز البعد الإنساني في الخطاب النقدي عند ركيبي، من خلال دعوته إلى الاهتمام بالقضايا الإنسانية العادلة، هذا لأنه يرى بأن مهمة الأدب أكبر من أن تكون ذات طابع محلي ضيق.

11- اهتمام ركيبي بالبعدين الوطني والقومي في الأدب الجزائري، على اعتبار الارتباط التاريخي والثقافي.

12- النزوع إلى الفكر الاشتراكي عند ركيبي الذي أملته طبيعة المرحلة، وظهوره فعلياً في الأدب الجزائري.

13- السعي الدائم إلى ربط الأدب الجزائري وتفسيره تبعاً لفكر المقاومة والثورة، وعدم الاهتمام بغير الأدب المقاوم.

14- اتسمت العملية النقدية عند ركيبي بالبحث في الموروث الثقافي والأدبي عن صوت الشعوب وإرادتها الظاهرة في الأدب، واتجاهها الفكري المناوئ للاستعمار.

15- لم يكن خطاب ركيبي النقدي حيادياً إلى حدٍ ما، بل كان يحمل كثيراً من الذاتية والتأثيرات الإيديولوجية، وخاصة ما تعلق بالفكر الاشتراكي، والفكر القومي.

16- مرّ خطاب عبد الله ركيبي النقدي بكثير من التطور مواكباً للتطورات التاريخية، وهذه ميزة ايجابية، جعلت منه مسايراً لمختلف التحولات الاجتماعية والسياسية، مع الاحتفاظ بالمبادئ الأساسية والثوابت المقدسة.

وفي الأخير، ومن خلال تتبع الخطاب النقدي الذي أثرى به عبد الله ركيبي المكتبة الجزائرية والعربية، ووضع به لبنة مهمة من لبنات النقد الجزائري المعاصر، ومن خلال دراستنا لهذا الرصيد النقدي الهائل وما استنتجناه في هذه المحاولة، ندعو الباحثين إلى مواصلة الدراسة والبحث في هذا الخطاب النقدي، ومن جوانبه المختلفة للكشف عن المزيد من المفاهيم والقضايا التي مازالت في حاجة إلى دراسات أدق وأعمق وأوسع، ليبقى مجال البحث في موضوع المقاومة والأدب واسعاً ومفتوحاً أمام الباحثين، وتبقى الأسئلة كثيرة سواء ما تعلق منها بالمقاومة في

الخطاب النقدي عند عبد الله ركيبي أو في الخطاب النقدي الجزائري بشكل عام، مما يفتح المجال واسعاً أمام الباحثين لمزيد من البحوث والدراسات في المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

01- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

02- عبد الله ركيبي : موقف الأديب العربي من قضايا وطنه، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 1627، 13 مارس 1968.

03- عبد الله ركيبي :الهوية بين الثقافة والديمقراطية(دراسات أدبية ومقالات)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة الجزائر، 2009.

04- عبد الله ركيبي: ذكريات من الثورة الجزائرية (1954-1958)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

05- عبد الله ركيبي: أحاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2009.

06- عبد الله ركيبي: الأدب ومعركة فلسطين، جريدة الشعب، الجزائر، ع:776، 18جوان1965.

07- عبد الله ركيبي: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

08- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، ج:01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009،

09- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، دار نافع للطباعة، القاهرة، مصر، دط، 1986.

10- عبد الله ركيبي: الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994.

11- عبد الله ركيبي: الفرانكفونية مشرقاً ومغرباً، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009

12- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر،2009.

13- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (اتجاهات القصة الجزائرية)، جريدة الشعب، الجزائر، ع:878، 15 أكتوبر1965.

14- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية (الشكل والمضمون)، الشعب، الجزائر، ع: 860، 24 سبتمبر1965.

15- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 866، 1965.

16- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 908، 1965.

17- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع:997، 1966.

18- عبد الله ركيبي: القصة العربية الجزائرية، جريدة الشعب، الجزائر، ع: 974، فبراير 1966.

19- عبد الله ركيبي: النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، الجزائر، ط2، 1978.

20- عبد الله ركيبي: الهجمة الشرسة على اللغة العربية والثقافة القومية، جريدة الرياض، العدد: 14486، 21 فبراير2008.

21- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط03، 1983.

22- عبد الله ركيبي: حوارات صريحة، أحاديث مع صاحبة الجلالة تمتد إلى أكثر من 30 سنة داخل الوطن وخارجه، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2000.

23- عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1962.

24- عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار صبرا للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط01 1986.

25- عبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1983.

26- عبد الله ركيبي: ما هو دور الأدب في المعركة، جريدة الشعب، الجزائر، ع:752، 21ماي1965.

27- عبد الله ركيبي: مجلة الجيش، ع4، مارس 1966،ص 30: نقلا عن محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي' الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

28- عبد الله ركيبي: نفوس ثائرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1982.

29- عبد الله ركيبي:عروبة الفكر والثقافة أولاً (دراسات ووثائق)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجزائر، دط، 2009.

المراجع:

30- إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2003.

31- إبراهيم رماني: إضاءات في الأدب والثقافة والأيديولوجية، دار الحكة للنشر، الجزائر، 2009.

32- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط05، 2007، ص80.

33- أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

34- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، ط1 1996.

35- أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (في الفترة مابين 1931-1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1989.

36- أحمد كمال زكي: أراء في الشعر والقصة، دار المعارف، بغداد، العراق، ط01، 1965.

37- ألبير كامو: أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1983.

38- أم السعد حياة: أوجاع الذاكرة وسيناريوهات المقاومة في كتابات رضوى عاشور، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016.

39- أماني الزعيبي: في المقاومة لدى أنطونيو نغري، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016.

40- أنيسة أحمد الحاج: المسار النقدي لدى عبد الله ركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

41- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر من 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

42- البخاري حمانة : فلسفة الثورة الجزائرية، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2012.

43- بوفسيو عيسى : مظاهر حضور التراث النقدي في الأدب الجزائري الحديث، حوليات الآداب واللغات(عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري 22/21ماي2006)، جامعة المسيلة، الجزائر، ع:02، ديسمبر2013.

44- توفيق الحكيم : فن الأدب، دار مصر للطباعة، مصر، دط، د ت.

45- جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، دط، 2003.

46- حاج محجوب عرايبي: دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، إصدارات إبداع، الجزائر، ط01، 1993.

47- حامد صادق قنيبي: الأدب والنقد الحديث_اتجاهات ونصوص_ دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2015.

48- حسين خمري : سرديات النقد، في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2011.

49- حسين محمد و أحمد زلط : الأدب العربي الحديث (الرؤية والتشكيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط01.

50- حميدات مسكجوب: اتجاهات نقد القصة القصيرة في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011.

51- خلدون الشمعة: النقد والحرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، دط، 1977.

52- رابح طبجون: التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي(مخطوط رسالة) قسم الآداب، جامعة قسنطينة، الجزائر،1999.

53- رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000.

54- رزان محمود إبراهيم : خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للتوزيع، ط01، 2003.

55- روبير إسكاربيت : سوسيولوجيا الأدب، تر: آمال أنطوان عرموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

56- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1967.

57- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط03، 1997.

58- سليم حيولة: أدب ما بعد الاستعمار، الهجنة كشكل من أشكال المقاومة الثقافية، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016.

59- سليمان العطار: مقدمة منهجية لدراسة تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1990.

60- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر ط6، 1990.

61- شريبط أحمد شريبط : الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية زليخا السعودي (1943-1972)، دار هومة، الجزائر، ط2001،01.

62- شريبط أحمد شريبط: الإشارات مقاربات في الأدب والثقافة والفكر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط 01، 2009.

63- شريبط أحمد شريبط: تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.

64- الشريف طوطاو: التأسيس الفلسفي لثقافة المقاومة عند حسن حنفي، ثقافة المقاومة،منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر.

65- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1984.

66- صالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983 .

67- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

68- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005.

69- عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، العراق، 1978.

70- عبد السلام المسدي : الهوية العربية والأمن اللغوي(دراسة وتوثيق)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01، 2014.

71- عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

72- عبد الله الغذامي: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009.

73- عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007.

74- عبد الهادي عباس: (من مقدمة كتاب المقدس والمدنس لمرسيا إلياد)، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 1988.

75- عزت قرني : أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة، مجلة ثقافة المقاومة، جامعة فيلادلفيا، عمان، الأردن، ع:10،2006.

76- علي خذري: تحديث النقد الجزائري، حوليات الآداب واللغات، حوليات الآداب واللغات(عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري 22/21ماي2006)، جامعة المسيلة، الجزائر، ع:02، ديسمبر2013.

77- علي خذري: نقد الشعر مقاربة لأوليات النقد الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998.

78- علي عقلة عرسان: عناق المقاومة و الأدب، الأسبوع الأدبي، دمشق، سورية، ع:719 ،2000/07/29.

79- عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت، ص08.

80- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الطبعة 01 ، 2003.

81- عمر بن قينة : الحطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

82- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، تأريخاً وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995.

83- غالي شكري: أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970.

84- فاتح علاق: الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005.

85- فاطمة الحصي: ثقافة المقاومة عند محمد أركون، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016.

86- فائق مصطفى و عبد الرضا علي : في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، دط، 1989.

87- قصي الحسين: النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، 2010، ص 5.

88- ماجدة حمود: علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ط1، 1997.

89- محمد العيد آل خليفة : الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2010.

90- محمد الهادي الزاهري: : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط02، 2007.

91- محمد بن سمينة : في الأدب الجزائري الحديث (النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر- مؤثراتها – بدايتها – مراحلها)، مطبعة الكاهنة، الجزائر، دط، 2003.

92- محمد ساري : في النقد الأدبي الحديث، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

93- محمد شوقي الزين: تكتيكات الهامش أمام استراتيجيات المركز-الثقافة والمقاومة عند ميشال دوسارتو تمثلات، نماذج، ممارسات، ثقافة المقاومة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر،2016.

94- محمد عيد: قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط01، 1989.

95- محمد غنيمي هلال: قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت.

96- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983.

97- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1979 .

98- محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1989.

99- محمد مصايف: فصول في النقد الأدبي الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1972.

100- محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.

101- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1985.

102- مخلوف عامر: متابعات في الثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط01، 2002.

103- مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989.

104- مفدي زكريا : اللهب المقدس، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007

105- نعمات أحمد فؤاد: خصائص الشعر العربي الحديث، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1980.

106- نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط01، 1981.

107- وجيه فانوس : دراسات في حركية الفكر الأدبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط01، 1991.

108- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.

الفهـــــــرس

الرقم	العنوان	الصفحة
	مقدمة	أ
	مدخل: تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر	10
1	مراحل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر	10
أ	المرحلة الأولى : **التقليد ورفض التجديد.**	12
ب	المرحلة الثانية : **النقد الإصلاحي.**	13
ت	المرحلة الثالثة : **الإرهاص النقدي.**	15
ث	المرحلة الرابعة : **المزاوجة.**	16
2	مرجعيات النقد الأدبي الحديث في الجزائر	17
أ	المرجعية الغربية	17
ب	المرجعية الشرقية	18
ت	المرجعية الوطنية	20
3	عوامل تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر	24
أ	الصحافة	24
ب	الدراسات الأدبية	27
4	من رواد النقد الأدبي في الجزائر	29
أ	البشير الإبراهيمي	30
ب	أبو القاسم سعد الله	31
ت	محمد مصايف	32

ث	عبد الله ركيبي	33
	الفصل الأول: المقاومة والأدب	39
1	المقاومة	39
أ	أشكال المقاومة	39
ب	المقاومة الثقافية	43
2	المقاومة والأدب	52
أ	وظيفة الأدب	54
ب	أدب المقاومة	61
ت	مقاومة الفكر	69
	خلاصة	77
	الفصل الثاني: المسار النقدي لعبد الله ركيبي	82
1	مفهوم الأدب ووظيفته عند عبد الله ركيبي	83
2	مفهوم الشعر عند عبد الله ركيبي	88
3	مفهوم القصة القصيرة عند عبد الله ركيبي	94
4	الرواية الجزائرية عند عبد الله ركيبي	100
5	مفهوم النقد وشروطه عند عبد الله ركيبي	102
	خلاصة	113
	الفصل الثالث: حضور المقاومة في الخطاب النقدي لعبد الله ركيبي	118

1	المنهج النقدي عند عبد الله ركيبي	118
2	دراسته للشعر الجزائري المقاوم	126
أ	شعر الانطواء	128
ب	الشعر الإصلاحي	130
ت	شعر اليقظة والثورة	133
3	القصة الجزائرية المقاومة	139
أ	المقال القصصي	140
ب	الصورة القصصية	144
ت	الاتجاه الثوري في القصة الجزائرية القصيرة	146
ث	القصة الجزائري المكتوبة باللغة الفرنسية	152
ج	البطل المقاوم في القصة الجزائرية	155
	خلاصة	161
	الفصل الرابع: قضايا الأدب الجزائري عند عبد الله ركيبي	167
أ	قضية المقاومة الفلسطينية	168
ب	قضية الوحدة والعروبة	173
ت	قضية اللغة العربية والتعريب	180
ث	قضية الشعر الجديد	188
ج	قضايا سياسية وإنسانية	193
	خلاصة	201

	خاتمة	207
	قائمة المصادر والمراجع	212
	الفهرس	223